الانتصار للقرآن الكريم

مفهومه وتاريخه وقواعده وأهميته

سهاد أحمد قنبر

تقديم

أ.د. أحمد خالد شكري





دار النفائس

للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
٢٠١٦/٢/٨٧٧

٢٢٠
قنبر، سهاد أحمد
الانتصار للقرآن الكريم مفهومه وتاريخه وقواعده وأهميته /سهاد أحمد قنبر .ط١.-عمان-دار النفائس للنشر والتوزيع،٢٠١٦
( ) ص.
ر.إ.: ٢٠١٦/٢/٨٧٧
الواصفات:/القرآن الكريم//الإسلام/



دار النفائس
للنشر والتوزيع-الأردن



العبدلي - مقابل مركز جوهرة القدس
ص.ب 927511 عمان 11190 الأردن
هاتف: 5693940 6 00962
فاكس: 5693941 6 00962
Email: alnafaes@hotmail.com
www.al-nafaes.com

الانتصار للقرآن الكريم

مفهومه وتاريخه وقواعده وأهميته

سهاد أحمد قنبر

تقديم

أ.د. أحمد خالد شكري



دار النفائس
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذا الكتاب

يقدم هذا الكتاب تصوراً واضحاً عن الانتصار للقرآن الكريم بدأً من تعريفه ولمحة تاريخية عن تطوره وصولاً إلى عصرنا الحاضر، مع تبيين جهات الطعن المعاصرة في القرآن وأهم المطاعن والشبهات المثارة على القرآن وطرق الرد عليها ، وبيان أصول وقواعد الانتصار للقرآن الكريم وهي زبدة البحث وأهم ما فيه، والكتاب يتميز في عرض هذه الأصول والقواعد بشكل متسلسل منطقي بأسلوب علمي رصين.

المؤلفة

سهاد أحمد رشاد قنبر

- دكتوراه في التفسير وعلومه، الجامعة الأردنية.
- ماجستير في التفسير وعلومه الجامعة الأردنية، ٢٠١١م.
- بكالوريوس في أصول الدين، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٠م.

الأبحاث:

- قضايا قرآنية عند النساء الحداثيات، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠١١م.
- الانتصار للقرآن الكريم(دراسة تأصيلية)، مجلة دراسات لعلوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، ٢٠١٤م.
- المصطلح القرآني وأهميته في الحكم على الدعوات المعاصرة (دعوى المساواة بين الرجل والمرأة أنموذجاً)، مجلة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، جامعة الشارقة، ٢٠١٥م.
- الدلالة الصرفية عند ابن عاشور.
- السياق وأثره في دراسة موهم التعارض في القرآن الكريم.
- مشروع المصاحف في عصر الخلافة الراشدة.

الخبرة العملية: التدريس

الاهتمامات البحثية: الدراسات الاستشراقية و الحداثية، علم المصطلح القرآني، علم المقاصد، التفسير الموضوعي.

الاهتمامات العامة: دروس دعوية ومحاضرات عامة في: التفسير، الفكر الإسلامي، حقوق المرأة في الإسلام، تربية الطفل، تعليم العربية لغير الناطقين بها .



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهْـــــــــــدَاء

- إلى من رافقني في كل كلمة وأنا أكتب هذا البحث؛ فكان مُلهمي إلى خط النهاية.
- إلى من أتمثله متنقلاً بين ورقات كتابي محاولةً التكهن متى يلتهم الصفحات ومتى يصاب بالسآمة والملل.
- إلى من لم يفارق فكري لحظة لثلاث سنوات كاملة شاءت فيها إرادة القدر أن يبقى هذا الكتاب حبيس الأدراج بعد أن انتهيت من كتابته في أوائل عام ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣م، فعزمت أن يرى كتابي النور لأجله.
- إلى من أعلم يقيناً أنه ما قرأ إهدائي هذا إلا لأنه يعيش واقع الأمة الإسلامية، ويحمل همها في عقله وقلبه، ويقض مضجعه ما يعصف بها.
- إليك أيها القارئ الكريم أهدي هذا العمل ضارعة إلى الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يختزنه لي ليوم الرحيل، وأن يجعله في ميزاني يوم ألقاه.



تقديم

الأستاذ الدكتور أحمد شكري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد،

فمنذ ابتدأ نزول القرآن الكريم والدراسات حوله وفيه وعنه في نمو وازدياد، فقد أحدث نزول هذا الكتاب العظيم ثورة كبرى في المجال المعرفي والإيماني، وأثار كوامن الأفكار واستخرج دفائن الخواطر، وزلزل المجمتع العربي الذي ابتدأ نزوله فيه، والمجتمعات كلها من بعده، وبسبب اختلاف طبائع البشر وتفاوت إقبالهم على الإيمان كانت مواقفهم منه متباينة، وكان النصيب الأكبر والحظ الأوفر في جانب هذا الكتاب المجيد، وقد شهدت حركة التأليف في علومه وما يتعلق بها أو يدور في فلكها أو يخدمها نشاطاً لم يفتر ولم يتوقف، وقد يعجب المتابع لهذه الحركة لا من غزارتها فحسب بل من التنوع الهائل في موضوعاتها وعدم مغادرة صغيرة ولا كبيرة من العلوم المتصلة به.

ومن هذه العلوم الانتصار للقرآن الكريم في مواجهة ما أثير عليه من شبه وشكوك وافتراءات، وكل من كتب أو تكلم في هذا العلم يعلم أن الله سبحانه حافظٌ كتابه الكريم وأن كل ما وجه إليه من سهام وأباطيل لا يؤثر فيه أبدا، فهو الكتاب المحفوظ المصون عبر الأزمان والقرون، ولا تزيدنا الأيام إلا تثبيتا لهذه القاعدة في نفوسنا، ويقينا بأن المدافعين عن هذا الكتاب العظيم من أدوات حفظه، ومن الجند القائمين بالذود عنه.

ويحتاج هذا العلم ممن يخوض فيه إلى سرعة بديهة وإعمال فكر وفهم للشبه والافتراءات والطعون الموجه إليه، وقدرة على الإقناع وترتيب المسائل بشكل جذاب

يقرب ويقنع، ومع كثرة ما ألف في هذا العلم إلا أن المجال للكتابة فيه ما يزال قائماً والحاجة إلى تحرير بعض مسائله وقضاياه ما تزال ملحة، وقد أيقنت الباحثة الجادة المتشربة لفكرة الدفاع عن القرآن ورفع رايته عالياً الدكتورة سهاد أحمد قنبر بذلك، فأعدت كتابها هذا ليملأ فراغاً في المكتبة القرآنية، وليقدم تصوراً واضحاً عن مبدأ الانتصار للقرآن بدأً من تعريفه ولمحة تاريخية عن تطوره وصولا إلى عصرنا الحاضر، مع تبيين جهات الطعن المعاصرة في القرآن وأهم المطاعن والشبهات المثارة على القرآن وطرق الرد عليها من الأفراد والمؤسسات، وبيان أصول وقواعد الانتصار للقرآن الكريم وهي زبدة البحث وأهم ما فيه، وقد أجادت الباحثة في عرض هذه الأصول والقواعد بشكل متسلسل منطقي بأسلوبها العلمي الرصين، وختمت بالتنبيه إلى أهمية الانتصار للقرآن الكريم مع تبيين الجوانب المتعلقة به، وإنه لجهد طيب مشكور وعمل صالح مبرور، أسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يجعله منارة يهتدى بها، وموئلا يرجع إليه في موضوعه وأن يكتب الأجر العظيم والثواب الجزيل لمؤلفته ولقارئه والمنتفع به.

أ.د. أحمد خالد شكري

أستاذ علوم القرآن والتفسير في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية

نائب رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم في الأردن

عمّان في ٦/ ٤/ ١٤٣٧هـ الموافق ١٦/ ١/ ٢٠١٦م

مُقَـدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدي وشفيعي محمد، وعلى الآل والصحب أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم كلنا فقراء إلا من أغنيته، و حائرون إلا من هديته، وضالون إلا من أخذت بيده وسددته، وما خط قلمي حرفاً صالحاً إلا بتوفيقك، وما أخطأ بحرف إلا من ذنبي، فتقبل مني ما كان صواباً واجعله حجة لي لا حجة علي يوم ألقاك، وأقل عثرتي فيما زللت به، ولا تؤاخذني بما أخطأت أو نسيت، واغفر وارحم وأنت خير الراحمين. وبعد:

ما زالت معركة الطعن في كتاب الله والتي بدأها مشركو قريش مشتعلاً أوارها منذ أربعة عشر قرناً، وحتى وقتنا هذا.

ولم يدخر الطاعنون وسيلة إلا استخدموها للتشكيك في ربانية مصدر القرآن، ووثاقة جمعه ونقله، أو الإلحاد في تأويله، وقد بذل سلف الأمة وخلفها الوسع في الانتصار لكتابهم .

وبالرغم من أن المطاعن على كتاب الله ليست وليدة هذا العصر، إلا أن أثرها أصبح أشد خطورة بسبب الضعف الذي منيت به الأمة على جميع الأصعدة، وفقدانها للكفاءات العلمية التي من شأنها التصدي لهذه الحملة الشرسة على القرآن، إضافة إلى المؤسسية والتنظيم العالي لجهات الطعن والتنسيق بينها.

من هنا بات من غير المجدي أن يبقى الانتصار لكتاب الله ارتجالياً أو فردياً، وصار لزاماً أن تتوجه طاقات الأمة نحو التنظيم والمنهجية لمواجهة هذا الخطر المتعاظم على القرآن.

وأول طرق التنظيم والمنهجية في الانتصار لكتاب الله، هو جمع كل ما يتعلق بالمطاعن والطاعنين، وطرق التصدي لهم ودفع شبهاتهم.

ومن التنظيم والمنهجية كذلك الوقوف على تعريف الانتصار للقرآن الكريم، وأهميته، ومشروعيته وتاريخه ومكانته عند المتقدمين، ومنها كذلك ضبط عملية الانتصار بأصول وقواعد تصلح أن تكون رباطاً ناظماً لهذه العملية، ولعل ما فضُل به المتقدمون من هذه الأمة على المتأخرين، هو السرعة في الاستجابة لتحديات عصرهم، فقد كان السلف كلما حزبهم أمر فزعوا إلى التأصيل، وما ذلك إلا لعلمهم بأن التأصيل عصمة.

ما سبق ذكره لا يمكن أن يرى النور دون الاعتراف بأن الانتصار للقرآن الكريم ضرورة ملحة تفرضها الحاجة المرحلية.

وحاجة الواقع إلى الانتصار للقرآن الكريم يجعل هذا الكتاب مهماً بوصفه اللبنة التأسيسية الأولى لهذا الموضوع.

ويعد أهم سؤال يجيب عنه هذا الكتاب: ما الأسس النظرية والملامح المنهجية للانتصار للقرآن الكريم؟

و يهدف الكتاب إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما الانتصار للقرآن الكريم؟ وما مشروعيته؟ وما تاريخه؟ وما أهميته؟
- ما مظاهر الطعن في القرآن الكريم، وما مظاهر الانتصار له في الوقت الحاضر؟
- ما أصول الانتصار للقرآن وقواعده؟

وتكمن أهمية هذا الكتاب في تناوله تاريخ الطعن في القرآن والانتصار له وواقعهما، ومن ثم تقديم صورة منهجية مقترحة لجمع مسائل الانتصار وضبطها.

ويُؤمل أن يفيد من هذا الكتاب:

- **المتصدون للانتصار لكتاب الله**: حيث يعد مرجعاً لكل ما يتعلق بالموضوع، إضافة إلى أهمية القواعد النظرية في ممارسة الانتصار لكتاب الله عملياً، وأهميتها في نقد وتقويم محاولات الانتصار.

-**المتخصصون في الدراسات القرآنية**: يمكن أن يكون هذا الكتاب خطوة أساسية أولى لكثير من الدراسات والبحوث اللاحقة لتأسيس علم الانتصار للقرآن الكريم، وزيادة أثره في الواقع، ويمكن أن تُعدَّ النتائج التي وصلت إليها في هذا الكتاب إضافة نوعية جديدة إلى عملية حفظ القرآن وتطوير الدفاع عنه.

وتطلبت طبيعة البحث في هذا الكتاب الاعتماد على مناهج بحثية عدة، وهي:

-**المنهج الوصفي**: القائم على الاستقراء للوقوف على معنى الانتصار في اللغة، ومشروعيته في القرآن والسنة.

-**المنهج التوثيقي التاريخي**: القائم على جمع المادة العلمية باستقرائها من مظانها، ثم القيام بعملية استردادية للتراث تهدف إلى رسم ملامحه وحقائقه، وذلك عبر دراستين إحداهما سكونية وهي وصف عملية الانتصار للقرآن عبر حقبة معينة في التاريخ، والدراسة الثانية تكون بالنظر إلى عملية الانتصار عبر القرون؛ كيف كانت وكيف صارت وكيف ستؤول؛ وهذا يعني دراسة النشأة والتطور والمآل، وهي ما يطلق عليه الدراسات التطورية، ثم تصنيف النتائج وتوثيقها وعرضها بما يتناسب مع عناوين الكتاب.

-**المنهج التحليلي تفسيراً ونقداً واستنباطاً:**

أما التفسير والنقد فقد كانا منهجين أساسيين في بحثي في النصوص التاريخية؛ فقد وجدت نفسي أمام قضايا التراث مضطرة لفهم مقاصدها وتأويلها وشرحها ضمن

سياقاتها المقامية والزمانية حتى أستطيع رسم صورة متكاملة عن الانتصار للقرآن عبر القرون.

وأما الاستنباط فكانت أجلى صوره، وضع أصول وقواعد للانتصار للقرآن الكريم، وسبكها في نسق معرفي متكامل.

وقد استنبطت هذه الأصول والقواعد من كتاب الله وسنة نبيه ومنابع أخرى كثيرة، وقمت بإعادة إنتاجها ونحتها بما يتناسب مع موضوع الانتصار؛ ومن هذه المنابع كتب الأصول، وكتب علم المناظرة والجدل، وكتب المنطق، والكتب الحديثة التي عنيت بالمناهج، وكتب الانتصار للقرآن والردود على الفرق عند سلف الأمة، فالكثير من هذه القواعد مبثوث فيها إما على شكل نظري أو في شكل تطبيقي عملي.

ولم يكن رسم صورة نظرية للانتصار للقرآن سهلاً؛ فقد تجاذبت هذا الأمر موضوعات شتى من قضايا علوم القرآن، والتاريخ، والعقيدة، وتاريخ الفرق الإسلامية، وعلم الجدل، والفلسفات الحديثة، وغيرها من العلوم، وهذا استدعى مني البحث في علوم عدة، ومسائل شتى وقراءات مطولة حتى استطعت فك التداخل بين هذه العلوم، ورسم هوية خاصة لموضوع الانتصار.

وقد اتبعت في هذا الكتاب قواعد البحث العلمي المتعارف عليها من عزو، وتوثيق، واكتفيت بتخريج الأحاديث التي وردت في الكتاب من صحيح البخاري فقط، فإن لم أجد الحديث في البخاري فمن صحيح مسلم، فإن لم أجد رجعت إلى كتب السنة الأخرى.

قمت بتعريف الأعلام، والذين لم أجد لهم ترجمة في كتب التراجم كتبت تعريفاً بهم منقولاً عن الشبكة العنكبوتية.

قمت بشرح ما اعتقدت أنه يحتاج بياناً وتوضيحاً من المصطلحات.

وأخيراً أسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يضع له القبول بالفضل لا بالاستحقاق، وأن يتجاوز عن تقصيري، ويغفر لي ما فيه من السقطات والعثرات، فالكتاب بداية تأصيلية للانتصار، ومعلوم أن القصور في البدايات متوقع ومغفور، وعين الكاتب كليلة، وعين القارئ ناقدة بصيرة، فما كان في الكتاب من نقص فليتمه أهل الفضل، وما كان به من زلل فليصححه أهل العلم، فهذا الجهد مني وعلى الله التُكلان.

التمهيد

تعريف القرآن لغة واصطلاحاً

تعريف الانتصار لغة واصطلاحاً

مفردات ذات صلة بمصطلح الانتصار

التمهيد

تعريف الانتصار للقرآن الكريم

تعريف القرآن

القرآن في اللغة:

هو مصدر من قرأ وهو مرادف للقراءة[1]، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي -ﷺ- من باب إطلاق المصدر على مفعوله[2].

القرآن في الاصطلاح:

اتفق الأصوليون والفقهاء على قدر مشترك من التعريف الاصطلاحي للقرآن وهو: (كلام الله المعجز المتعبد بتلاوته المنزل على محمد-ﷺ-المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف).

تعريف الانتصار لغة:

الانتصار في اللغة من النصر وهو عون المظلوم، وانتصر الرجل: انتقم من ظالمه. والنُصرة حسن المعونة[3]، يقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ

---

(١) الفراهيدي، **العين: مرتباً على حروف المعجم**، ج٣، ص٣٦٩. ولا وجه في اللغة معتبر لمن جعل قرآن من قرء بمعنى الجمع، أو مشتق من قرنت الشيء بالشيء، بدليل غياب هذا الخلاف عن أول معاجم اللغة وهو معجم الفراهيدي، وكل توجيه للمعاني الأخرى لا يخلو من تكلف، وعليه لفظ قرآن مهموز وإذا حذف الهمز فهو للتخفيف، ينظر:
-الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ص١٦

(٢) الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ص١٦.

(٣) الفراهيدي، **العين**، ص٢٢٨،٢٢٧.

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾(الحج، ١٥).

وقيل النصر أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر، وتعدية النصر بمن لتضمنه الحفظ، وبعلى لتضمنه الغلبة، ونصرة الظالم منعه من الظلم[١]. و النصر التأييد وهو ضد الخذلان[٢].

والنون والصاد والراء أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه، ونصر الله المسلمين آتاهم الظفر على عدوهم، والعرب تقول: نصرت بكذا إذا أتيته؛ ولذلك يسمى المطر نصراً، والنصر العطاء[٣].

والانتصار من الظالم الانتصاف والانتقام، وانتصر منه انتقم[٤].

ونصر المظلوم ينصره نصراً ونُصوراً ونُصرةً : أعانه على عدوه وشد منه، ومن المجاز نصر الغيث الأرض نصراً: غاثها وسقاها، نصره منه: نجاه وخلصه، وانتصر الرجل إذا امتنع من ظالمه[٥].

والنقولات السابقة من المعاجم تطلعنا على معاني النصر في اللغة والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

- يأتي النصر بمعنى التأييد والمعونة وفيه معنى العطاء، أو بمعنى أخص وهو حسن المعونة، أو معنى أكثر تخصيصاً وهو المعونة لدفع الضر وفيه معنى الحفظ.

-والنصر مطلق الإتيان، وأخص منه إتيان خير وإيتاؤه.

---

(١)الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني(ت١٠٩٤هـ)، **الكليات: (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)**، مج٤، ص٣٦٩.

(٢) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن(ت ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، ج٢، ص٣٥٩.

(٣) ابن فارس، أبو الحسين أحمد(ت٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، مج٥، ص٤٣٥.

(٤) ابن منظور الإفريقي(ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، مج٥، ص٢١٠.

(٥) الزبيدي(ت١١٤٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج٧، ص٥٢٨، ص٥٣٤.

-والنصر الظفر والغلبة.

والانتصار من انتصر على وزن افتعل، وهو فعل مزيد من معانيه المبالغة؛ أي انتصر بالغ في النُصرة. فالانتصار لغة هو كل معاني النصر السابقة مضافاً لها:

-الامتناع من الظالم، والانتصاف، وأخص منه الانتقام.

-انتصر له: انتصف.

-انتصر منه: انتقم.

تعريف الانتصار للقرآن اصطلاحاً:

"يمكن تعريف الانتصار بالنظر لمعانيه اللغوية، وبالنظر للجهود المبذولة في الانتصار للقرآن الكريم تاريخياً بما يلي:

الانتصار للقرآن الكريم هو: العلمُ بالشبهاتِ المثارةِ على كتابِ الله، وبذل الوُسعِ في دفعِها وحفظِ كتابِ الله منها بجملة من العلومِ والوسائلِ النَقلية والعقليةِ والمادية"[1].

شرح التعريف:

-**العلم بالشبهات:** وهذا الشرط في التعريف من المعلوم بالضرورة، فلا يرد على أحد كلامه قبل معرفته وفهمه.

-**بذل الوسع في دفعها:** لأن الوسع يختلف من منتصر إلى آخر بحسب قدراته وبحسب موقعه العلمي والسلطوي، وذلك عملاً بقاعدة: مالا يدرك كله لا يترك جله، أو كما قيل: الميسور لا يسقط بالمعسور.

---

(١) قنبر، سهاد، علم الانتصار للقرآن الكريم: دراسة تأصيلية، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد٤١، الملحق٢، ٢٠١٤م.

-**جملة من العلوم والوسائل العقلية والنقلية والمادية**: وهذا ثبت بالاستقراء؛ فالانتصار يحتاج جملة من العلوم مثل علم الإعجاز وعلم مقارنة الأديان، وعلم الحجاج، وعلم المنطق، وغيرها..، كما أن الانتصار يجمع بين الوسائل العقلية[1] و الأدلة النقلية من كتاب وسنة ولغة، ويحتاج الانتصار كذلك إلى إجراءات مادية مثل الأخذ على يد الطاعن، أو الإعراض عن مجالسته، أو تمويل مؤسسات تعمل في الانتصار وما إلى ذلك"[2].

مفردات ذات صلة بمصطلح الانتصار:

استخدم المتقدمون من علماء الأمة مفردات متعددة قريبة من مصطلح الانتصار في رحلة دفاعهم عن كتاب الله، والوقوف على الفروق الدقيقة بين هذه المفردات واستخداماتها يحتاج إلى دراسة مستقلة؛ وما هذا إلا لأن المتقدمين لم يعرِّفوا هذه المفردات اصطلاحياً فكان لزاماً على الدارس استقراء استعمالاتهم لها ليقف على الفرق بينها، وهذا ليس من مقاصد الكتاب لهذا سأكتفي بالإشارة إلى بعض هذه المفردات.

من هذه المفردات القريبة:

النقض، الرَّد، الجواب، الدفاع، إزالة الشبهات، التنزيه، وغيرها من المفردات القريبة.

-**النقض**: والنقض في اللغة ضد الإبرام ومنه نقضت الحبل[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا

---

(١) مثل المنطق

(٢) المصدر السابق.

(٣) ينظر معنى النقض في كتاب:

-ابن دريد، **جمهرة، اللغة**، مج٣، ص٩٩.

-الفراهيدي، **العين مرتباً على الحروف الأبجدية**، ج٤، ص٢٥٨.

كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ (النحل: ٩٢).

ومثال الكتب التي استخدمت مصطلح النقض كتاب ابن تيمية(منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية).

وقيل إن لأبي الحسين الخياط المعتزلي كتباً كثيرة في النقوض على ابن الراوندي[1].

-الرَّد: والرد مصدر من ردد، والرَّد ما زيف من الدراهم فرد على ناقده بعد ما أخذ منه[2].

ومن الكتب التي استخدمت مفردة (الرَّد) كتاب ابن حنبل(الرد على الزنادقة والجهمية)، وكتاب الملطي(التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع)، وكتاب ابن تيمية(بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد).

-الجواب: من جوب، والجواب رديد الكلام[3] وجمعها الجوابات والأجوبة، مثل كتاب سفيان بن عيينة (جوابات القرآن)، وكتاب مقاتل بن سليمان(الجوابات في القرآن) وكلاهما مفقود، وكتاب ابن قيم الجوزية(هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)، وكتاب ابن تيمية(الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)[4].

-الدفع: يقول الفراهيدي: "دفعت عنه دفعاً ومدفعاً أي مَنَعتُ، ودافع الله عنك المكروه دفاعاً، وهو أحسن من دَفَع"[5].

---

(١) ابن المرتضى، أحمد بن يحيى(ت٨٤٠هـ)، طبقات المعتزلة، ص٨٥.

(٢) الفراهيدي، العين مرتباً على الحروف الأبجدية، ج٢، ص ١١٠، ١١١.

(٣) الفراهيدي، العين مرتباً على الحروف الأبجدية، ج١، ص٢٧١.

(٤) استخدم ابن تيمية في مؤلفاته مفردات متعددة مثل النقض، والجواب، والرد.

(٥) الفراهيدي، العين، ج٢، ص٣٤.

ومن الكتب التي أطلقت مفردة الدفع والدفاع كتاب محمد أمين الشنقيطي(دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب)، وكتاب عبد الرحمن بدوي(دفاعاً عن القرآن ضد منتقديه).

-**الإزالة**: تنحية الشيء عن مكانه[1]، ومن أمثلة الكتب التي ذكرت هذه المفردة كتاب(إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات) لابن اللبان.

-**التنزيه**: من نزه، و تدل الكلمة على بُعدٍ في مكان وغيره[2]، وقد جاءت هذه الكلمة في كتاب القاضي عبد الجبار (تنزيه القرآن عن المطاعن)، وفي كتاب منقذ السقار (تنزيه القرآن الكريم عن دعاوي المبطلين) وغيرهما.

هذا العرض السريع يبين أن مصطلح الانتصار أوسع من هذه المفردات لتضمنه حفظ كتاب الله بالعلوم الخادمة مع رد الشبهات؛ فللانتصار منحيان أحدهما بنائي مُتعلَقه كتاب الله، وآخر هدمي متعلقه الشبهات.

أما المفردات السابقة فمتعلقها الأكبر دفع جهات الطعن وتفنيد أدلة الطاعنين؛ أي جانب هدمي فقط دون الجانب البنائي.

---

(١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ١/ ٥٣٩.

(٢) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ٢/ ٥٥٥.

الفصل الأول

الانتصار للقرآن: المشروعية، والنشأة، والتاريخ

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مشروعية الانتصار للقرآن الكريم من القرآن والسنة

-الانتصار للقرآن في القرآن

-الانتصار للقرآن في السنة النبوية

المبحث الثاني: نشأة وتاريخ الانتصار للقرآن الكريم

-الانتصار للقرآن في عصر الصحابة

-الانتصار للقرآن في عصر التابعين وتابعيهم

-الانتصار للقرآن في القرن الرابع الهجري وما بعده.

الفصل الأول

الانتصار للقرآن : المشروعية والنشأة والتاريخ

يهدف هذا الفصل إلى رسم صورة للانتصار للقرآن الكريم من لدن نزوله إلى وقتنا الحاضر.

المبحث الأول

مشروعية الانتصار للقرآن الكريم من القرآن والسنة

المطلب الأول: الانتصار للقرآن في القرآن

منذ أن أنزل الله القرآن أُلقيت عليه الشبهات، ووجهت إليه المطاعن، وجوبه بالتكذيب والرفض والعداء، ولقد سطر القرآن لنا ما أثير حوله من شبهات وقت تنزله بكل وضوح وإنصاف، وتولى الدفاع عن نفسه بنفسه، ورد على الشبهات ونقضها، وجادل المكذبين والطاعنين، وقد كانت هذه الشبهات في أغلبها تدور حول التشكيك في مصدرية القرآن بطرق متعددة.

طرق التشكيك في المصدر الإلهي للقرآن عند المكذبين به من معاصريه:

١-التشكيك في البنية الداخلية للقرآن[١]:

كل تشكيك في البنية الداخلية هو طعن في المصدر الرباني للقرآن، لأن ربانية المصدر تعني الكمال والإعجاز المطلق، وعدم القدرة على المعارضة.

---

(١) البنية الداخلية هي اللغة والأسلوب والنظم والمضامين.

و للطاعنين طريقتان في هذا:

أ- التشكيك في إعجاز القرآن وادعاء القدرة على معارضته، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال: ٣١).

فجاء الانتصار من شبهتهم بإثبات إعجاز القرآن عن طريق تحديهم بمعارضته، وجاءت آيات التحدي في عشر سور وهي البقرة، آل عمران، الأعراف، الأنفال، التوبة، يونس، هود، القصص، الإسراء، الطور، **وهذا التحدي على مراتب:**

أولها: تحداهم بأن يأتوا بكتاب هو أهدى من كتب الله المنزلة التوراة والقرآن، قال تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (القصص: ٤٩).

وثانيها: تحداهم بأن يأتوا بمثله إن عجزوا عن الإتيان بأهدى منه، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨).

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الطور: ٣٤).

وثالثها: تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة، وحسن النظم، وجزالة اللفظ، وغيرها من وجوه إعجازه، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (هود: ١٣).

ورابعها: تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة مثله، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (يونس: ٣٨).

وخامسها: تحداهم بعد عجزهم عن الإتيان بسورة واحدة مثله، أن يأتوا بسورة قريبة

منه وهذا نهاية التحدي وإزالة العذر، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣).

ب-التشكيك في مضمون القرآن: ومثاله تكذيبهم بالبعث، يقول تعالى مخبراً عن طعنهم فيما جاء به القرآن من قضية بعث الله لمن في القبور: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (سبأ: ٧).

ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الجاثية: ٢٥).

٢-الطعن في شخص المبلغ للقرآن، وهو شخص النبي عليه الصلاة والسلام:

إن الطعن في شخص النبي عليه الصلاة والسلام هو تشكيك في مصدر القرآن وإنكار لربانيته، وقد ذكر القرآن في مواضع عدة شبهات الكفار فتارة يعترضون على بشرية النبي عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٨).

وتارة أخرى يتعجبون من نزول القرآن على شخص عادي لا يتميز عنهم في شيء، ويدفعهم هذا إلى المطالبة بأن يتنزل القرآن على من هو أغنى منه : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ (يونس: ٢).

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف: ٣١).

ويبلغ التعنت من الكفار مبلغه فيعطلون عقولهم ويتناسون سيرة محمد عليه الصلاة والسلام بينهم قبل الرسالة، ويتهمونه بالافتراء والكذب، ويتهمونه باستكتاب القرآن من علوم الأولين وأساطيرهم: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ (الفرقان: ٥).

﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥).

ويسجل القرآن تخبطهم في مزاعمهم، فالنبي عليه الصلاة والسلام عندهم شاعر، أو ساحر، أو مجنون، أو ثلاثتها، لكنه ليس رسولاً موحى إليه من ربه، والقرآن سحر وشعر وأساطير، ولكنه ليس كلام الله، فقال تعالى مخبراً عنهم:

﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥).

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴾ (الطور: ٣٠)

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ (ص: ٤)

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾ (الصافات: ٣٦)

٣-التشكيك في طريقة نزول القرآن:

اعترض اليهود على طريقة تنزل القرآن شفاهة، وسألوا الرسول عليه الصلاة والسلام أن يكون تنزل القرآن جملة واحدة مكتوباً فيعاينوه، وقد رد عليهم القرآن بإثبات تعنتهم بأنهم ضلوا بعد مجيء موسى بالألواح ومعاينتهم لها؛ وذلك بأن سألوا موسى رؤية الله جهرة، وبعد وقوع العقاب عليهم بالصاعقة التي أخذتهم عبدوا العجل فما كانت معاينة كتاب من السماء سبباً في إيمانهم من قبل، فَلِمَ تكون الآن؟

يقول تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾ (النساء:١٥٣)

ويبدو أن سؤال أهل الكتاب وتعنتهم في طلب كتاب من السماء كان مما أثاره الكفار في مكة، فقرر القرآن حقيقة أن التعنت سيبلغ منهم إنكار ما يرونه رأي العين وسيقولون هذا سحر وليس بحقيقة، يقول تعالى :﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأنعام:٧).

ومن الشبهات التي أثارها الكفار كذلك قضية النزول المفرق فرد عليهم القرآن هذا بذكر علة نزوله مفرقاً، يقول تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان: ٣٢).

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾(الإسراء: ١٠٦).

٤-التعنت بطلب المعجزات الحسية:

بلغ التعنت مبلغه عند المعاندين بأن أقسموا بالله وبالغوا بالقسم، لئن أتتهم معجزة قاهرة بينة ليؤمنن بها وهم كاذبون بأيمانهم، قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٩).

ثم بالغوا في تعنتهم بأن طلبوا من النبي-ﷺ- أن يقترح على الله أن يأتيه بمعجزة حسية، فجاء الجواب حاسماً لهم بأن معجزة واحدة تكفي، وهي القرآن، فكان حرياً بهم عدم المطالبة بمعجزة أخرى، قال تعالى:﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٣)

٥- التعنت باستعجال العذاب:

ومن تكذيب المشركين وتشكيكهم في المصدر الرباني للقرآن تعنتهم باستعجال

العذاب، يقول تعالى مخبراً عنهم :

﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الأنفال: ٣٢).

﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ٩٢).

٦- التعنت بالاستهزاء والسخرية:

وقد ذكر الله استهزاءهم ، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٤).أي يقولون: أيهم زادته هذه إيماناً؛ استهزاء بكتاب الله وطعناً فيه.

ولم يقتصروا على التعنت بالاستهزاء بل ذهبوا أبعد من هذا وسوغوا مطاعنهم عند المساءلة بالمزاح والتسلية، فأجابهم القرآن بأن آيات الله ورسوله ليست موطناً للعب والسخرية، يقول تعالى :﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (التوبة: ٦٥).

٧-إثارة الفتنة والإلحاد في تأويل المتشابه من القرآن:

يقول تعالى مخبراً عنهم:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ٧).

والطعن عن طريق الإلحاد في التأويل لم يذكر كثيراً في القرآن، لأن التأويل هو اعتراف ضمني بكتاب الله، وهذا مالا يريده الطاعنون، إضافة لاستحالة الإلحاد في

التأويل لوجود مرجعية التأويل بين ظهرانيهم ألا وهي شخص النبي عليه الصلاة والسلام ؛ لهذا كانت المطاعن تدور حول التشكيك في مصدر القرآن، ولم يغادر القرآن مطعناً واحداً لمعاصريه وقت تنزله لم يذكره ولا نبالغ إن قلنا إنه لا تكاد تخلو سورة من ذِكر مطعن؛ ولهذا حفل كتاب الله بالردود على هذه المطاعن، وكان الانتصار لكتاب الله في القرآن يسير وفق منهج دقيق.

واتسم منهج القرآن في الانتصار بسمات عامة نلخصها فيما يلي:

١-السهولة والوضوح واليسر والبعد عن تعقيدات المتكلمين :

وقد علل الزركشي سبب ورود أدلة القرآن بهذه السهولة واليسر بسببين **أولهما**: بأن الله أورده على عادة العرب لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم: ٤).

وثانيهما:"أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام؛ فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون، لم يتخط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ..."(١).

٢- تنوع طرق القرآن في الانتصار ومخاطبة العقل والوجدان:

التنوع أمر يتطلبه اختلاف الناس، لهذا زاوج القرآن بين العقل والعاطفة، وهذه المزاوجة تجعل من الإفحام والإلزام بالحجة البينة للطاعن في كتاب الله ليس مقصداً نهائياً؛ فقد استحضر القرآن مقصد الإرشاد و الهداية والأخذ بيد الطاعنين إلى الحق، إضافة إلى مقصد حماية سواد المسلمين من التأثر بالشبه التي يلقيها هؤلاء.

---

(١)الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج٢، ص٢٣.

ويظهر الخطاب القرآني جامعاً بين العقل والعاطفة جلياً في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ (يونس: ٥٣).

فقد كان سؤالهم أحد طرق التكذيب جاؤوا به في صورة المستفهم الطالب للحق فجاء الجواب (قل إي وربي إنه لحق) وهو مشحون بالمؤكدات اللفظية فجمع(إي) وهو حرف جواب يحقق به المسؤول عنه، وبين الجملة الدالة على ما دل عليه حرف الجواب وبالقسم و(إن) و(لام الابتداء)، وكل هذه المؤكدات اللفظية من الأجوبة الإقناعية، فأجابهم القرآن على ظاهر كلامهم وخلاف مرادهم منه اغتناماً لفرصة إرشادهم[1].

ثم جاء ختام الآية مستحضراً قصدهم من السؤال وهو التكذيب، بقوله:(وما أنتم بمعجزين) وفيه من الترهيب ما فيه، محركاً به عواطفهم فمن لا يجدي معه الإقناع قد يحركه خطاب العاطفة من ترهيب وترغيب.

ومن الانتصار بالحجة العقلية في القرآن، قوله تعالى :﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الأحقاف: ٨).

أرشد القرآن الرسول عليه الصلاة والسلام في الآية السابقة أن يرد على المشككين الطاعنين في مصدرية القرآن، بحجة عقلية مفحمة قائلاً: "..إن افتريته على سبيل الفرض، فإن الله تعالى يعاجلني بعقوبة بطلان ذلك الافتراء، وأنتم لا تقدرون على دفعه من معاجلتي بالعقوبة، فكيف أقدم على هذه الفرية وأعرض نفسي لعقابه؟"[2].

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج ٥، ج١١/ ١٩٦.
(٢) الرازي، التفسير الكبير، مج١٠، ص٨.

٣-الإيجاز وهو خصيصة الإعجاز:

من خصائص الانتصار في القرآن الإيجاز، يقول تعالى مخبراً عن طعنهم فيما جاء به القرآن من قضية البعث، أنهم طالبوا تعنتاً ببعث آبائهم ليشهدوا لهم بالبعث:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (الجاثية:٢٥).

يقول الرازي عن شبهتهم بأنها:"..ضعيفة جداً، لأن ليس كل ما لا يحصل في الحال وجب أن يكون ممتنع الحصول، فإن حصول كل واحد منا كان معدوماً من الأزل إلى الوقت الذي حصلنا فيه، ولو كان عدم الحصول في وقت معين يدل على امتناع الحصول لكان عدم حصولنا كذلك، وذلك باطل باتفاق"[1] ثم دفع القرآن هذه الشبهة بقوله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الجاثية: ٢٦).

ولنا أن نتساءل كيف يجوز إبطال كلام السائل بقوله:﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ وهم يكذبون أصلاً بوجود الله كما أخبر الله عنهم:﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية: ٢٤).

ألا يعد هذا الجواب إثباتاً للشيء بنفسه وهو باطل؟ يجيب الرازي على هذا التساؤل بقوله: إن الله تعالى "..ذكر الاستدلال بحدوث الحيوان والإنسان على وجود الفاعل الحكيم في القرآن مراراً وأطواراً؛ فقوله هاهنا (قل الله يحييكم)إشارة إلى تلك الدلائل التي بينها وأوضحها مراراً، وليس المقصود من ذكر هذا الكلام إثبات الإله بقول الإله، بل المقصود منه التنبيه على ما هو الدليل الحق القاطع في نفس الأمر"[2]. وهذا من إيجاز القرآن في ردود الشبهات فقد أحالهم إلى الدلائل في مواطن أخرى من كتاب الله.

---

(١) الرازي، التفسير الكبير، مج٩، ص٦٧٩.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، مج٩، ص٦٧٩.

وإذا أردنا مثالاً آخر ففي سورة ق يقول تعالى: ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (ق: ١ – ٢).

وتقرر الآية حقيقة أنهم لم يقتنعوا في صدق الأمر ولم يطرحوه بالترك واستبعاد الإمكان، بل ذهبوا أبعد من هذا وجزموا بخلافه حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة، وقد سمى الرازي الإيجاز في هذا الموضع" الاختصار العظيم" فقد حُذف المقسم عليه، والمُضرب عنه، "فإن قيل فما الحكمة في هذا الاختصار العظيم في موضع واحد حذف المقسم عليه والمضرب عنه، وأتى بأمر لا يفهم إلا بعد الفكر العظيم ولا يفهم مع الفكر إلا بالتوفيق العزيز؟ فنقول إنما حذف المقسم عليه لأن الترك في بعض المواضع يفهم منه ظهور لا يفهم من الذكر، وذلك لأن من ذكر الملك العظيم في مجلس وأثنى عليه يكون قد عظمه، فإذا قال له غيره هو لا يذكر في هذا المجلس يكون بالإرشاد إلى ترك الذكر دالاً على عظمته فوق ما يستفيد صاحبه بذكره؛ فالله تعالى يقول:لبيان رسالتك أظهر من أن يذكر، وأما حذف المضرب عنه، فلأن المضرب عنه إذا ذكر وأضرب عنه بأمر آخر إنما يحسن إذا كان بين المذكورين تفاوت ما، فإذا عظم التفاوت، لا يحسن ذكرهما مع الإضراب، مثاله يحسن أن يقال الوزير يعظم فلاناً، بل الملك يعظمه، ولا يحسن أن يقال البواب يعظم فلاناً، بل الملك يعظمه لكون البون بينهما بعيداً، إذ الإضراب للتدرج، فإذا ترك المضرب عنه صريحاً وأتى بحرف الإضراب استفيد منه أمران أحدهما: أنه يشير إلى أمر آخر قبله وثانيهما أنه يجعل الثاني تفاوتاً عظيماً مثل ما يكون ومما لا يذكر، وهنا كذلك لأن الشك بعد قيام البرهان بعيد، لكن القطع بخلافه في غاية ما يكون من البعد"[١].

وفيما سبق ذكره كفاية في التدليل على الإيجاز في انتصار القرآن.

---

(١) الرازي، التفسير الكبير، مج١٠، ص١٢٣.

٤ -الجمع بين الترغيب والترهيب:

جمع كتاب الله بين الترغيب والترهيب ،وجاء الترغيب في كتاب الله مناسباً لحال الطاعن، فقد رغب مشركي العرب بأن القرآن فيه ذكر لهم وعلو منزلة يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٤)

ورغب أهل الكتاب بطريق الاستثناء والتبعيض والتخصيص من عموم أهل الكتاب المذمومين في القرآن، إضافة إلى استخدام ألفاظ توحي بنفي التعميم، يقول تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٠٠)

﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٣)

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(آل عمران: ١٩٩)

فكلمة (فريقاً)،وكلمة (ليسوا سواء)، و(من)التبعيضية ،في الآيات الثلاث السابقة على التوالي فيها خروج من التعميم في ذم أهل الكتاب، وترغيبٌ لمن فيه بقية خير من أهل الكتاب للحاق بغيره ممن عرف الحق، قال تعالى في وصف من آمن منهم:﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (المائدة: ٨٣).

ووقع الترهيب في مواقع عدة في كتاب الله وتناسب كذلك مع حال الطاعن كقوله

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (النساء: ٤٧).

ومن الترهيب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (فصلت: ٤٠)، جمعت الآية ترهيباً وترغيباً فكلمة لا يخفون علينا تحمل في طياتها تهديداً كبيراً؛مثل صاحب السلطة يقول لمن هم تحت سلطته: من يفعل كذا، أعرفه.

وذكر القرآن مطاعنهم في سورة الإسراء، ثم جاء الترهيب من عاقبة استمرار الكفار على ما هم عليه: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾ (الإسراء: ٩٧ – ٩٨).

٥-تناسب الانتصار مع حال الذين يلقون الشبهات:

فالانتصار للقرآن من مطاعن المشركين يختلف عن الانتصار من أهل الكتاب، ويختلف عن الانتصار من المنافقين؛ فالتحدي بإعجاز القرآن ناسب الكفار من قريش لأنهم أهل فصاحة وبلاغة، وناسبهم الانتصار بدعوتهم للتفكر واستخدام العقل وتذكيرهم بمعرفتهم السابقة للنبي وصحبتهم له :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس: ١٦)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٦٩)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ: ٤٦).

في الآيات السابقة تعابير تنبئ عن طول مكث الرسول بينهم قبل الرسالة سنوات طويلة مما يجعل أي افتراء يفقد مصداقيته إذا لم ينسجم مع ما عرفوا عليه محمداً عليه الصلاة والسلام قبل البعثة .

وقد وقع الانتصار من أهل الكتاب في القرآن بأن دعاهم للتحاكم إلى كتبهم المقدسة لوجود دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام فيها، فلما أبوا، ثبت أن تكذيبهم للقرآن هو رفض وإعراض لما في كتبهم، وهذا يثبت أن القضية لا علاقة لها بمصدرية القرآن؛ لأنهم كذبوا وأعرضوا عن كتبهم التي يقرون بألوهيتها قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (آل عمران: ٢)

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (المائدة: ١٥)

وما ذكرناه آنفاً من ملامح الانتصار للقرآن في القرآن إنما قصدنا به إلقاء الضوء على أهمية القضية في كتاب الله، والتمثيل لها وليس الاستقراء الحصري(١).

وقد كتب الأولون في منهج القرآن في سَوقِ الأدلة والبراهين وإقامة الحجة على المكذبين الضالين.

---

(١) ولم أفصِّل في الحديث عن منهج القرآن في الانتصار لأن هذا ليس من مقاصد هذا المبحث، وحتى لا أقع في التكرار عند الحديث عن أصول وقواعد الانتصار للقرآن، لأن الكثير منها سيكون معتمداً على منهج القرآن.

وأفرده نجم الدين الطوفي[1] بالتأليف في كتابه(علم الجذل في علم الجدل)، واستقر هذا العلم ضمن علوم القرآن تحت مسميات عدة منها جدل القرآن [2]، أوحجج القرآن الكريم[3]، أو نظام الإقناع القرآني[4]، وبقطع النظر عن الاختلاف في المسميات، فإن بين الانتصار للقرآن وجدل القرآن وشائج وصلات، ومميزات مشتركة، وعموم وخصوص.

---

(١) نجم الدين الحنبلي الطوفي(ت٧١٦هـ): سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، فقيه حنبلي، من العلماء، الأعلام للزركلي (٣/ ١٢٨).

(٢) الزركشي،**البرهان في علوم القرآن**، ج٢، ص٢٣.

(٣)عباس، فضل حسن، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ج٢، ص٣٠٨

(٤)دراز، محمد عبد الله، **مدخل إلى القرآن الكريم:عرض تاريخي وتحليل مقارن**، ص٧٣.

المطلب الثاني: الانتصار للقرآن في السنة النبوية

سجلت لنا كتب الحديث والسيرة كما سجل القرآن بكل إنصاف وأمانة كل الشبهات والمسائل والإشكالات التي أثيرت في زمن النبي عليه الصلاة والسلام وردوده عليها، **واستهدفت هذه الردود:**

١-المشركين.

٢-أهل الكتاب.

٣-الإجابة عما أشكل على الصحابة فاختلفوا فيه.

١-الانتصار للقرآن من المشركين:

تعد قصة عتبة بن ربيعة[1] المشهورة أفضل مثال يصور لنا شبهات مشركي قريش ورد الرسول عليهم.

روى ابن كثير في تفسيره لسورة فصلت أن جابر بن عبد الله[2] رضي الله عنه قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا

---

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب أبو الوليد القرشي العبشمي، كان شاعراً، قتل يوم بدر كافراً. ونقل عن مجاهد أن الآية:(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) هي في عتبة بن ربيعة وكان ريحانة قريش يومئذ؛ وقد قيل عنه "ما سمعنا أحداً ساد بغير مال إلا عتبة بن ربيعة .ينظر:

-ابن عساكر، تاريخ دمشق الكبير، عناية العلامة أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي، مج٢٠، ج٤٠، ص١٧٥ وما بعدها.

(٢) جابر بن عبد الله(ت٧٨هـ): جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي، صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، روى عنه جماعة من الصحابة، روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثاً، له ولأبيه صحبة، غزا تسع عشرة غزوة، وكانت له أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ فيها عنه العلم، عمي قبل موته.ينظر:أسد الغابة في معرفة الصحابة (١/ ٣٠٧)، والإصابة(١/ ٤٣٤).

الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه، ولننظر ماذا يرد عليه - رسول الله -ﷺ-فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت الرسول عليه الصلاة والسلام، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت الرسول ﷺ، فقال إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عِبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة[1]قط أشأم على قومك منك؛ فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش واحدا، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، فقال رسول الله ﷺ: فرغت؟ قال نعم، فقال رسول الله -ﷺ-: "بسم الله الرحمن الرحيم :﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (فصلت: ١ - ٢) حتى بلغ: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ (فصلت: ١٣) فقال عتبة: حسبك حسبك ما عندك غير هذا؟ قال رسول الله -ﷺ-: لا. فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمون به إلا كلمته، قالوا فهل أجابك؟ قال: نعم، لا والذي نصبها بُنية[2]ما فهمت شيئاً مما قاله غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قالوا: يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال، قال: والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة.

وقد جاءت روايات أخرى يقول في بعضها عتبة بن ربيعة لقريش وقد رجع إليهم:(والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، فأطيعوني في هذه وأنزلوها بي، خلوا محمداً واعتزلوه فوالله ليكونن لما سمعت من قوله نبأ، فإن أصابته العرب فقد كفيتموه بأيدي غيركم، وإن

---

(١) السخلة: ولد الشاة.

(٢) بضم الباء يقصد الكعبة.

كان ملكاً أو نبياً كنتم أسعد الناس به لأن ملكه ملككم، وعزه عزكم، وشرفه شرفكم. فقالوا: هيهات، سحرك محمد يا أبا الوليد، قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما شئتم)[1].

وقد ذكر ابن كثير هذه القصة في تاريخه مع اختلافات طفيفة تحت عنوان: (مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجة الدامغة عليهم)[2].

دلالات قصة عتبة بن ربيعة:

-لم يخرج تكذيب المشركين وطعنهم في مصدرية القرآن عن بيئتهم البدوية ومعتنقاتهم القبلية؛ فقد كان حجاجهم بسيطاً خالياً من التعقيدات الكلامية، ركزوا فيه على تعظيم القبيلة والأجداد والآباء، وظهر ذلك في سؤال عتبة للنبي عن أفضلية أبيه وجده عليه.

وظهر في إغراءات عتبة للنبي عليه الصلاة والسلام تقييم المشركين للمال والنساء والجاه وعلو الذكر بين القبائل، وبدا في القصة كذلك قضية الخرافات التي كانت منتشرة في الصحراء مثل الكهانة والسحر ويبدو من حديث عتبة أن هذه كانت من الأشياء المذمومة مما يشينهم أن يكون بينهم مثل هؤلاء.

وتجلت عقلية السيف في قول عتبة: "...والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى "، وهذه العقلية هي التي حدت بهم إلى التآمر على قتل الرسول عليه الصلاة والسلام قبيل هجرته.

-أظهرت لنا القصة حسن استماع الرسول عليه الصلاة والسلام للخصم وعدم إجابته على أسئلته الجزئية حتى انتهى من عرض قضيته كاملة، وتأكد من هذا عليه

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق الكبير، ص١٨٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية،ج٣، ص٦٠-٦١.

الصلاة والسلام بسؤاله:"فرغت؟"، ولم تسجل لنا القصة دفاع النبي عن شخصه، واقتصر انتصار النبي على تلاوة آيات من كتاب الله، فقد علم عليه الصلاة والسلام أن إعجاز القرآن كاف ليحدث هزة عظيمة في نفوس هؤلاء العرب الأقحاح، وهذا الإعجاز كاف لإثبات مصدريته، وقد وقع اختيار الرسول ﷺ في رده كلام عتبة على فاتحة سورة فصلت لما فيها من التعريف بالله وبكتابه، وما فيها من الترهيب بصاعقة تصيبهم تشبه ما عرفوه من العذاب الذي أصاب المكذبين الأولين عاداً وثمود.

٢-الانتصار للقرآن من أهل الكتاب:

يختلف الانتصار للقرآن من أهل الكتاب عن الانتصار من مشركي قريش وإن كان المطعن واحداً وهو مصدرية القرآن؛ فأهل الكتاب مؤمنون بالنبوات عموماً إلا أنهم أنكروا نبوة محمد عليه الصلاة والسلام استكباراً وخوفاً على نفوذهم العلمي الذي يحقق لهم مكاسب اقتصادية واجتماعية.

ويعدّ إيمان أهل الكتاب بالنبوات وتسلسلها من لدن إبراهيم عليه السلام وعدم القول بانقطاعها حجة عليهم في عدم إيمانهم بمحمد عليه الصلاة والسلام، وقد كان لرسول الله -ﷺ- آليات في التعامل مع هذه القضية ومن هذه الآليات:

أ-التأكيد على عمق الرابطة بين الرسول عليه الصلاة والسلام والأنبياء السابقين:

شرع النبي عليه الصلاة والسلام صيام يوم عاشوراء مع بداية مقدمه إلى المدينة عندما وجد اليهود يعظمونه، ويصومونه؛ لأنه يومٌ صامه موسى شكراً لله على نجاته وغرق آل فرعون، فقال عليه الصلاة والسلام: (نحن أولى بموسى منهم)، فصامه وأمر بصيامه(١).

---

(١) صحيح البخاري، متن فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: (وهل أتاك حديث موسى-وكلم الله موسى تكليماً)، ج٦/ ٥٣١، حديث رقم ٣٣٩٧.

وأورد البخاري أحاديث عدة عن الرسول ﷺ و نهيه أن يفضلوه على موسى عليه السلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:"استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً -ﷺ- على العالمين-في قسم يقسم به-فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله"[(١)].

ب-التأكيد على طباع أهل الكتاب في التحريف والتبديل وإيذاء الأنبياء:

وقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله-ﷺ- قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، فبدلوا، ودخلوا يزحفون على أستاهم وقالوا حبة في شعرة"[(٢)].

وكان عليه الصلاة والسلام يروي قصص إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام في مناسبات عدة ، وكان إذا أوذي قال: "يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر"[(٣)].

ج-رواية الرسول لقصص أهل الكتاب من تراثهم:

مثل قصة الأبرص والأعمى والأقرع[(٤)]، وغيرها من القصص، وهذا من دلائل

---

(١) صحيح البخاري، متن فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعدُ، ٦/ ٥٤٤، حديث رقم ٣٤٠٨.
(٢) صحيح البخاري، متن فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٢٨، حديث رقم ٣٤٠٣، م/ ٥٣٨.
(٣) صحيح البخاري، متن فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٢٨، ٦/ ٥٣٨، حديث رقم ٣٤٠٤، وحديث رقم ٣٤٠٥وفي الحديثين إيذاؤهم لموسى عليه السلام.
(٤) صحيح البخاري، متن فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع من بني إسرائيل، ٦/ ٦٢٠، حديث رقم ٣٤٦٤.

نبوته، وهو الأمي الذي لم يقرأ كتاباً من قبل.

د-التأكيد على مرجعية القرآن وبطلان مرجعية كتبهم بعد البعثة:

وقد كان اليهود قبل الإسلام يحدثون العرب من كتبهم فلا يجدون لهم معارضاً فالعرب أمة أمية لا كتاب لها، إلا أن هذا الوضع تغير بعد مقدم النبي إذ بالرغم من وحدة دعوة النبوات، وبالرغم من التوافق النسبي بين القرآن والكتب السابقة، والذي كان يثير إعجاب الصحابة وفضولهم، إلا أن المرجعية منذ الآن فصاعداً هي لكتاب الله، وقد روي عن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: جاء حبر من اليهود فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، فلقد رأيت النبي يضحك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقوله، ثم قال النبي ﷺ: (وما قدروا الله حق قدره-إلى –قوله يشركون"[1] وتلاوة الرسول للآية إرشاد للمؤمنين أنه لا مرجعية بعد البعثة إلا للقرآن وضحك النبي عليه الصلاة والسلام هو لتخليط اليهود وتحريفهم، وإن كلمة تصديقاً وَهمٌ وزيادةٌ من الراوي لا سيما أن هناك روايات بدون هذه الزيادة[2].

وعن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل -الآية"[3]، وهذا النهي حتى لا يكذب كتاب الله في حال صدقوا مرة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد،باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، مـج ١٣، حديث رقم٧٥١٣.

(٢) وقد نقل ابن حجر في أكثر من موضع كلاماً وافياً لابن بطال في تأكيد أن ضحك النبي لتخليطهم وتجسيمهم وتحريفهم.

(٣) صحيح البخاري، متن فتح الباري، كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقول الله تعالى:(قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين)، ١٣/ ٦٣١، حديث رقم٧٥٤٢.

في الإخبار عن الذي في كتبهم وإن كان الكذب بالعموم خصيصة لهم، وقد حدث معاوية رهطاً من قريش عن كعب الأحبار فقال:"إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا –مع ذلك- لنبلو عليه الكذب"[١].

هـ-الإجابة على أسئلة أهل الكتاب، والانتصار لكتاب الله من مطاعنهم:

وكان عليه الصلاة والسلام يجيب عما يمكن أن يكون طعناً في كتاب الله ومثاله حديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ :"لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا :إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ يَا أُخْتَ هَارُونَ وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا . فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ "[٢].

وفي الحديث تشكيك بمصداقية القرآن وصحته واتهام له بالتعارض، والغريب أن هذا الإشكال مازال حاضراً في وقتنا، وهذا يتسق مع ما قاله الشهرستاني أن شبهات أمة كل نبي وصاحب كل ملة وشريعة في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين[٣].

وكان يهود المدينة يتعنتون الرسول بالأسئلة كسؤالهم له عن الروح[٤]، عن عبد الله رضي الله عنه قال:"بينا أنا مع رسول الله ﷺ في حرث-وهو متكئ على عسيب-إذ مر

---

(١) صحيح البخاري، متن فتح الباري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، مج١٣، حديث رقم٧٣٦١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب : النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب، (١٤/ ٢٩٧)، حديث رقم : ٢١٣٥، ينظر متن شرح النووي، محي الدين(ت٦٧٦هـ)، **شرح صحيح مسلم**.

(٣) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد(٤٧٩-٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، الجزء الأول، المقدمة الرابعة، ص٢١.

(٤) وذكر ابن حجر رواية رواها الترمذي سندها رجاله رجال مسلم، عن ابن عباس قال: قالت قريش أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا سلوه عن الروح، فسألوه فأنزل الله:"ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي"وقال ابن حجر فإن لم يسغ القول بتعدد النزول فرواية البخاري أصح وسؤال اليهود هو في المدينة.

اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه،فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي. فلما نزل الوحي قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥)"[١].

و-الحرص على غشيان مجالس اليهود وأماكن مدارستهم لكتبهم المقدسة:

ولم يكن الرسول-ﷺ- يجد حرجاً في أن يستنفر المسلمين ليخرجوا معه إلى الأماكن التي يتلقى فيها اليهود علومهم ليبلغهم ويدعوهم..

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:"بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس[٢]، فقام النبي فناداهم: يا معشر يهود، أسلموا تسلموا. فقالوا بلغت يا أبا القاسم. فقال ذلك أريد. ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم . ثم قال الثالثة فقال: اعلموا أن الأرض لله ورسوله وإني أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله"[٣]

٣-الإجابة عما أشكل على الصحابة فاختلفوا فيه:

إضافة لرد شبهات المشركين وأهل الكتاب كان النبي-ﷺ- يجيب عن مسائل الصحابة فيما يخص كتاب الله.

وكان للنبي عليه الصلاة والسلام منهجية متميزة في الإجابة عن أسئلة الصحابة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ويسألونك عن الروح، مج٨، حديث رقم ٤٧٢١، (متن فتح الباري).

(٢) قال الزمخشري المدراس بيت تدرس فيه التوراة.

-الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، مادة درس، ص٢١٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإكراه، باب في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره، مج١٢، حديث رقم ٦٩٤٤، ينظر متن فتح الباري.

تارة بجواب، وتارة بتوجيه ،وتارة بنهي وردع وزجر؛ لما للخوض في بعض الأمور من فتن وتشويش على الأمة، ولا سيما أن الناس كانوا حديثي عهد بجاهلية ،ومنه نهيه عليه الصلاة والسلام عن كثرة السؤال فقد أجاب من سأله عن وجوب الحج في كل عام ".....ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم .فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ،وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه."[١] وأخرج البخاري في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن النبي ﷺ قال :"إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته"[٢]ونهى عليه الصلاة والسلام عن التكلف لما فيه من إثارة الشبهات أخرج البخاري عن أنس قال :كنا عند عمر فقال: نهينا عن التكلف"[٣].

وقد كان الصحابة أشرف الخلق وأكملهم إيماناً، إلا أن هذا الاستسلام المطلق لله ورسوله لم يمنع من أن تحيك في صدورهم وساوس وشكوك وأسئلة ما ورائية، فهذه طبيعة العقل البشري الذي يتفلت ليفكر في ما لا طاقة له بإدراكه، وطبيعة النفس الإنسانية التي تتوق للمعرفة اللامتناهية؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فسألوه إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: وقد وجدتموه؟ قالوا نعم، قال: ذلك صريح الإيمان"[٤]، وقد بين الرسول للصحابة أن استعظامهم الكلام بما وجدوا في صدورهم هو صريح الإيمان.

---

(١)رواه مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة، (٨/ ٤٦٣)، حديث رقم ٤١٢، (ينظر متن شرح النووي).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لايعنيه وقوله تعالى: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، (١٣/ ٣٢٨)، حديث ٧٢٨٩، (متن فتح الباري).

(٣) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لايعنيه وقوله تعالى: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، (١٣/ ٣٢٩)، حديث ٧٢٩٣، (متن فتح الباري).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله سبحانه وتعالى عن حديث النفس، حديث٢٠٩، (شرح النووي، ص٣١٥).

وقد كان يدخل على الصحابة الشك بسبب جهلهم بقضية ما، فيعلمهم الرسول ويكشف لهم ما جهلوا؛ عن أبي بن كعب قال:" كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ فحسن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً وكأنما انظر إلى الله عز وجل فرقاً، فقال لي: يا أبي أُرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثانية اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام" (١).

وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ في سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ كذلك، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم ثم لببته بردائه-أو بردائي-فقلت:من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله -ﷺ-. قلت له كذبت فو الله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها. فانطلقت أقوده إلى رسول الله فقلت له: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان. فقال رسول الله -ﷺ-: أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها. فقال رسول الله -ﷺ-: هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأ يا عمر، فقرأت، فقال: هكذا أنزلت ثم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم ٢٧٣، (شرح النووي، ص ٤٢٣).

قال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه"[1].

ومن دلالات الروايات السابقة:

-أن مرجعية الصحابة واحدة هي النبي عليه الصلاة والسلام.

-لم يُعنّف الرسول أحداً من الصحابة على شكوكه ولا على طريقة انتصاره لكتاب الله، بل أقصى ما كان منه أن أقر الصحابة على استعظامهم النطق بها يجول في أنفسهم وفي هذا إرشاد نبوي للتعامل مع الشبهات الداخلية؛ وهو عدم التلفظ بها، فالله لا يؤاخذ البشر بها في نفوسهم مالم يتكلموا به، وعالج ما جال في نفس أُبي رضي الله عنه من التكذيب بتنبيه فيزيائي وهو ضربة في الصدر ليخرجه من الحالة النفسية التي انتابته، ثم عالجه بتعليمه ما جهل وبين له الحكمة من الأحرف والألطاف الربانية فيها ليزيد من يقين أُبي رضي الله عنه، ولم يعنف النبي ﷺ عمر بن الخطاب في استخدام العنف انتصاراً لكتاب الله من قراءة هشام التي أنكرها عمر، واكتفى بإرشاده قائلاً: "أرسله يا عمر"ثم بين لعمر ما خفي عنه .

إلا أن هذه الروايات تبدو للناظر متعارضة مع روايات غضب فيها الرسول أشد الغضب، ومنها رواية عبد الله بن عمر قال: "هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه يوماً. قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب"[2]وأمرهم عليه الصلاة والسلام أن يقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبهم، وأمرهم إن اختلفوا فيه أن يقوموا[3]. وهذا الغضب لنبي الله يقودنا لسؤال مشروع: لماذا غضب الرسول

(١) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، (١٢/ ٣٧٥)، حديث رقم ٦٩٣٦، (متن فتح الباري).

(٢) رواه مسلم،كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، حديث رقم ٢٦٦٦.

(٣) نص الحديث رواه مسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن،حديث رقم ٢٦٦٧، ورواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الاختلاف، حديث رقم ٧٣٦٤.

عليه الصلاة والسلام في مواطن ولم يغضب في مواطن؟

ما يظهر لي والله أعلم أن أي تساؤل من الصحابة أو شك هو مشروع إذا كانت المرجعية واضحة، وبالمقابل فكل اختلاف في القرآن تغيب عنه المرجعية هو اختلاف مرفوض وفي هذا إرشاد للصحابة ومن سيأتون بعدهم أن القرآن حمال أوجه، والنبي وسنته مرجع عند الاختلاف في كتاب الله، فإذا لم تتضح الأمور فالأولى التوقف، وهذا منهج نبوي دقيق في التعامل مع كتاب الله.

المبحث الثاني: تاريخ الانتصار للقرآن الكريم

من الأهمية بمكان التأريخ لعملية الانتصار للقرآن عبر القرون والقيام بعملية استردادية للتراث للوقوف على ملامح وحقائق الانتصار للقرآن عند سلف الأمة.

ولا يمكن بحال التأصيل لأي موضوع دون القيام بهذه الدراسة التاريخية لمعرفة كيف كان الانتصار وكيف صار وكيف سيؤول.

-الانتصار للقرآن في عصر الصحابة:

إن أية محاولة للتعرف على منهج الصحابة في الانتصار لكتاب الله تضعنا أمام حاجة حقيقية للتعرف على الرؤية التي تكمن خلف المنهج، والواقع الذي أنتج هذه الرؤية، فإهمال هذه العوامل يجعل من الانتصار للقرآن في عهد الصحابة مجموعة تناقضات يصعب تفسيرها.

توفي الرسول عليه الصلاة والسلام وأحس صحابته أن الأرض مادت تحت أقدامهم لا لفقد الحبيب فقط ولكن لانقطاع خبر السماء، وقد روي عن أبي بكر الصديق أنه قال لعمر بعد وفاة رسول الله ﷺ: انطلق بنا إلى أم أيمن[1]نزورها كما كان رسول الله -ﷺ- يزورها فلما انتهينا إليها بكت ،فقالا لها ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله -ﷺ- ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها"[2].

---

(١) بركة بنت ثعلبة، مولاة النبي ﷺ ،كان يحبها ويناديها :"يا أمه "أي يا أمي، وإذا نظر إليها يقول: "هـذه بقية أهل بيتي"، توفيت في خلافة عثمان. ينظر كتاب:

-ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، كتاب النساء، ٨/ ٣٥٨ وما بعدها.

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن ثابت بن أنس ،كتاب فضائل الصحابة ،باب من فضائل أم أيمـن رضي الله عنها، ص١٠ ،حديث ١٠٣.

لكن الله سلّم، ولطف بالمسلمين، ولمّ شعثهم، وجمع كلمتهم على أبي بكر، ولم تطب نفس أحدهم أن يتقدم على من قدمه رسول الله للصلاة، وقد روى الحاكم والنسائي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للأنصار يومذاك: ألستم تعلمون أن رسول الله -ﷺ- قدم أبا بكر للصلاة؟ قالوا: بلى، قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم من قدمه رسول الله -ﷺ-، قالوا: لا أحد[1].

وفي اليوم الثاني من بيعة المسلمين لأبي بكر رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة دُعي إلى الصلاة ووقف أبو بكر على المنبر، وقام عمر وتكلم بين يديه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله: أيها الناس قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي، وما وجدتها في كتاب الله عز وجل، ولا كانت عهداً عهده إلي رسول الله ﷺ، ولكني كنت أرى رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا حتى يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى معكم كتابه الذي به هدى رسول الله ﷺ فإن اعتصمتم به هداكم لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار وأولى الناس بأموركم، فقوموا فبايعوا .فبايع الناس بيعة عامة بعد سقيفة بني ساعدة وتكلم أبو بكر[2].

والناظر المدقق يجد أن كلام عمر رضي الله عنه يعكس وعياً مبكراً بأهمية الاعتصام بكتاب الله وأهمية أن تنصرف إليه العقول والقلوب، فهو الباقي للمسلمين بعد وفاة نبيهم مهما تطاولت الأيام والأزمنة، هذا الوعي من عمر ستتضح معالمه في العزم على

---

(١) أخرجه أحمد بنحوه في المسند (١/ ٢٨٢) (١٣٢) و(٦/ ٣٠٩) (٣٧٣٥) و(٦/ ٣٩٣) (٣٨٤٢)، والنسائي في كتاب: الإمامة، باب: إمامة أهل العلم والفضل (٢/ ٧٤) (٧٧٧)، ينظر:
-النسائي، أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ)، السنن الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٠) (٤٤٢٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٦٣) (١٦٥٨٦).
(٢) روى البخاري بعضاً من كلام عمر في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ،جزء١٣،ص٣٠٥.

أبي بكر أن يجمع القرآن بعد أن استحر القتل بقراء القرآن يوم اليمامة [1].

كانت خلافة أبي بكر قصيرة لم تتجاوز سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، ظهر فيها الطعن في كتاب الله بصورة عملية إن جاز التعبير، فلا يرتد إلى جاهليته إلا مشكك في كتاب الله، ولا يمنع الزكاة إلا ملحد في تأويله، وعليه يمكننا القول إن المرتدين طعنوا في كتاب الله من جهتين :

-**الأولى**: تكذيب بالمصدر، مما استتبعه ردة إلى الجاهلية واتباع متنبئين كذابين.

-**الثانية**: إلحاد في تأويله وفهمه، واستتبع هذا إساءة فهم حكم الزكاة في كتاب الله؛ فهي إتاوة لشخص محمد لا حقاً لله؛ وعليه فلا زكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

واتخذ هذا الطعن صورة انقلاب عسكري وسياسي واقتصادي متمثلاً في الردة، فانتصر أبو بكر لكتاب الله بالطريقة العملية نفسها التي ظهر فيها الطعن .

وقضى أبو بكر على حركة الردة التي شملت أنحاء الجزيرة العربية كلها، وقام بجمع القرآن.

ونلاحظ أن الانتصار لكتاب الله في هذه الفترة لم يتخذ طابعاً إقناعياً كلامياً تمشياً مع العدد الكبير للمرتدين، والمساحة الجغرافية التي امتدت عليها الردة مما هدد وجود الإسلام في شبه الجزيرة، إضافة إلى الطابع العملي الذي اتسم به الطعن في القرآن[2].

واستخلف أبو بكر عمر، ولعمر هيبة كبيرة في نفوس الناس، ففي رواية ابن عباس رضي الله عنهما قال: "مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه ،فلما رجعت وكنا ببعض

---

(١) روى البخاري حديث عزم عمر على جمع القرآن، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث رقم٤٩٨٦.

(٢) وإن كانت كتب التاريخ فيها إشارة لمجادلة الصحابة للمرتدين مثل مجادلة خالد بن الوليد لبني تميم، إلا أنها تبدو لي استتابة أو تأكد من كفرهم قبل حربهم لا جدالاً للإقناع والرد .

الطريق، عدل إلى الأراك لحاجة له، قال فوقفت له حتى فرغ، ثم سرت معه فقلت له: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه، فقال: تلك حفصة وعائشة، قال فقلت والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فاسألني،فإن كان لي علم خبرتك به...."[1].

جمع عمر إلى هيبته في النفوس سعة أفق، وبعد نظر، مما جعله يتخذ إجراءات احترازية خوفاً من الطعن في دين الله وكتابه لا سيما مع كثرة الحاقدين من الفرس واليهود الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الحقد عليه؛ من هذه الإجراءات حفظ مجتمع المدينة من العناصر الغريبة، والأخذ على يد الطاعنين في كتاب الله بالشدة، ومثاله قصة صبيغ الذي قدم المدينة وكان يتعنت المسلمين بسؤاله عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عرجوناً من تلك العراجين فضربه حتى أدمى رأسه ....وأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين[2].

ومن الروايات عن منهج عمر في الانتصار لكتاب الله أنه رضي الله عنه كان يخطب الناس فقال في خطبته :إن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء .فقال القس :ما يقول أميركم هذا ؟ قالوا: إن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقال القس: الله أعدل أن يضل أحداً، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فبعث إليه فقال له: بل الله أضلك، ولولا عهدك لضربت عنقك[3].

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب(تبتغي مرضاة أزواجك قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم)، (٨/ ٨٤٨)، حديث رقم ٤٩١٣، ينظر: متن **فتح الباري شرح صحيح البخاري**.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الاتقان في علوم القرآن** ، ج١ ،ص٦٤٤، قال السيوطي أخرجه الدارمي في مسنده عن سليمان بن يسار.

(٣) اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد (ت٧٦٨هـ)، **مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة**، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ص٢٨٣، و قد نقل اليافعي القصة برواية الإمام البيهقي وبرواية الطبري بإسنادهما .

ونقل عن عمر رضي الله عنه أن سائلاً سأله عن آيتين متشابهتين فعلاه بالدرة [1].

والروايات السابقة يناقضها تصرف عمر مع الرجل الذي سأل عن قضية خلق القرآن، فقد روي أن سائلاً سأل عمر عن القرآن أهو مخلوق أم لا؟ فتعجب عمر من قوله فأخذه بيده حتى جاء به إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن استمع ما يقول الرجل، قال: وما يقول يا أمير المؤمنين؟ فقال الرجل: سألته عن القرآن أمخلوق هو أم لا؟ فوجم لها رضي الله عنه وطأطأ رأسه ثم رفعه وقال: سيكون لكلام هذا نبأ في آخر الزمان ولو وليت من أمره ما وليت لضربت عنقه[2].

ويعكس جواب علي رضي الله عنه استشرافاً لنتيجة سؤال السائل بأنه سيكون قرعاً لباب الفتنة، وتدل الرواية السابقة على أن الشدة في الأخذ على يد الطاعنين في كتاب الله ليست خصيصة لعمر أو لأبي بكر، بل هي منهج أصيل من مناهج الصحابة في الدفع عن كتاب الله والانتصار له، وهذا المنهج يحق فقط لولي الأمر أن يأخذ به لقول علي:(لو وليت من أمره ما وليت لضربت عنقه)، وهذا المنهج ليس مطرداً بل هو منهج مدروس له حيثياته؛ بدليل عدم استخدام عمر للشدة في هذه الحادثة.

والسؤال لماذا لم يضرب عمر السائل؟ ولماذا أخذه إلى علي؟ وما الذي حداه لترك هذا وضرب صبيغ حتى أدماه؟

يبدو أن الظروف المحيطة بشخصية السائل تحكمت في منهج الانتصار لكتاب الله في عصر الصحابة، فصبيغ من العراق وقد عانى الخليفة عمر من الأعراب في العراق فهم مثيرو الفتن، كثيرو الشكوى كانوا يحصبون كل أمير يرسله عمر-رضي الله عنه - لهم،وقد عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة وولى عماراً، وكان من شكاويهم أن سعداً لا يتقن الصلاة وهو يحلف أنه يصلي بهم بصلاة رسول الله، وتذكر الروايات أن

---

(١) الغزالي، أبو حامد ، إلجام العوام عن علم الكلام، ص٩٣.

(٢)الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام، ص٩٣ نقلاً عن رواية الشيخ المقدسي في الحجة .

عمر لغضبه منهم سها في صلاته فدعا عليهم، ومن عرف العراق وخبر حالها عرف حال الأعراب ممن يطلق عليهم القراء، وقد غلب عليهم الجفاء والتعنت والغلو في الدين[1]، إضافة إلى أن هناك روايات ذكرت أن عمر نهى صبيغاً عن فعله أكثر من مرة فلم ينته، ما سبق يسوغ الشدة مع صبيغ ويسوغ إرسال عمر إلى القاضي أبي موسى الأشعري بمنع مجالسة صبيغ ؛ فالعراق مضطربة وعلى صفيح ساخن ولا ينقصها أمثال صبيغ.

ولم يظهر الطعن في كتاب الله بصورة صريحة وقوية في خلافة عمر، ففي ظل خلافة كخلافة الفاروق ما كان لأعداء الدين أن يكيدوا للإسلام إلا تحت جنح الظلام، فعمر رضي الله عنه كان فطناً لما يمكن أن ينتج عن تحالف اليهود والمجوس الذين دالت دولتهم واضطروا للعيش بين المسلمين، مما أدى أن يظهر بعضهم الإيمان ويبطن الكفر، وحملوا في قلوبهم كرهاً للإسلام والمسلمين، وتحسباً من هؤلاء أخذ عمر المشككين بالشدة، ومنع من احتلم من سبي القتال أن يدخل المدينة حرصاً على تجانس المجتمع الإسلامي، إلا أن الحذر لم يمنع القدر، وقتل عمر رضي الله عنه على يد أبي لؤلؤة المجوسي، وتولى الخلافة عثمان رضي الله عنه وتوسعت الدولة الإسلامية وفتحت البلاد وتغيرت التركيبة المجتمعية؛ فقد غادر المسلمون الأوائل المدينة فهم بين رباط على الثغور وبين سياحة في الأرض ابتغاء للرزق، وكثر الموالي والرقيق في الدولة، وأضافت الفتوحات بلاداً جديدة للدولة الإسلامية؛ في إفريقية، وقبرص، وإرمينية، بالإضافة للنشاط العسكري للدولة الإسلامية في بلاد السند، وإجبار من نقض عهده بالعودة إلى حظيرة الصلح في فارس وخراسان وغيرها.

ويمكن القول إن هذا التحول الكبير أدى إلى تعاظم الخوف على كتاب الله، وهذا

---

(١) أمحزون، محمد، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، ج٢، ص١٩٦، ص١٩٧.

الخوف كان له ما يسوغه عند الصحابي حذيفة بن اليمان لما لمسه في الأمصار البعيدة من اختلاف في كتاب الله، فقد روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: "إن حذيفة قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"[1]، ومما لا شك فيه أن فزع حذيفة ليس بسبب الاختلاف في القراءات فقط، بل مرده إلى قراءة باطلة، وتحريف وتبديل بزيادة أو نقصان بدليل قوله: "..قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى "ومعلوم أن اختلاف اليهود والنصارى هو اختلاف تضاد وتفرق، وعليه فإن انتصار عثمان لكتاب الله بنسخه واعتماد النسخ بصورة رسمية كان ضرورة حتمية لحفظ كتاب الله .

ولم تسجل لنا الروايات التاريخية أن عثمان انتصر لكتاب الله بالشدة والحزم مع الحاجة إليهما، فقد أثار الفتنة في آخر سنتين من خلافته اليهودي عبد الله بن سبأ الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر والحقد، وقد علم هذا اليهودي أنه لا سبيل للفتنة إلا بمستند شرعي فألحد في تأويل كتاب الله ونشر بين الناس القول برجعة الرسول عليه الصلاة والسلام مستنداً إلى تأويله الباطل لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن،(٩/ ١٣)، حديث٤٩٨٧ ،ينظر (متن فتح الباري).

ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾(القصص، ٨٥)، فلما قبل منه هذا قال مقولته :(لكل نبي وصي وعلي وصي رسول الله)، ثم حرض الناس على الخروج على عثمان لأنه أخذ الوصاية من علي بغير حق، ومضى يظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو يعمل في السر ويكاتب من استفسد من أهل الأمصار وحضهم على مكاتبة غيرهم، وطوف في مصر والعراق والشام لتأليب الناس على عثمان[1]، وكان عثمان رضي الله عنه يأخذ بالصبر واللين مع دعاة الفتنة ويبتعد عن الشدة والحزم، وكان يعظ الناس فيبكي ويُبكي، وعندما تظاهر عليه رضي الله عنه السبئية والخوارج، وكانوا يسمون وقتها القراء بعث لهم بعثاً بخمسين راكباً فيما روى جابر بن عبد الله وأمر على البعث محمد ابن مسلمة الأنصاري[2] يقول جابر :"...حتى إذا أتينا ذا خشب، فإذا رجل معلق المصحف في عنقه، تذرف عيناه دموعاً، بيده السيف، وهو يقول : ألا إن هذا -يعني المصحف-يأمرنا أن نضرب بهذا -يعني السيف-على ما في هذا -يعني المصحف- فقال محمد بن سلمة: اجلس فقد ضربنا بهذا على ما في هذا قبلك، فجلس فلم يزل يكلمهم -أي ابن سلمة رضي الله عنه-حتى رجعوا[3].

---

(١)وقد دار حول عبد الله بن سبأ جدل واسع من ناحية وجوده ابتداء مروراً بديانته وصولاً إلى دوره في الفتنة، ودوره في التأثير اليهودي والمسيحي في عقائد المسلمين، ويبدو أن هذا التشكيك في عبد الله بن سبأ بادئ بدء جاء على يد المستشرقين، ينظر تفنيد الآراء حول الموضوع وإثبات دور ابن سبأ في الفتن في كتاب:
-بدوي، عبد الرحمن، **مذاهب الإسلاميين:المعتزلة والأشاعرة والإسماعيلية والقرامطة والنصيرية**، من ص٧٥٩ إلى ص٧٨٨، ينظر أيضاً : أمحزون، **تحقيق مواقف الصحابة**، ص١١٣ وما بعدها .

(٢) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن، من الأمراء، من أهل المدينة، شهد بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك لاستخلاف الرسول -ﷺ- له على المدينة وقتها ولاه عمر على صدقات جهينة، واعتزل الفتنة في أيام علي فلم يشهد الجمل ولا صفين، وكان عند عمر معداً لكشف أمور الولاة في البلاد، مات بالمدينة.. قال ابن البرقي: توفي بالمدينة سنة اثنتين وأربعين. تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٦/ ٤٥٧)، والزركلي، الأعلام(٧/ ٩٧).

(٣) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، مجلد خاص عن عثمان بن عفان، ص٣٢١. وروى الطبري في تاريخه أن علي ابن أبي طالب كان معهم في البعث ينظر:
-الطبري، ابن جرير، **تاريخ الطبري(تاريخ الأمم والملوك)**، مج٢(ج٣+٤)،ص٤٩٠.

وفي رواية للحسن البصري يقول: كأني أنظر إلى عثمان يخطب يوم الجمعة إذ قام رجل تلقاء وجهه فقال: أسألك كتاب الله. فقال عثمان: أو ما لكتاب الله طالب غيرك؟ اجلس، فجلس، فقال الحسن من قبل نفسه: كذبت يا عدو نفسه، لو كنت تطلب كتاب الله لم تطلبه يوم الجمعة والإمام يخطب، ثم قام فقال: أسألك كتاب الله، فقال عثمان:أو ما لكتاب الله طالب غيرك؟ فجلس ثم قام فقال أسألك كتاب الله، فقال عثمان أما لهذا رجل يجلسه؟ قال: فتحاصبوا حتى ما أرى أديم السماء، فقال: فكأني أنظر إلى ورقات مصحف رفعته امرأة من أزواج النبي وهي تقول إن الله قد برأ نبيه عليه السلام من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً....."[1].

وذكر هشام بن عروة عن عمه عبد الله بن الزبير-رضي الله عنه-قال:" لقيني ناس ممن كان يطعن على عثمان ممن يرى رأي الخوارج، فراجعوني في رأيهم وحاجوني القرآن، فلم أقم معهم ولم أقعد، فرجعت إلى الزبير منكسراً فذكرت ذلك له، فقال الزبير-رضي الله عنه-:إن القرآن قد تأوله كل قوم على رأيهم وحملوه عليه، ولعمر الله إن القرآن لمعتدل مستقيم ، وما التقصير إلا من قبلهم، ومن طعنوا عليه من الناس فإنهم لا يطعنون على أبي بكر وعمر ، فخذهم بسنتهما وسيرتهما، قال عبد الله فكأنما أيقظني بذلك، فلقيتهم فحاججتهم بسنة أبي بكر وعمر، فلما أخذتهم بذلك قهرتهم وضعف قولهم حتى لكأنهم صبيان يمضغون سخبهم[2]"[3].

والسؤال هل سياسة عثمان رضي الله عنه في الانتصار لكتاب الله راجعة لشخصية ذي النورين رضي الله عنه أم إنه اجتهاد رآه لمصلحة الأمة، و وصاة من نبيه عليه الصلاة والسلام له؟ والحق أن الأحداث ترجح الثانية فلا يعقل لمن يتعرض للقتل أن يعزم على الصحابة أشد العزيمة أن يخفضوا سيوفهم ولا يقاتلوا، ولا يدافعوا عنه ولا

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، مجلد عثمان بن عفان، ص٣٢٩+ص٣٣٠.
(٢) سخبهم أي صخبهم أي ضجيجهم، والسين لغة في الصاد وهما في كل كلمة جاء فيها خاء جائز.
(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، مجلد عثمان بن عفان، ص٥٠٦.

عن أهل بيته، إلا أن تكون وصية أوصاه بها الرسول عليه الصلاة والسلام، ويعضده حديث أبي سهلة: قال :"قال لي عثمان يوم الدار: إن رسول الله- ﷺ – قد عهد إلي عهداً فأنا صابر عليه"[1]، إضافة إلى قراراته القوية والصلبة في مواجهة ما استجد على الأمة مثل قضية جمع القرآن، وعدم إجابة الخارجين إلى خلع نفسه من الخلافة حتى لو تعرض للقتل، حتى لا يجعل الخلافة ألعوبة في أيدي المفسدين، فقد قال رحمه الله:"....والله لأن أقدم فيضرب عنقي أحب إلي من أن أخلع قميصاً قمصنيه الله، وأترك أمة محمد يعدو بعضها على بعض.."[2]؛ هذه الأمور مجتمعة تدفع للقول أن موقف عثمان من الطاعنين في كتاب الله وطريقة انتصاره للقرآن هو منهج مدروس للحفاظ على وحدة الأمة، وليس ليناً و ضعفاً في شخص عثمان رضي الله عنه.

فتح مقتل عثمان رضي الله عنه باب فتنة لم يغلق حتى الآن، وولي أمور المسلمين من بعده علي رضي الله عنه، وجرت معارك طاحنة بين المسلمين وتذكر المصادر التاريخية أن مقتلة عظيمة جرت في موقعة الجمل، راح ضحيتها العديد من الصحابة، ولعب أتباع اليهودي عبد الله بن سبأ دوراً كبيراً في تأجيج الحرب بين المسلمين، واستمر دور السبئية في الإفساد[3]، وتوالت المعارك وجرت معركة صفين، وانتهت برفع المصاحف وحادثة التحكيم، وأدى التحكيم إلى الخروج على علي، فقاتل علي الخوارج في وقعة النهروان وقتل من الخوارج أربعة آلاف ما تألم لهم أحد.

وبسبب مركزية الدين في حياة المسلمين الأوائل، لا يمكن أن نعزو هذه الفتن للأمور السياسية؛ فالرؤية السياسية آنذاك نابعة عن تأويل كتاب الله، عن أبي سعيد

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب ج٥، ص٣٩٥، وقال حديث حسن صحيح،والحاكم في المستدرك ٣/ ٩٩، وقال هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣/ ٢١٢رقم ٢٩٢٨).

(٢) الطبري،تاريخ الطبري، ص٤٩٦.

(٣) ينظر دور السبئية في موقعة الجمل :

-أمحزون، محمد، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ج٢، من ص١١٣ إلى ص١٣٠.

الخدري رضي الله عنه قال:" قال رسول الله ﷺ :إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف القوم -وفيهم أبو بكر وعمر-رضي الله عنهما قال أبو بكر أنا هو؟ قال:لا، قال عمر:أنا هو؟ قال:لا، ولكن خاصف النعل-يعني علياً...." [1]ويعضد هذا قول القعقاع بن عمرو الذي أرسله علي إلى البصرة والتقى بعائشة أم المؤمنين، كما لقي طلحة والزبير-رضي الله عنهما وسألهما عما أشخصهما إلى هذه البلاد "فأجابته عائشة: أي بني إصلاح بين الناس، فسألها: ما وجه هذا الإصلاح؟ فو الله لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا: قتلة عثمان-فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، وإن عمل به كان إحياءً للقرآن"[2]،وقد كان الناس يسائلون معاوية فيم مسيره لقتال علي وهو أفضل منه بسابقته للإسلام وبقرابته للنبي عليه الصلاة والإسلام، فجمع الناس وقام فيهم خطيباً وذكرهم بقتل عثمان مظلوماً وأنه هو وليه، وقرأ عليهم الآية الكريمة ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]. ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فأجابه أهل الشام وبايعوه على طلب دم عثمان وعلى بذل الأرواح والأموال لتحقيق هذا الأمر حتى لو فنيت له أنفسهم.

أما الخوارج فكانوا يدعون القراء لكثرة قراءتهم في كتاب الله دون علم بالسنن، فكانوا يتأولونه على غير ما أراد الله به فضلوا وأضلوا، ولا يلتفت لقول من قال إن ثورتهم كانت بسبب حرمانهم من المال وتفضيل غيرهم عليهم، فسيرتهم تنفي هذا فهم عباد زهاد لا يلتفتون للدنيا .

هذه الأحداث تقودنا إلى سؤال مشروع هل تعني هذه المعارك أن علياً رضي الله عنه كان دموياً في الانتصار لكتاب الله، وكان يشهر السيف في وجه كل من تأول

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٦٧) (٣٢٠٨٢)، ينظر: ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (٢٣٥هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، وأحمد في المسند (١٧/ ٣٩١) (١١٢٨٩) و(١١٧٧٣)، وابن حبان في كتاب: مناقب الصحابة، باب: ذكر قتال علي رضي الله عنه، (١٥/ ٣٨٥) (٦٩٣٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٣٢) (٤٦٢١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢)الطبري، تاريخ الطبري، مج٢(ج٣+٤)، ص٥٥٤.

كتاب الله خطأ؛ اجتهاداً كان أم إلحاداً في التأويل؟ الحق أن الروايات التاريخية المحققة تثبت أن علياً رضي الله عنه كان يرجع للانتصار لكتاب الله بالحجة والكلمة، ولهذا كره لقاء الجمل ووصل لصلح معهم قبل الوقيعة بينهم التي أوجدها السبئية لعنهم الله، وأجاز لنفسه قتال أهل الشام تأسياً بأبي بكر إذ عد الخروج على الخلافة مثل ترك الزكاة، فقضية الخلافة تهدد وجود الأمة ووحدتها، إلا أن حرصه على حقن دماء المسلمين جعله يرضى بتحكيم كتاب الله، فما رضي عنه الخوارج فجادلهم سهل بن حنيف كما جاء في رواية البخاري عن حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أسأله فقال: كنا بصفين فقال رجل -رسول معاوية-:ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله تعالى، فقال علي: نعم، فقال: سهل بن حنيف-أي للقراء-اتهموا أنفسكم وفي رواية: اتهموا رأيكم-فلقد رأيتنا يوم الحديبية، يعني الصلح الذي كان بين النبي-ﷺ- والمشركين ولو نرى قتالاً لقاتلنا......"ونقل سهل بن حنيف للخوارج قصة الحديبية وتغيظ الصحابة وكيف ظهر أن الأصلح في ترك القتال، وأشار سهل على الخارجين بمطاوعة علي[1] الذي بلغ من حرصه على حقن الدماء أن لاحظ المتسللين خارج معسكره بعد فشل التحكيم، وعلم بمكاتبتهم لإخوانهم في البصرة ليوافوهم في النهروان فسكت عنهم وقال: لا تبدؤوهم بقتال حتى يحدثوا حدثاً، وقد سبق إفسادهم قبل مسير علي إلى الشام فذبحوا خباب بن الأرت، وقتلوا معه نساء، فجادلهم علي رضي الله عنه وأرسل لهم ابن عباس ليناظرهم [2]وكانوا يومئذ ثمانية آلاف رجل من قراء الناس وكانوا أهل صلاة وصيام، ويكفرون مرتكب الكبيرة من المسلمين، ويستحلون دماءهم ونساءهم، فرجع منهم بعد مناظرة علي وابن عباس أربعة آلاف قبل يوم النهروان فبعث علي إلى الآخرين أن يرجعوا فأبوا. فأرسل إليهم: كونوا حيث شئتم وبيننا وبينكم ألا تسفكوا دماً حراماً ولا تقطعوا سبيلاً ولا تظلموا

---

(١) ينظر الحديث بتمامه في فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الفتح، باب (إذ يبايعونك تحت الشجرة)، حديث رقم ٤٨٤٤، ج٨،ص٧٥٦، ينظر أيضاً كتاب الاعتصام ج١٣، حديث رقم ٧٣٠٨، ص٣٤٩+ص٣٥٨.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين(ت٥٩٧هـ)، تلبيس إبليس، تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر، ينظر كلام ابن عباس ومناظرته لهم ص١٠٤ وما بعدها.

أحداً فإن فعلتم نبذت إليكم الحرب، فما قاتلهم علي حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم الحرام، فقاتلهم علي وقتلهم ولم ينج منهم إلا القليل[١].

نتج عن هذه الأحداث الجسام افتراق الأمة ، فقد تحدث عوام الناس عن اقتتال الصحابة في الجمل وصفين فرأى البعض أن ما جرى بقدر الله، والجميع أهل فضل وسابقة في الإسلام فأوكلوا أمرهم إلى الله، وآخرون أرجؤوا أمر علي وعثمان، ورأى غيرهم إنكار القدر وسموا بالقدرية، وقد حاجج علي رضي الله عنه هؤلاء وأجاب على أسئلتهم فقد ذكرت الروايات التاريخية أن رجلاً قام ممن شهد معه الجمل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر، فقال بحر لا تلجه، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر: فقال سر الله فلا تبحث عنه، فقال: يا أمير المؤمنين إن فلاناً يقول بالاستطاعة وهو حاضر، فقال: عليَّ به، فلما رآه قال له: الاستطاعة تملكها مع الله، أو من دون الله؟ فإياك أن تقول أحدهما فترتد...قال: فما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال:قل أملكها بالله إن شاء ملكنيها[٢].

وفي رواية أخرى أن علياً رضي الله عنه حين "انصرف من صفين قام إليه شيخ فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء وقدر؟ فقال علي رضي الله عنه: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما هبطنا وادياً ولا علونا تلة إلا بقضاء وقدر، فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي مالي من الأجر شيء؟ فقال: بل أيها الشيخ عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون وفي منقلبكم وأنتم منقلبون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين، فقال الشيخ: وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا؟ فقال علي رضي الله عنه: لعلك تظن قضاء واجباً وقدراً حتماً، ولو كان ذلك لبطل الثواب

---

(١) ذكر القصة ابن حجر من رواية أحمد والطبراني والحاكم من طريق عبد الله بن شداد ينظر شرح ابن حجر في كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري، مج١٢، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس، ص٣٦٧.

(٢) فرغل، يحيى هاشم حسن، نشأة الآراء والمذاهب الكلامية، الكتاب الأول، ص٥٢.

والعقاب وسقط الوعد والوعيد ولما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب، ولا محمدة لمحسن، ولا كان المحسن بثواب الإحسان أولى من المسيء، ولا المسيء بعقوبة الذنب أولى من المحسن، تلك مقالة إخوان الشياطين وعبدة الأوثان وخصماء الرحمن وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب في الأمور هم قدرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، ولم يكلف مجبراً ولا بعث الأنبياء عبثاً ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (ص:٢٧)، فقال الشيخ: وما ذلك القضاء والقدر اللذان ساقانا؟ قال أمر الله وإرادته ثم تلا: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ (الإسراء:٢٣) فنهض الشيخ مسروراً بما سمع وأنشأ يقول (من البسيط):

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ... جزاك ربك بالإحسان إحساناً"[1]

والمتأمل في النصين السابقين يستطيع أن يكون فكرة عن الجدل الدائر في هذه الفترة، وكان الاستدلال بآيات الله هو الأساس عند الجميع، فكتاب الله هو المورد الواحد الذي التقى عليه الجميع، إلا أن الإلحاد في تأويل كتاب الله زاد من الفرقة والاختلاف، مما حدا بالصحابة أن يضموا إلى الاستدلال بكتاب الله سنن رسول الله والحجة العقلية واللغوية بحسب حال السائل، ومسائل نافع بن الأزرق الخارجي[2] لابن عباس مشهورة فقد كان يسأله عن معنى القرآن فيجيبه ابن عباس ويستشهد بأشعار العرب، فإذا تجاوزت مسائل ابن الأزرق حدود المعنى كان ينصرف عنه ابن عباس ويعرض عن الجواب فيلومه ابن الأزرق بقوله: لله أنت يا ابن عباس، أنضرب

---

(١) ابن المرتضى، **طبقات المعتزلة**، ص٩،ص١٠.

(٢) نافع بن الأزرق(من الخوارج): ابن قيس الحنفي، البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد: رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقيههم، من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس وله أسئلة رواها عنه، كان فتاكاً جباراً يستوقف الناس في سوق الأهواز ويعترضهم بما يحير عقولهم، قتل يوم (دولاب) على مقربة من الأهواز في سنة(٦٥هـ). الأعلام للزركلي (٧/ ٣٥٢).

إليك يا ابن عباس أكباد الإبل نسألك عن الدين فتعرض، ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فتسمعه قال: تالله ما سمعت سفهاً[1].

وعن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي؛ قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ (المؤمنون، ١٠١) وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الصافات،٢٧) وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء،٤٢)، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام، ٢٣) فقد كتموا في هذه الآية؟، وقال: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ (النازعات،٢٧) إلى قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ (النازعات،٣٠) فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت،٩) إلى قوله: ﴿طَآئِعِينَ﴾ (فصلت، ١١) فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء؟.

وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفتح،١٤) ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (الفتح، ١٩) ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء، ٥٨) فكأنه كان ثم مضى؟

فقال ابن عباس: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ (المؤمنون، ١٠١) في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الزمر،٦٨) فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (الصافات: ٢٧).

وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام،٢٣) ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء،٤٢) فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فقال المشركون: تعالوا نقل لم نكن مشركين، فختم على أفواههم، فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرِفَ أن الله لا يُكْتَمُ حديثاً، وعنده ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر، ٢).

وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض؛ ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال،

(١) أبو زهرة، محمد، تاريخ الجدل، ص١٦٩.

والجبال، والآكام، وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله:(دحاها) وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان،٧٠) سمى نفسه ذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله[١]، ونقل ابن حجر زيادة رواية عبد الرزاق في روايته عن معمر عن رجل عن المنهال بسنده "فقال ابن عباس:ما هو؟ أشك في القرآن ؟قال ليس بشك ولكنه اختلاف، فقال هات ما اختلف عليك من ذلك......"[٢]. وعن عائشة أن امرأة سألتها أتقضي الحائض الصلاة قالت لها عائشة أحرورية أنت؟ قد كنا نحيض عند النبي ﷺ ثم نطهر ولم يأمرنا بقضاء الصلاة[٣].

ونجد في الروايتين السابقتين أن سؤال ابن عباس:ما هو أشك في القرآن؟ وسؤال عائشة للمرأة أحرورية[٤]أنت ؟ إشارة إلى أن الجواب يعتمد على السائل ،والأحاديث

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ينظر:

-ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،المجلد الثامن،كتاب التفسير،باب سورة حم السجدة،ص٧١٣، أخرجه البخاري معلقاً، قال ابن حجر وصله الطبري وابن أبي حاتم بإسناد على شرط البخاري.

(٢) رواه البخاري:

-ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المجلد الثامن، كتاب التفسير، باب سورة حم السجدة ص٧١٦.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب: وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، (١/ ٢٦٥) (٣٣٥)، ينظر: مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج (٢٦١هـ)، **المسند الصحيح المختصر** تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

وأخرجه بهذا اللفظ: ابن ماجة في كتاب: الطهارة وسننها، باب: الحائض لا تقضي الصلاة (١/ ٢٠٧) (٦٣١)، ينظر: ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣هـ)، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) الحرورية فرقة من الخوارج لا تعترف بالسنة .

السابقة إن دلت على شيء فإنها تدل على وجود طريقة أخرى في إجابة من تعمد إثارة الفتن وتعزيره، وهذا منهج أصيل لحماية سواد المسلمين من المشككين والطاعنين في كتاب الله .

الخلاصة

-للقرآن مكانة مركزية في عصر الصحابة؛ وعليه فكل اختلاف حدث في عصر الصحابة سببه اختلاف الأفهام، أو الإلحاد في التأويل.

-قام الحاقدون من يهود وشعوبيين بدور كبير ومؤثر على ساحة الأحداث، وكان الإلحاد في التأويل أحد طرقهم في حرب الأمة.

-تعددت طرق الصحابة في الانتصار لكتاب الله، وتناسبت مع حال الطاعن؛ مما جعل منهج الصحابة يتراوح بين استخدام الحجة النقلية والعقلية، وبين الشدة والحزم، وأحياناً الإعراض عن الطاعن وترك مجالسته بحسب الحال والمآل.

-خلا انتصار الصحابة من التعقيدات الكلامية والمنطقية.

-كان استخدام السيف والسنان قراراً يتخذه حاكم المسلمين في الانتصار للقرآن، وذلك عندما ينقلب الطعن في كتاب الله إلى أفعال تهدد أمن الدولة وأمن المسلمين.

-الانتصار للقرآن في عصر التابعين وتابعيهم: إن الأحداث الجسام التي مرت على الأمة أدخلتها في معترك جديد، وبالرغم من الاستقرار النسبي الذي حصل في عهد معاوية بعد أن تنازل له الحسن عن الخلافة، وبالرغم من عودة الأمة إلى وحدتها، إلا أن هذا لم يمنع من تزايد الطعن في كتاب الله.

ويمكن تلخيص أسباب تزايد الطعن في كتاب الله فيما يلي:

١ -الفتنة التي حدثت في أواخر عهد عثمان وفي خلافة علي رضي الله عنهما:

كان للفتنة التي حدثت في عهد عثمان رضي الله عنه تداعياتها على الأمة، وأسهم ظهور الفرق من شيعة وخوارج وقدرية و مرجئة في اتساع دائرة البحث في كتاب الله، وظهر الطعن في كتاب الله بظهور الإلحاد في التأويل على صورة التأويل العقلي؛

فكتاب الله هو نقطة التقاء كل هذه الفرق، والحق أن هذه الفرق لم تكن في بدايات ظهورها سوى آراء مجردة، ولم ترق لتشكل فلسفات نظرية متكاملة؛ فعلى سبيل المثال لم تكن القدرية إلا عبارة عن إثبات إرادة العبد المستقلة فيما يفعل، ونفي العلم والتقدير الإلهي؛ وقالوا إن الأمر أُنف أي يستأنف العلم بالأمر، وفي هذا نفي للإرادة والعلم الأزلي، وأخرجوا بهذا فعل الإنسان عن نطاق قدرة الخلاق العليم.

أما الخوارج فقد أرهقوا الأمة بتعنتهم وتعصبهم لآرائهم، وهؤلاء بلغ منهم التعنت مبلغه فكفروا أهل القبلة بالمعصية، مما استتبعه شق عصا الطاعة لكل إمام، وغلوهم هذا انعكس على عباداتهم مما جعل العوام ينخدعون بهم وينظرون لهم نظرة إجلال وإكبار ولهذا حذر منهم رسول الله ﷺ فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال:"بينما النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله فقال: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية....."[(١)] والعجيب أن البعض[(٢)] عد الخوارج فرقة سياسية ظهرت في صدر الإسلام، وقد ذهل هؤلاء عن أمرين: الأول عدم إمكان الفصل بين الديني والسياسي في هذا الوقت المبكر من تاريخ الإسلام، والأمر الثاني أن الغلو والتطرف الديني ظاهرة إنسانية وهي مترافقة مع وجود الإنسان على مر العصور وليس مجرد فرقة ستظهر وتندثر، ولهذا حذر الرسول من هذه الظاهرة ودعا إلى عدم الافتتان بها، وبين عليه الصلاة والسلام لنا أن هذا الغلو يمنع صاحبه من التعرف على جوهر الدين (فهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)؛ فالخوارج غلب عليهم العاطفة والنظرة السطحية والتمسك بظاهر النصوص.

---

(١) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه،(١٢/ ٣٥٩)، حديث٦٩٣٣، (متن فتح الباري).

(٢)من هؤلاء محمد أبو زهرة في كتابه تاريخ الجدل .

وكان من نتائج الفتنة ظهور أناس لم يستبينوا الأمر فتوقفوا في أمر الصحابة ولم يخوضوا في أمر عثمان وعلي رضي الله عنهما، وتطورت الفكرة لتصبح فيما بعد: لا يضر مع الإيمان معصية، وما إن شارف القرن الأول الهجري على الانقضاء حتى أصبحت الفكرة: الإيمان قول بلا عمل وسمي من اعتنق هذه الفكرة (المرجئة).

وافترقت الفرق إلى جماعات وتشعبت أكثر حتى جعلها البعض تربو على سبعين فرقة ولعلها أكثر أو أقل، إلا أنَّ بعض مَن كَتَب في الملل والنحل تعسف لينسجم عدد الفرق مع الحديث النبوي في افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة[1].

٢-الصدامات العقدية وتفشي العجمة:

اتسعت دائرة الفتوحات الإسلامية؛ فقد شملت مناطق واسعة تمتد من المحيط الأطلسي غرب إفريقية إلى البحر الأبيض المتوسط كله وتساير ذرا جبال طوروس، وبلاد القفقاس، وبلاد ماوراء النهر، وطخارستان، وهذا الامتداد اقتصر على جبهتين رئيسيتين بعد أن دالت دولة الفرس وانتهت تحت ضربات المسلمين المتتالية:

-الجبهة الغربية: وتشمل مناطق الروم.

-الجبهة الشرقية وتضم مجموعات وثنية تعيش في شمال وشرق الدولة الإسلامية[2].

---

(١) والحديث لم يخرجه الشيخان، وفي بحث محكم للدكتور حاكم المطيري نشره في مجلة جامعة صنعاء للقانون والدراسات الإسلامية في العدد العاشر أثبت أن طرق الحديث مناكير وغرائب ضعيفة ومنكرة، وأحسنها حالاً حديث رواه أبو هريرة وهو حديث حسن، مع تساهل كبير في تحسينه لتفرد محمد بن عمرو به، وهو صدوق له أوهام خاصة في روايته عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ولهذا كان القدماء يتقون حديثه كما قال يحيىٰ بن معين.نقلاً عن الموقع الرسمي للدكتور حاكم المطيري،٣٠/ ٣/ ٢٠١٢
http://www.dr-hakem.com/Portals/Content/?info=TmpJMEpsTjFZbEJoWjJV bU1R PT0rdQ==.jsp

(٢) شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدون والعهد الأموي، ج٣+٤ ،ينظر ص٨٦ وما بعدها.

وكان من نتائج الفتوحات الاحتكاك العقدي والفكري مع النصارى واليهود والمجوس وغيرهم من عقائد الوثنيين، إضافة إلى دخول الكثيرين من هؤلاء في الإسلام دون معرفة باللغة العربية ودون أن يتخلوا تماماً عن عقائدهم الباطلة؛ فظهرت العجمة ونتج عن هذه الفتوحات كذلك تزايد الحقد على المسلمين والكيد لهم في الخفاء، بعد أن أصبحت قوة الدولة الإسلامية عائقاً أمام الكيد العلني وهذا أسهم في تصاعد الغزو الفكري، وتعد أهم صورة من صور الغزو الفكري هي الطعن في كتاب الله سواء في مصدريته أو لغته أو تأويله.

٣-الرفاهية المادية والاستقرار والأمن:

دفعت الرفاهية المادية والاستقرار والأمن بالمسلمين إلى الترف الفكري وإلى إعمال العقل فيما لا طاقة له به، وقد ذكرت لنا الروايات أن الجعد بن درهم[١] كان يجلس إلى اليهود فيهاله منهم التجسيم فيتردد إلى وهب بن منبه[٢] ويغتسل قبل الذهاب إليه ويقول: أجمع للعقل، وكان يسأله عن صفات الله فقال له وهب يوماً: ويلك يا جعد، اقصر المسألة عن ذلك إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذلك، وأن له عيناً ما قلنا ذلك، وأن له نفساً ما قلنا ذلك وأن له سمعاً ما قلنا ذلك، وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك [٣] . وبالغ الجعد في نفي التجسيم عن الله وبالغ في مخالفة اليهود الذين يرون أن الله تجلى جسمانياً لموسى وكلمه، فنفى الجعد تكليم الله لموسى بهذه الصورة، ونفى أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلاً. و قد

---

(١) الجعد بن درهم: مبتدع ضال له أخبار في الزندقة، كان يقول بخلق القرآن والقدر، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر في (١١٨هـ). لسان الميزان (٢/ ٤٣٧)، والأعلام(٢/ ١٢٠)

(٢) وهب بن منبه(ت١١٤هـ):الأنباوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: من التابعين، واظب على العلم ولزم العبادة وتجرد للزهد، وقرأ في الكتب القديمة، مؤرخ، ولد ومات بصنعاء، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. الأعلام(٨/ ١٢٥)،مشاهير علماء الأمصار(ص١٩٨).

(٣) النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص٣٣٢.

أدت ردة الفعل المتطرفة هذه على تجسيم اليهود فيما بعد إلى نتائج كارثية لا تقل خطورة عن التجسيم؛ وهي ظهور بدعة القول بخلق القرآن.

٤-التسامح الديني وإطلاق الحريات الفكرية:

إن المساحة الواسعة من التعبير عن الرأي التي منحتها الدولة الإسلامية سمحت بظهور أشخاص مثل يوحنا الدمشقي (٥٥هـ - ١٣١هـ)[١]،وتلميذه (تيودور أبو قرة)، وكان يوحنا يعمل طبيباً للأمويين وقد منح الحرية الكاملة ليناقش عقائد المسلمين [٢]قد كتب يوحنا كتاباً سماه (حياة محمد)، وطعن فيه بالمصدر الإلهي للقرآن، وزعم فيها أن الإسلام فرقة مسيحية مارقة ظهرت في عهد الإمبراطور هرقل في عهد متنبئ من العرب يدعى حامد(محمد) الذي استغل الدين لمصالحه الشخصية [٣].

ولم يقتصر الأمر على النصارى بل تعداه إلى اليهود والشعوبيين الحاقدين الذين جعلوا للقرآن مركزية في حملتهم على المسلمين لعلمهم أنه أساس التشريع وأنه الدستور الخالد للمسلمين، فراحوا يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بما يغرر بالمسلمين العوام، ليوهموهم بأن فيه اختلافاً وتناقضاً.

جاء الطعن في كتاب الله من ثلاثة أوجه: طعن في مصدر القرآن، وإلحاد في تأويله، إضافة إلى فتنة القول بخلق القرآن. وأدى التزايد المطرد في الطعن أن تبذل الأمة وسعها في الانتصار لكتاب الله وجاء الانتصار في منحيين أولهما دفع المطاعن، وثانيهما إجراءات احترازية للحد من الطعن.

---

(١) يوحنا الدمشقي(٥٥هـ-١٣١هـ): ابن ماسويه، أبو زكريا: من علماء الأطباء، سرياني الأصل، عربي المنشأ، كان أبوه صيدلانيا في جند نيسابور (بخوزستان) ثم من أطباء العين في بغداد. وخدم الرشيد، توفي بسامراء. الأعلام للزركلي (٨/ ٢١١)

(٢) النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ص٩٣.

(٣) الطهطاوي، محمد عزت، **التبشير والاستشراق**، ص٤٦ وما بعدها.

مظاهر الانتصار للقرآن في عصر التابعين وتابعيهم:

يمكن تلخيص مظاهر الانتصار لكتاب الله فيما يلي:

١-الإعراض عن مجالسة الطاعنين.

٢-المكاتبات والمناظرات.

٣-تأليف الكتب.

٤-تعزير الحكام وولاة الأمر للطاعن .

٥-الإجراءات الاحترازية ومنها: جمع الحديث رداً على الوضع والتأويل العقلي، إضافة إلى نقط وشكل المصحف لحماية كتاب الله من تفشي العجمة.

١-الإعراض عن مجالسة الطاعنين:

يعد الإعراض عن مجالسة الطاعن إجراء يهدف إلى إقصائه اجتماعياً لردعه عن شبهته، ويهدف إلى حماية سواد المسلمين من التأثر بالشبه الملقاة على كتاب الله.

فقد ذكرت الروايات التاريخية [١]دخول رجلين من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين[٢] فقالا له: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك القرآن، قال: لا، لتقومان عني أو لأقومنه. فقاما. فقال بعض القوم: وما عليك أن يقرآ عليك آية؟ قال: إني خشيت أن يقرآ علي آية فيحرفاها[٣]، فيقر ذلك في قلبي، ولو أعلم أني أكون مثلي الساعة لتركتهما.

---

(١) ابن حنبل، أحمد، **الرد على الجهمية والزنادقة**، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة، ص٦٩، مقدمة المحقق.

(٢) محمد بن سيرين(ت١١٠هـ) البصري الأنصاري بالولاء، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، ثقة، حجة، كثير العلم، ورع، مولى أنس بن مالك ، مولده ووفاته بالبصرة. معرفة الثقات(٢/ ٢٤٠)، الأعلام للزركلي(٦/ ١٥٤)، الكاشف(٢/ ١٧٨).

(٣) والمقصود بتحريفها تأويلها تأويلاً عقلياً مخالفاً لمراد الشارع منها.

وقال رجل من أهل البدع لأيوب السختياني[1]: يا أبا بكر أسألك عن كلمة فولى وهو يقول: ولا نصف كلمة.

وقال ابن طاووس[2] لابن له كلمه رجل من أهل البدع: يا بني أدخل إصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع ما يقول، ثم قال: أشدد أشدد.

٢-المكاتبات والمناظرات:

وتعد المناظرات والمكاتبات بداية ظهور علم الجدل وقد نقلنا سابقاً نصوصاً تدل على مناظرة عثمان رضي الله عنه للخارجين عليه، عندما أرسل لهم ركباً فيه محمد بن مسلمة إلا أن البغدادي يجعل أول المناظرين من الصحابة علياً رضي الله عنه، يقول البغدادي: "..فدونك أئمة أصول الدين من أهل السنة، فأول متكلميهم من الصحابة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث ناظر الخوارج في مسألة الوعد والوعيد، وناظر القدرية في المشيئة والاستطاعة، ثم عبد الله بن عمر بن عبد العزيز؛ حيث تبرأ من معبد الجهني في نفيه القدر"[3].

وبدأت تظهر ملامح المنهج الجدلي عند التابعين، وتعد أقدم الوثائق التي وصلت إلينا عن بدايات علم الجدل والمناظرة في الإسلام رسالة للحسن بن محمد بن

---

(١) أيوب السختياني(ت١٣١هـ): هو ابن أبي تَمِيمَة، كنيته أبو بكر، واسم أبي تميمة: كيسان، مولى لعنزة من أهل البصرة، ثقة ثبت حجة، من كبار الفقهاء العباد. الثقات(6/ 53)، وتقريب التهذيب(ص٩٨)، والأعلام للزركلي(٢/ ٣٨).

(٢) ابن طاووس: هو عبد الله بن طاوس بن كيسان اليماني أبو محمد، ثقة عابد. (ت ١٣٢هـ). الثقات (7/ 4)، ومشاهير الأمصار(1/ 191)، والأعلام(٤/ ٩٤).

(٣) البغدادي، عبد القاهر(ت٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق، ص٣٦٧.

(٤) الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي(ت١٠٠هـ) ، تابعي، المعروف بابن الحنفية، له كتاب كان يأمر بقراءته على الناس يذكر فيه اعتقاده ويقول في آخره:" ونوالي أبا بكر وعمر، ونرجئ من بعدهما ممن دخل في الفتنة" فهو اول من تكلم في إرجاء ذلك توفي في المدينة.سير أعلام النبلاء(٤/ ١٣٠)، الأعلام(٢/ ٢١٢).

والتي قيل إن تاريخ تأليفها كان في ٧٣هـ، وقد اعتمدت الرسالة بصورة أساسية على الاستدلال بآيات القرآن، وانتهجت الرسالة منهجاً جدلياً خالصاً "قاعدته الأساسية مجادلة مفترضة بين من يقولون بالقدر(ويمثلهم المؤلف)وبين من ينكرونه(من خصوم المؤلف)، وقالبه الفكري إبطال المقدمات بإبطال النتائج"[١].

وذكر ابن المرتضى أن واصل بن عطاء[٢] أخذ علم المناظرة عن ابن الحنفية، وذكر رسالة من الحسن البصري[٣] إلى عبد الملك، ورسالة إلى الحجاج الثقفي[٤] احتج فيها بالآيات القرآنية على بطلان مذهب المجبرة[٥].

ونمت بهذه المناظرات ملكة الحجاج العقلي عند الفِرق الإسلامية، ومن أمثلة هذه المناظرات العقلية ما روي من كلام أبي الهذيل العلاف[٦] عندما "أتاه رجل فقال له:

---

(١) **بدايات علم الكلام في الإسلام**، رسالتان في الرد على القدرية من القرن الأول الهجري، للحسن بن محمد بن الحنفية والخليفة عمر بن عبد العزيز مع ملحق في أخبار غيلان الدمشقي، حققها وترجمها وعلق عليها يوسف فان إيس، ص٥٥.

(٢) واصل بن عطاء(ت١٣١هـ): المعتزلي، من أجلاد المعتزلة، سمي بذلك لاعتزاله مجلس الحسن البصري، بليغ، متشدق، كان يلثغ بالراء، فلبلاغته هجر الراء وتجنبها في خطابه، وهو الذي نشر مذهب الاعتزال، له مؤلفات كثيرة منها(معاني القرآن)(السبيل إلى معرفة الحق)(المنزلة بين المنزلتين). طبقات المعتزلة(ص٢٨)، الأعلام(٨/ ١٠٨+١٠٩)، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٢٩).

(٣) الحسن البصري: هو ابن أبي الحسن، واسم أبيه يسار، أحد الأئمة الأعلام من سادات التابعين، ثقة فقيه، كثير التدليس والإرسال. (ت١١٠هـ). "معرفة الثقات" ١/ ٢٩٢، و"جامع التحصيل" ١/ ١٦٢، و"طبقات المدلسين" ١/ ٢٩.

(٤) الحجاج الثقفي(٩٥هـ): الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد، داهية، قيل عنه:"ما رؤي مثل الحجاج لمن أطاعه ولا مثله لمن عصاه" وكان من أفصح الناس، خطيباً مفوهاً، من محاسنه أنه أول من ضرب درهماً عليه(لا إله إلا الله) وأول من بنى مدينة بعد الصحابة في الإسلام، وينسب إليه الفضل في مشروع إعجام المصحف، مات بواسط. الأعلام للزركلي (٢/ ١٦٨).

(٥) ابن المرتضى، **طبقات المعتزلة**، ص١٦،ص١٩.

(٦) أبو الهذيل العلاف(ت٢٣٥هـ): معتزلي، يلقب بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت في العلافين، له ستون كتاباً في الرد على المخالفين، وله مناظرات طويلة ممدودة وكان يقطع الخصم بأقل كلام، يقال إنه أسلم على يده زيادة على ثلاثة آلاف رجل، من تلامذته الجاحظ.
- ابن المرتضى، **طبقات المعتزلة**، ص٤٤ وما بعدها.

أشكل علي أشياء في القرآن فقصدت هذا البلد فلم أجد عند أحد ممن سألته شفاء لما أردته، فلما خرجت في هذا الوقت قال لي قائل: إن بغيتك عند هذا الرجل، فاتق الله وأفدني، فقال أبو الهذيل: فما أشكل عليك؟ قال: آيات من القرآن توهمني أنها متناقضة، وآيات توهمني أنها منحولة، قال فماذا أحب إليك أجيبك بالجملة أو تسألني عن آية آية؟ قال بل تجيبني بالجملة، فقال أبو الهذيل : هل تعلم أن محمداً كان من أوسط العرب وغير مطعون عليه في لغته، وأنه كان عند قومه من أعقل العرب فلم يكن مطعوناً عليه، قال: اللهم نعم، فقال أبو الهذيل: فهل تعلم أن العرب كانوا أهل جدل؟قال: اللهم نعم، قال: فهل اجتهدوا في تكذيبه، قال: اللهم نعم، قال: فهل تعلم أنهم عابوا عليه بالمناقضة أو باللحن؟ قال اللهم لا، قال أبو الهذيل: فتدع قولهم مع علمهم باللغة وتأخذ بقول رجل من الأوساط؟ قال: فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال: كفاني هذا وانصرف وتفقه في الدين" (١).

و كان لهذه المناظرات أثر في دخول الكثيرين في دين الإسلام.

ونقلت لنا كتب الجدل الكثير من هذه المكاتبات والمناظرات، ويبدو أنها شغلت حيزاً كبيراً في المجتمع الإسلامي في هذا الوقت، وظهر خطرها في الانتقال إلى عوام الناس وأصبح الاشتغال بها من أسباب الانحراف عند عوام المسلمين.

والناظر في مناظرات الفرق يجد أن الاحتجاج بكتاب الله هو الأصل عند الفرق كلها، وقد كان واصل بن عطاء إذا جنه الليل صف قدميه يصلي ولوح ودواة موضوعان، فإذا مرت به آية فيها حجة على مخالف، كتبها ثم عاد للصلاة (٢) وأسهم هذا في تزايد التأويل العقلي إضافة إلى تحييد النظرة الشمولية للدين، ويعد أول من نادى بالتأويل العقلي الجعد بن درهم لأنه أوجب المعارف بالعقل قبل ورود السمع،

---

(١) ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص٤٥.

(٢) ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص٣٢.

وتبعه على هذا المعتزلة، وتابعه الجهم ففسر الآيات التي تقول بخلود أهل الجنة والنار تأويلاً مجازياً وعد الاشتراط والاستثناء للخلود في سورة هود دليلاً على فناء الجنة والنار بعد التنعم والعقاب [1]، قال الله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (هود:١٠٧، ١٠٨)، واستدل الجهم كذلك بقوله تعالى: (هو الأول والآخر) "قال: فالأول هو الذي كان ولا شيء معه وزعم الآخر هو الذي يبقى وحده ولا شيء معه"[2] وقد تناسى الجهم كل الآيات التي تقرر البقاء السرمدي للجنة مثل ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (التوبة: ٢٢).

ومن المفارقات العجيبة أن يكون المعتزلة وهم القائلون بخلق القرآن هم أكثر من ذبوا عن القرآن، ويزيل العجب علمنا بأن المعتزلة كانوا أكثر احتكاكاً بالشعوبيين وأقدر الفرق الإسلامية على المواجهة والرد، وقد انتهجوا في انتصارهم منهجاً عقلياً خالصاً أوقعهم في المزالق، إضافة إلى أنهم ينحون منحى ردة الفعل غير المدروسة؛ فخروجاً من التجسيم ومبالغة في التنزيه أنكروا الصفات وقالوا بخلق القرآن، وخروجاً من مأزق القدرية والجبرية والمرجئة والذين كفروا مرتكب الكبيرة، قالوا بالمنزلة بين المنزلتين؛ وبهذا جمعوا عليهم منازعة الشعوبيين واليهود والنصارى وأهل الحديث، والناظر في كتاب البيان والتبيين للجاحظ المعتزلي، يجد أن نصف الكتاب رد على الشعوبيين ونصفه رد على أهل السنة.

ولم تكن رحلة المعتزلة مع التأويل العقلي منفلتة تماماً من الضوابط، بل كانت لهم ضوابطهم وهي:" العقل، اللغة وشواهدها، رد المتشابه القرآني إلى محكمه، مراعاة بقاء نظم القرآن في مرتبة الإعجاز والتحدي بعد التأويل"[3]. إلا أن هذه الضوابط لم

---

(١) النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ينظر ص٣٢٨ وما بعدها.

(٢) ابن الخياط، أبو الحسين، **الانتصار والرد على ابن الروندي**، تحقيق الدكتور نيبرج، ص٥٢.

(٣) أبو زيد، أحمد، **المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن**، ينظر تفصيل هذه الضوابط ص١٤٤ إلى ص١٦٤.

تسعفهم في الخروج من مأزق أصولهم الفكرية التي حملوا آيات القرآن عليها.

ويطالعني نص لابن القيم[1] يتحدث فيه عن خطورة التأويل العقلي ونتائجه أنقله بتمامه لأهميته يقول:"وبالجملة، فافتراق أهل الكتابين، وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إنما أوجبه التأويل، وإنما أريقت دماء المسلمين يوم الجمل وصفين والحرة وفتنة ابن الزبير وهلم جرا بالتأويل، وإنما دخل أعداء الإسلام من المتفلسفة والقرامطة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية من باب التأويل، فما امتحن الإسلام بمحنة قط إلا وسببها التأويل، فإن محنته إما من المتأولين، وإما أن يسلط عليهم الكفار بسبب ما ارتكبوا من التأويل وخالفوا ظاهر التنزيل وتعللوا بالأباطيل، فما الذي أراق دم بني جذيمة وقد أسلموا غير التأويل، حتى رفع رسول الله ﷺ يديه، وتبرأ إلى الله من فعل المتأول بقتلهم وأخذ أموالهم؟ وما الذي أوجب تأخر الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية عن موافقة رسول الله غير التأويل، حتى اشتد غضبه لتأخرهم عن طاعته حتى رجعوا عن ذلك التأويل؟ ومالذي سفك دم أمير المؤمنين عثمان ظلماً وعدواناً وأوقع الأمة فيما أوقعها فيه حتى الآن غير التأويل؟ وما الذي سفك دم علي رضي الله عنه وابنه الحسين وأهل بيته رضي الله تعالى عنهم غير التأويل؟ وما الذي أراق دم ابن الزبير وحجر بن عدي وسعيد بن جبير وغيرهم من سادات الأمة غير التأويل؟ وما الذي أريقت عليه دماء العرب في فتنة أبي مسلم غير التأويل؟ وما الذي جرد الإمام أحمد بين العقابين وضرب السياط حتى عجت الخليقة إلى ربها تعالى غير التأويل؟ وما الذي قتل الإمام أحمد بن نصر الخزاعي وخلد خلقاً من العلماء في السجون حتى ماتوا غير التأويل؟ وما الذي سلط سيوف التتار على دار الإسلام حتى ردوا أهلها غير التأويل؟ وهل دخلت طائفة الإلحاد من أهل الحلول والاتحاد إلا من

(١) ابن القيم الجوزية: الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق المفسر النحوي الأصولي، الشهير بابن قيم الجوزية، وإمامها، مات سنة إحدى وخمسين وسبعمائة. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٨/ ٢٩٣).

باب التأويل؟ وهل فتح باب التأويل إلا مضادة ومناقضة لحكم الله في تعليمه عباده البيان الذي امتن الله في كتابه على الإنسان بتعليمه إياه؛ فالتأويل بالألغاز والأحاجي والأغلوطات أولى منه بالبيان والتبيين، وهل فرق بين دفع حقائق ما أخبرت به الرسل عن الله وأمرت به بالتأويلات الباطلة المخالفة له وبين رده وعدم قبوله، ولكن هذا رد جحود ومعاندة وذاك رد خداع ومصانعة"[1]

وكانت مناظرات الفرق لا تخلو في كثير من الأحيان من تحييد الأحاديث النبوية والاكتفاء بظواهر النصوص، أو الاستدلال بالموضوعات من الأحاديث، والتأويل الباطني أو الفاسد للنصوص؛ والأمور الثلاثة السابقة احتاجت لها الشيعة بسبب اللاعقلانية التي اتسموا بها لهذا قيل عنهم هم أكذب خلق الله وأوضعه لخبر[2]. وقد أسهمت كثرة الوضع في الحديث في التقليل من شأن حجيته في المكاتبات والمناظرات، وبدا جلياً استخدام الحجاج العقلي والمنطقي[3].

واحتلت المناظرات مكانة لا يستهان بها في المجتمع الإسلامي، ويعد الغنى المعجمي للمناظرة دليلاً على أهميتها كمنهج للمسلمين في تداول المعرفة وتحصيلها وتبليغها عموماً، وفي الانتصار خصوصاً، فاللغة تحمل السمات الفكرية للمتكلمين بها، ومن مفردات المناظرة على سبيل المثال لا الحصر: المحاورة، المحاججة، المجادلة، المساجلة ، المناقضة، المطارحة، .....وغيرها[4].

وبالرغم من هذه المنزلة التي احتلتها المناظرة إلا أن معظمها انصرف إلى أهل

(١) الجوزية، ابن قيم(ت٧٥١هـ)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، عناية عبد الرؤوف سعد، الجزء الرابع، ص٢٥١،ص٢٥٢.

(٢) ابن الخياط،**الانتصار والرد على ابن الروندي**، ص١٣٤

(٣) ينظر هذه المناظرات والمكاتبات في كتاب: أبو زهرة، محمد، **تاريخ الجدل**، ص١٢١وما بعدها، فقد نقل مؤلف الكتاب صورة من هذه المناظرات.

(٤) عبد الرحمن، طه، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، ينظر مكانة المناظرة في الإنتاج الإسلامي، ص٦٨، ص٦٩.

الأديان الشرقية من شعوبيين وثنيين، أو كانت بين الفرق الإسلامية والمنحرفة، ولم تسجل الروايات التاريخية لنا مناظرات قوية مع النصارى واليهود في هذه الفترة المبكرة وهذا يعود إلى سببين: أن اليهود آثروا الدسيسة والوقيعة بالمسلمين في الخفاء، والنصارى لا تعتمد عقيدتهم على العقل فكان يسهل انقطاعهم في المناظرات، إضافة إلى أن المسلمين كانوا متقدمين على النصارى في علم الجدل ولم يشكل مخالفوهم من النصارى مواجهة متكافئة، وهذا لا يعني مطلقاً أن النصارى لم يوجهوا مطاعنهم لكتاب الله، إلا أنهم لم يجيدوا فن المناظرة كما أجاده المسلمون، ونقلت لنا الروايات أنهم كانوا يتدربون على محاججة المسلمين وكان يوحنا الدمشقي وتيودور أبو قرة يدربان النصارى على زعزعة عقائد المسلمين، وقد جاء في كتب الجدل نقلاً عن كتاب يوحنا قوله :"إذا قال لك العربي ما تقول في المسيح ؟ فقل: إنه كلمة الله .ثم ليسأل النصراني المسلم بم سمي المسيح في القرآن وليرفض بأن يتكلم بشيء حتى يجيب المسلم، فإنه سيضطر إلى أن يقول: كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه. فإن أجاب بذلك فاسأله: هل كلمة الله وروحه مخلوق أو غير مخلوق؟ فإن قال مخلوق، فليرد عليه بأن الله إذن كان ولم يكن له كلمة ولا روح فإن قلت ذلك فسيفحم العربي لأن من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين."[1]

ما سبق ذكره يثبت ضعف النصارى في المناظرة، وأنهم أفادوا من الجدل الدائر بين الفرق الإسلامية المختلفة وتعلموا منهم فنه.

(١) ابن حنبل، الرد على الجهمية والزنادقة، مقدمة المحقق، ص٢٢.

٣-الكتب والمؤلفات:

يعد كتاب مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)[1](الجوابات في القرآن) أقدم ما كتب في الانتصار لكتاب الله، ويليه كتاب سفيان بن عيينة[2] (ت١٩٨هـ) (جوابات القرآن)، و ذكر السيوطي كتاباً لقطرب[3](ت٢٠٦هـ) اسمه (الرد على الملحدين في متشابه القرآن)والكتب الثلاثة مفقودة [4]. ويعد كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى[5] (ت٢٠٩هـ) (مجاز القرآن) من كتب الانتصار للقرآن، والذي يحدونا أن نصنفه كذلك هو السبب الباعث على تأليف الكتاب، وهو أن الوزير الفضل بن الربيع[6] لما

---

(١) مقاتل بن سليمان(ت١٥٠هـ): ابن بشير الأسدي بالولاء البلخي، أبو الحسن، من أعلام المفسرين، أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة وتوفي بها، كان متروك الحديث، أجمعوا على تضعيفه، من مؤلفاته (التفسير الكبير) (متشابه القرآن) (الرد على القدرية) (الوجوه والنظائر) (القراءات) (الناسخ والمنسوخ)، لسان الميزان(٩/ ٤٢٩).

(٢) سفيان بن عيينة(ت١٩٨هـ):ابن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، محدث الحرم المكي، من الموالي، ولد في الكوفة، وسكن مكة وتوفي بها، كان حافظاً ثقة واسع القلم كبير القدر، لا يدلس إلا عن ثقة، قال الشافعي لولا مالك وسليمان لذهب علم الحجاز، وكان أعور، وحج سبعين سنة، له (الجامع في الحديث) وكتاب في التفسير. مشاهير الأمصار(١/ ١٤٩)، تذكرة الحفاظ(١/ ٢٦٢)، طبقات المدلسين(١/ ٣٢).

(٣) قطرب(ت٢٠٦هـ): هو أبو علي محمد بن المستنير البصري النحوي، صاحب التصانيف، له كتاب (معاني القرآن) و(غريب الحديث) كان تلميذ سيبويه، وكان يبكر في الذهاب إليه فقال له: ما انت إلا قطرب ليل، فلزمه هذا اللقب، كان يرى رأي المعتزلة، وموثقاً فيما ينقله، وهو أول من وضع المثلث في اللغة. الزركلي، (٧/ ٩٥)، تاريخ الإسلام(٥/ ١٤٥).

(٤) المطيري، عبد المحسن، الطعن في القرآن الكريم والطاعنون في القرن الرابع عشر الهجري، ص٤٧، ٤٨.

(٥) أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ) له كتاب(مجاز القرآن): الإمام، العلامة، البحر، ، البصري، النحوي، صاحب التصانيف، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض جماعي ولا خارجي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة. سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٦).

(٦) الفضل بن الربيع(ت٢٠٨هـ): أبو العباس، وزير، أديب، حازم، تولى الوزارة في زمن الرشيد والأمين، وأعان الأمين على المأمون فلما أصبح خليفة اضطر الفضل للاستتار حتى عفا الخليفة عنه، توفي بطوس. تاريخ بغداد(١١٤/ ٣٠٣).

استقدم أبا عبيدة من البصرة إلى بغداد سأله أحد جلساء الوزير وهو إبراهيم بن إسماعيل الكاتب عن قوله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾(الصافات:٦٥) قائلاً لأبي عبيدة: إنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف متوهماً السائل عن قصد أو غير قصد أن الله سبحانه وتعالى قد أوعد بما لم يعرف، على اعتبار أن الشياطين لا يرون بالعين الباصرة، فأجابه أبو عبيدة بأن الله سبحانه إنما كلم العرب على قدر كلامهم، فلم يأت بما لم يألفوه، واستشهد له ببيت امرئ القيس :

أيقتلُني والمشرفيُّ مضاجِعي ومَسنُونُه زرقٌ كأنياب أغوال

فقارن له أبو عبيدة بين رؤوس الشياطين والغول، لأن العرب لم يروا الغول ولكن أمره كان يهولهم.

وموضوع الكتاب يثبت أنه أول كتاب في الانتصار، فقد عرض الكتاب طرق التعبير القرآني وعرضها على أساليب العرب وفنونهم من تراثهم الأدبي، ليدفع عن القرآن مطعن أن القرآن أتى بما لم تألفه العرب في لغتها.

ويعد السؤال الذي جوبه به أبو عبيدة في مجلس الفضل بن الربيع مثالاً لمحاولة النيل من القرآن.

ويبدو أن حركة الطعن في القرآن كانت في تزايد، مما جعل الجاحظ[١] المعتزلي يضيق ذرعاً بالطاعنين من الشعوبيين الحاقدين، وينذر نفسه للدفاع عن القرآن فلا يكاد يخلو كتاب من كتبه على كثرتها من انتصار لكتاب الله. ويذكر ابن الخياط المعتزلي[٢] في كتابه

(١) الجاحظ(٢٥٥هـ):عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، مولده ووفاته في البصرة، من المعتزلة، وله تصانيف كثيرة، فلج في آخر عمره، قتلته مجلدات الكتب بعد أن وقعت فوقه. وفيات الأعيان (٣/ ٤٧٤).

(٢) ابن الخياط: عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، أبو الحسين، شيخ المعتزلة ببغداد ذكره الذهبي في الطبقة السابعة وقال: لا اعرف وفاته، له كتب كثيرة في النقوض على ابن الراوندي. طبقات المعتزلة(ص٨٥)، الأعلام، للزركلي، (٣/ ٣٤٧).

(الانتصار والرد على ابن الراوندي) كتباً للجاحظ لم تصل إلينا في الانتصار لمصدرية القرآن، مثل كتاب إثبات النبوة وكتاب نظم القرآن يقول:"...فمن قرأ كتاب عمرو الجاحظ في الرد على المشبهة، وكتابه في الأخبار وإثبات النبوة وكتابه في نظم القرآن علم أن له في الإسلام غناء عظيماً لم يكن الله ليضيعه"(1) وبالرغم من أن كتابه في النظم لم يصل إلينا، إلا أن كتب الجاحظ جميعها حوت انتصاراً لمصدر القرآن إما بالحديث عن صحة أخباره، أو بالحديث عن سبكه وبديع نظمه، أو قوة حججه، أو دحض شبهات الطاعنين، وكان قوي العارضة في ملاحقة الشعوبيين حتى قيل عنه:"..لا يعرف المتكلمون أحداً منهم نصر الرسالة واحتج للنبوة بلغ في ذلك ما بلغه الجاحظ، ولا يعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه وأنه حجة لمحمد ﷺ على نبوته غير كتاب الجاحظ...."(2) وقد كتب الجاحظ لصاحبه يصف كتابه قائلاً:"كتبت لك كتاباً أجهدت فيه نفسي، وبلغت منه أقصى ما يمكن لمثلي في الاحتجاج للقرآن، والرد على كل طعان"(3).

ومن هنا نستطيع الجزم أن الانتصار لكتاب الله كان من أهم الدوافع التي أدت إلى تأسيس علم البيان العربي، وتعهده، وإبراز فضيلة العرب فيه.

ويظهر هذا جلياً في كتاب ابن قتيبة(4) (تأويل مشكل القرآن) الذي أنهى كتابته في ٢٥٣هـ وقد ذكر ابن قتيبة في معرض حديثه عن الباعث على تأليفه بأن هدفه

---

(١) ابن الخياط، **الانتصار والرد على ابن الراوندي**، ص٥٩.

(٢) ابن الخياط، **الانتصار والرد على ابن الراوندي**، ص١٤٥.

(٣) شاكر، محمود محمد، **مداخل إعجاز القرآن**، ص٧٥،نقلاً عن كتاب الجاحظ حجج النبوة.

(٤) ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، النحوي اللغوي، صاحب التصانيف مثل(المعارف) و(أدب الكاتب)و(غريب القرآن الكريم) و(مشكل القرآن الكريم)و(كتاب المسائل والجوابات)، كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وتوفي بها.وفيات الأعيان(٣/ ٤٢+٤٣)، الزركلي(٤/ ١٣٧).

الانتصار لكتاب الله فقال: "و قد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ (آل عمران: ٧) بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم، والاختلاف.

وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور... فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون.... فألفت هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن"[(١)].

اعتمد ابن قتيبة في كتابه على مجاز القرآن لأبي عبيدة، وعلى معاني القرآن للفراء، وقد كانت هذه الألفاظ إضافة إلى غريب القرآن مترادفات في اصطلاح المتقدمين .

ومن كتب الانتصار للقرآن كتب الردود على الفرق المنحرفة مثل كتاب الإمام أحمد بن حنبل (الرد على الجهمية والزنادقة)، وهذا الكتاب من أوله لآخره دفع مطاعن عن القرآن الكريم، ونقض لآراء المعتزلة الذين تبنوا التأويل العقلي من الجهمية وقد قال مؤلفه في مقدمته :"الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم .... ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين."[(٢)].وعنى الإمام أحمد بن حنبل في كتابه برد شبهة خلق القرآن بدراسة مصطلحية متميزة فرق فيها بين الخلق

---

(١) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**،ص١٧ .

(٢) ابن حنبل، **الرد على الجهمية والزنادقة**، ص٨٥.

والجعل في كتاب الله[1].

ومن كتب الانتصار كذلك كتب الردود على أهل الكتاب؛ مثل كتاب أبي بكر الأصم، وضرار بن عمرو، وعيسى بن صبيح المردار الذي رد فيه على أبي قرة النصراني، وكتاب أبي جعفر الإسكافي،وكتاب الخليفة المأمون في الرد على اليهود والنصارى[2]، وبعض هذه الكتب لم يصل إلينا منها إلا اسمها.

ويرسم لنا كتاب الجاحظ الذي رد فيه على النصارى صورة عن الجدل الدائر بينهم وبين المسلمين؛ ويطلعنا فيه على أسباب تأخر ظهور الانتصار من النصارى؛ وهي أسباب تاريخية، واجتماعية، إضافة إلى الفهم المغلوط لكتاب الله عند العوام، يقول الجاحظ:"....النصارى أحب إلى العوام من المجوس، وأسلم صدوراً عندهم من اليهود، وأقرب مودة، وأقل غائلة، وأصغر كفراً وأهون عذاباً"[3]، ويعلل الجاحظ رأي العوام: بجوار اليهود للمسلمين في المدينة، ومعاناة المسلمين من كيدهم وعداوتهم ومطاعنهم، أما النصارى لبعدهم لم يتكلفوا طعناً، ولم يثيروا كيداً.

ثم يعرض الجاحظ الأسباب التي لينت قلوب عامة المسلمين على النصارى وهي هجرة الحبشة وقصة النجاشي، إضافة إلى الخطأ في تأويل قوله تعالى:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المائدة: ٨٢).

وذكر الجاحظ في كتابه الأسباب التي فضّل بها عوام المسلمين النصارى على اليهود، أن اليهود يعملون في الأعمال المهينة، ويعمل النصارى أطباء وكتاباً وصيارفة. ثم يبدأ الجاحظ ببيان الشر الذي دخل على المسلمين من النصارى وأنه لا فرق بينهم

(١) ابن حنبل، **الرد على الجهمية والزنادقة**، ينظر ص١٠٦ وما بعدها.

(٢) ابن المرتضى،**طبقات المعتزلة**، ص١٢٣.

(٣) الجاحظ، **ثلاث رسائل للجاحظ**، ص١٣.

وبين اليهود في "...المعاندة واللجاجة، والإرصاد لأهل الإسلام بكل مكيدة، مع لؤم الأصول وخبث الأعراق"[1]، وأن ما آل له حال النصارى من تطاول وتكبر بسبب التسامح الديني في الدولة الإسلامية، و أن الابتلاء بالنصارى أكبر من ابتلاء الأمة باليهود والمجوس والصابئة، والسبب في هذا أن النصارى :"...كانوا يتبعون .. المتشابه من آي كتابنا، ثم يخلون بضعفائنا ويسألون عنها عوامنا مع ما قد يعلمون من مسائل الملحدين والزنادقة الملاعين، وحتى مع ذلك ربما تبرؤوا إلى علمائنا وأهل الأقدار منا، ويشغبون على القوي، ويلبسون على الضعيف .ومن البلاء أن كل إنسان من المسلمين يرى أنه متكلم، وأنه ليس أحد أحق بمحاجة الملحدين من أحد"[2].

وما سبق ينبئ عن تنبه الجاحظ لخطر طعن النصارى في كتاب الله وذهول العامة عن هذا الخطر. ويبدي الجاحظ في كتابه قلقاً بشأن اشتغال العوام بعلم الكلام، وعده من الرزايا التي حلت بالأمة.

يعرض الجاحظ مطاعن النصارى في القرآن ومنها تشكيكهم بما أخبر القرآن عنهم؛ ومن هذا إخباره عنهم بأنهم عبدوا مريم، وأن عيسى تحدث في المهد فأنكروا وجود هذا في ديانتهم ، وقاموا بالتشكيك في الوقائع التاريخية التي ذكرت في القرآن مثل معاصرة هامان لفرعون، وادعوا أن هامان في العهد القديم كان يعيش في زمن الفرس؛ بعد فرعون بدهر طويل وغيرها من المطاعن، ورد الجاحظ هذه المطاعن بثلاث آليات: منطق النقض الداخلي، والحجة العقلية وقواعد اللغة العربية[3].

وقد يصعب حصر المؤلفات في الانتصار لكتاب الله، في هذه الفترة المبكرة في حياة المسلمين، فالانتصار حملة شارك فيها المتكلمون والفقهاء والمحدثون[4]؛ فالقرآن هو

---

(١) الجاحظ، ثلاث رسائل للجاحظ، ص١٨.

(٢) الجاحظ، ثلاث رسائل للجاحظ، ص٢٠.

(٣) الجاحظ، ثلاث رسائل للجاحظ، ينظر رسالته في الرد على النصارى.

(٤) فظهور بدعة القول بخلق القرآن في وقت مبكر من التاريخ الإسلامي دفع العلماء للتصدي لهذه القضية كل من ناحيته، واتهم العلماء بالقول بخلق القرآن مثل البخاري وأبي حنيفة ومحنة الإمام أحمد ابن حنبل تنبئ عن التطرف الذي وصلت إليه هذه القضية.

القطب الذي دارت عليه حياتهم، ومنه نشأت معارفهم الإسلامية، وعنه انبثقت الحياة السياسية والفكرية، وعليه فالانتصار لكتاب الله كان محوراً رئيساً في علومهم.

٤-تعزير الحكام وولاة الأمر للطاعن:

ويعد السؤال المهم في هذه المسألة : هل كان حكام المسلمين يقتلون كل من ابتدع بدعة ضالة أو طعن في كتاب الله؟ والجواب يتعلق بما أثرناه سابقاً عن جدلية الديني والسياسي واستحالة الفصل بينهما؛ على سبيل المثال دعا معبد الجهني إلى بدعة القدر زمناً ليس بالقصير فلم يتعرض له أحد حتى خرج مع ابن الأشعث، وقاتل الحجاج إلى أن ظفر به الحجاج واقتص منه مع دعاة هذه الفتنة[١].

أما غيلان الدمشقي فقد دعا إلى بدعته وكاتب عمر بن عبد العزيز كتاباً استهله بقوله:" أبصرت يا عمر وما كدت، اعلم يا عمر أنك أدركت من الإسلام خلقاً بالياً، ورسماً عافياً، فيا ميت بين الأموات...."[٢] ويرسم الكتاب صورة عن الحرية الفكرية التي منحها حكام المسلمين للناس، فقد أخذه عمر بن عبد العزيز باللين والرفق وناقشه حتى كشف عنه شبهته، فقال غيلان لعمر:"يا أمير المؤمنين، لقد جئتك ضالاً فهديتني، وأعمى فبصرتني، وجاهلاً فعلمتني، والله لا أتكلم في شيء من هذا الأمر"[٣]، فاستماله عمر بأن طلب نصحه فطلب غيلان من عمر أن يوليه بيع الخزائن ورد المظالم، فولاه عمر، واستغل غيلان هذه الولاية للتشنيع على حكام المسلمين وكان ينادي: تعالوا إلى متاع الخونة ، تعالوا إلى متاع الظلمة ...."وكشف عن ترف بني أمية والناس جياع، وكان هشام يمر بغيلان وهو يعيبه ويعيب آباءه، ويحرض

---

(١) أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص١٩٩.
(٢) الهمذاني، القاضي عبد الجبار(ت٤١٥هـ)، المنية والأمل، جمعه ابن المرتضى، ص٢٠،ص٢١.
(٣) أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص٢٠٠.

العوام، فلما ولي هشام بن عبد الملك الحكم هرب غيلان إلى أرمينية، فأرسل هشام في طلبه وجاء به وحبسه ثم قطع يديه ورجليه وقتله[1]، والذين قالوا بقتل غيلان لطعنه في كتاب الله وقوله بالقدر احتجوا ببعث هشام بن عبد الملك للأوزاعي الفقيه ليناظر غيلان في قوله بالقدر قبل الحكم بقتله[2]، وما أراه هنا أن المناظرة ما هي إلا ما نسميه بعرف العصر محاكمة ميدانية بسبب الخيانة العظمى، والعبث بأمن الدولة، وهذه المحاكمات في وقتنا تنتهي بالحكم بالقتل رمياً بالرصاص؛ فمناظرة الفقيه لغيلان هي محاكمة ميدانية تجعل من حكم هشام بن عبد الملك حكماً قانونياً بعيداً عن التعسف أمام الرعية، ولو كان قتل الحاكم بسبب الأفكار ما انتشرت كتب ورسائل غيلان في العالم الإسلامي، ولما نشر أتباعه مذهبه خوفاً من أن يكون مصيرهم كمصيره.

وقد نقلت لنا الروايات أن خالد بن عبد الله القسري[3] أمير الأمويين في الكوفة حزَّ رأس الجعد بن درهم في أصل المنبر بعد أن أخبر الناس أنه سيتقرب إلى الله بقتله يوم العيد كما يتقرب الناس بأضاحيهم، لأنه أنكر اتخاذ الله إبراهيم خليلاً، وأنه لم يكلم موسى تكليماً، وهذا المعتقد قاده لإثارة الفتن وكان الجعد يقف بجانب المنبر ويقطع خطبة الوالي ليصرح بما يعتقد[4]، ولم تسجل لنا الروايات التاريخية أي اعتراض على هذا القتل.

---

(١) الهمذاني، عبد الجبار، **المنية والأمل**، ص٢١، ص٢٢.

(٢) أبو زهرة، **تاريخ الجدل**، ص٢٠٠، ص٢٠١.

(٣) خالد بن عبد الله القسري، ولي مكة سنة تسع وثمانين للهجرة، وأمه نصرانية، وكان لجده يزيد صحبة مع رسول الله ﷺ، وكان معدوداً من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، وكان جواداً كثير العطاء. وفيات الأعيان(٢/ ٢٢٦)، ميزان الاعتدال(١/ ٦٣٣).

(٤) النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ج١، ص٣٣٠، ص٣٣١.

وقتل هشام بن عبد الملك الجهم بن صفوان[1] الذي تأثر بأقوال الجعد بن درهم وقتل في ١٢٨هـ بأمر هشام بن عبد الملك لمشاركته الحارث بن سريج[2] في حربه على بني أمية[3].

مما سبق نجد أن انتصار الحكام ليس بسبب الطعن في كتاب الله والإلحاد في تأويله، وإنما بسبب نتائج هذا الطعن ومآلاته.

والصورة التي رسمناها آنفاً ليست مضطردة فقد جاء المأمون الخليفة العباسي ليعكس لنا الصورة، فبدل أن يعزر الحاكم للمآلات السياسية للطعن في كتاب الله، نجده يعزر لقضية لا تبدو للناظر لها متعلق بالسياسة البتة؛ وهي قضية خلق القرآن التي أظهر المأمون القول فيها في ٢١٢هـ ولم يكتف المأمون بتبني هذا القول وإنما نهج منهج القوة والبطش ليحمل العلماء والفقهاء ليقولوا بقوله وعرضهم للتعذيب .وقد امتحن الإمام أحمد بن حنبل لحمله على القول بخلق القرآن، وحفلت الكتب التراثية بتفاصيل قصة محنة أحمد بن حنبل وثباته على الحق.

فهل انحسرت الحرية الفكرية في عهد المأمون حتى تصر الدولة على حمل الناس على معتقدها الرسمي؟ ولماذا لم يطل الاضطهاد الفكري أصحاب الديانات الأخرى؟ والنظرة الشمولية للتاريخ تسعفنا بالجواب: لقد أتى العباسيون إلى السلطة بانقلاب عسكري على بني أمية وركز العباسيون في استمالة الناس على قضية انتمائهم لبيت

---

(١) جهم بن صفوان (ت١٢٨هـ): أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي، المتكلم الضال، رأس الجهمية، وأساس البدعة، كان ذا أدب ونظر وذكاء وفكر وجدال ومراء، وكان كاتبا للأمير الحارث بن سريج التميمي الذي توثب على عامل خراسان نصر بن سيار، وكان الجهم ينكر صفات الرب عز وجل وينزهه بزعمه عن الصفات كلها ويقول بخلق القرآن، ويزعم أن الله ليس على العرش بل في كل مكان، أمر بقتله نصر بن يسار. تاريخ الإسلام(٣/ ٣٩٢)، الأعلام، للزركلي(٢/ ١٤١).

(٢) الحارث بن سريج(ت٢٣٦هـ): أبو عمر النقال، خوارزمي الأصل، قال ابن أبي حاتم: كتب عنه أبو زرعة وترك حديثه وامتنع أن يحدثنا عنه. كَانَ يتهم فِي الحديث. تاريخ بغداد (٨/ ٢٠٧).

(٣) النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، ص٣٣٤.

النبوة، وهذا لم يشفع لهم عند الشيعة الذين أثاروا قضية أحقية الأسرة العباسية بالخلافة وعدوا أن نسب الرسول عليه الصلاة والسلام من علي بن أبي طالب أحق بالخلافة، واستغلت الشيعة هذا لإثارة الفتن وكان نفوذهم في تزايد في العصر العباسي، وقد تنبه المأمون لأخطارهم فحاول الاحتواء الأيديولوجي لأفكارهم حتى لا يلبسوا على العامة فقال بتفضيل علي رضي الله عنه على الصحابة أجمعين، وبايع ولياً لعهده من نسل علي بن أبي طالب وهو علي بن موسى، واعتنق قول المعتزلة في خلق القرآن؛ وحاول حمل الناس على هذا المذهب فالمعتزلة منشغلون بعلم الكلام والذب الفكري والعقدي عن الأمة وهذا ما يحتاجه الخليفة العباسي للوقوف في وجه خصومه من الشيعة وأهل الغنوص، وهذا جوهر عمل المعتزلة؛ النفرة للمجادلة والدفاع عن الإسلام.

وفشل المأمون في حمل الأمة على مذهب المعتزلة مما دفعه لاستعمال القوة في فرض المذهب الاعتزالي لينشغل العوام عن سؤال أحقية الأسرة العباسية بالخلافة، وهو السؤال الذي خاف المأمون أن يثار بعد مقتل أخيه الأمين، ونحن إذ نقرر هذه الحقائق لا ننفي اهتمام المأمون الفكري ورعايته لعلم الكلام وتبنيه المذهب الاعتزالي عن قناعة، واهتمامه بالدفع عن الإسلام وقد ذكر له مؤلفات في هذا[١]، ولكننا نحاول إيجاد تفسير منطقي للاضطهاد الفكري وفرض فكرة خلق القرآن بالقوة، وهو أمر لم نعهده من خلفاء المسلمين[٢]، وتعد هذه الفترة هي فترة المعتزلة الذهبية، فكثرت تصانيفهم ومناظراتهم.

استمرت محنة القول بخلق القرآن حتى في عهد المعتصم، والواثق، إلى أن تولى الخلافة المتوكل في ٢٣٢هـ، فرفع الاضطهاد الفكري وأكرم العلماء وقرب إليه أحمد

---

(١) مثل كتاب الرد على النصارى الذي ذكر في الفقرة السابقة.

(٢) للمزيد عن عهد المأمون ينظر كتاب:

-شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية)**، ج٥+٦، ص١٩٨.

ابن حنبل وأخذ بمذهب الشافعي، وهو أول خليفة أخذ بهذا.

وجدير بالذكر أن لثبات العلماء في هذه الفتنة، ومناظراتهم وحجاجهم المنطقي والعقلي دوراً كبيراً في جلاء الغمة عن المسلمين والانتصار لكتاب الله من مطعن القول بخلق القرآن .

٥-الإجراءات الاحترازية لحفظ كتاب الله والحد من الطعن فيه:

ومن هذه الإجراءات:

أ- نقط وشكل المصحف:

تنقل الروايات التاريخية أن زياد بن أبيه والي البصرة أبدى قلقاً من حيف العجمة على لغة القرآن بعد أن دخل الإسلام أمم جديدة من غير العرب ، والعرب لم تكن بحاجة للشكل لسلامة اللغة وصفاء السليقة ، فاقترح الوالي على أبي الأسود الدؤلي(١) شكل المصحف فتباطأ بالجواب، إلى أن سمع يوماً رجلاً يقرأ: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولِهُۥ ﴾ (التوبة: ٣) بكسر لام (ورسوله) فراعه ما سمع من اللحن الشنيع وقال أبو الأسود: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله. وسارع إلى زياد وقال له: قد أجبتك إلى ما سألت .

ويعد أول تبني رسمي للخلافة الإسلامية لنقط المصحف في عهد عبد الملك بن مروان، الذي رأى ما كان من اتساع رقعة الإسلام، والمشقة التي يتكبدها العجم في التمييز بين الأحرف المتشابهة، إضافة إلى تعاظم الخوف من أن تؤدي العجمة إلى

---

(١) أبو الأسود الدؤلي(ت٦٩هـ): ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني، واضع علم النحو. كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان وحاضري الجواب، أول من نقط المصحف، وهو صاحب الشعر المشهور(لا تنه عن خلق وتأتي مثله..)، كان ثقة في حديثه. الزركلي(٣/ ٢٣٧)، الطبقات الكبرى(٧/ ٩٩).

التغيير في كتاب الله، فارتأى الخليفة أن الانتصار لكتاب الله من هذه المعضلة لا يتم إلا بأمر من الخليفة فانتدب لهذا الأمر الجلل الحجّاج، وطاعة لأمير المؤمنين كلف الحجّاج نصر بن عاصم الليثي[1]، ويحيى بن يعمر[2] وهما أهل ورع وصلاح وتتلمذا على يد أبي الأسود الدؤلي، وقام الرجلان بالمهمة خير قيام وأعجما[3] المصحف الشريف وكان لعملهما عظيم الأثر في الانتصار لكتاب الله من العجمة وإزالة اللبس والإشكال عن المصحف الشريف[4]، ويعد نقط وشكل المصحف جزءاً من مشروع متكامل تبنته الدولة الإسلامية في العصر الأموي للانتصار لكتاب الله، والحفاظ على وحدة النص القرآني، وكان لهذا المشروع فريق عمل متكامل من القراء والحفاظ يرأسه الحسن البصري لعلو مكانته، ورفعة منزلته، علماً وعملاً، مما يؤهله لفض أي نزاع في الفريق والحسم فيه، ولم تقتصر أهداف هذا المشروع على النقط والشكل بل تعدته إلى عد كلمات القرآن وحروفه وآياته، إضافة إلى فصل الآيات والتخميس والتعشير، وتجزئة القرآن إلى أجزاء مختلفة، وتم في هذا المشروع وضع كتاب للقراءات، وبقي هذا الكتاب مرجعاً أساسياً في علم القراءات لفترة طويلة ثم وضع ابن مجاهد(٣٢٤هـ) كتاباً أوسع وأشمل منه في هذا الباب. ومن إنجازات هذا المشروع كذلك وضع كتاب في عدد آيات القرآن، وقد وضع الله لهذا المشروع القبول عند الأمة وكان ذلك بسبب الإجراءات التي اتخذتها الدولة في سبيل تثبيته وإنجاحه،

---

(١) نصر بن عاصم الليثي(ت٨٩هـ): من أوائل واضعي " النحو "، قال ياقوت: كان فقيها، عالما بالعربية، من فقهاء التابعين، وله " كتاب " في العربية. وهو أول من نقط المصاحف. وكان يرى رأي الخوارج ثم ترك ذلك، مات بالبصرة. الأعلام للزركلي (٨/ ٢٤).

(٢) يحيى بن يعمر(ت١٢٩هـ): أبو سليمان العدوي، قاضي مرو، ويكنى أبو عدي، أول من نقط المصاحف وكان ذلك قبل أن يوجد تشكيل الكتابة بمدة طويلة، ولد بالأهواز، وسكن بالبصرة، كان من علماء التابعين عارفاً بالحديث والفقه ولغات العرب، وكان ذا لسن وفصاحة، أخذ ذلك عن أبي الأسود. سير أعلام النبلاء(٤/ ٤٤٢)، الزركلي(٨/ ١٧٧).

(٣) الإعجام هو النقط.

(٤) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص٢٨٥، ص٢٨٦.

ومن هذه الإجراءات: تتبع جميع المصاحف المخالفة وإتلافها مع تعويض صاحبها، وإرسال مصاحف جديدة تم تجهيزها في المشروع إلى الأمصار الإسلامية، ولتثبيت هذه المصاحف وإضفاء الشرعية عليها وإشاعتها بين الناس أمرت الدولة الإسلامية بالقراءة فيها في يومي الخميس والجمعة في المساجد بعد الانتهاء من صلاة الفجر[1].

ويعد مشروع المصاحف الذي أنجز في زمن الأمويين من أضخم المشاريع المؤسسية الرسمية للانتصار للقرآن الكريم، بعد المشروع الأول الذي أنجز في زمن الخلافة الراشدة.

ونستطيع أن نعد أول إشارات لعلم النحو التي جاء بها أبو الأسود الدؤلي من الإجراءات الاحترازية لحماية لغة القرآن من فشو اللحن،ولمساعدة الموالي الذين دخلوا في الإسلام.

ب-التصنيف في علوم متفرقة متعلقة بالقرآن، تم الاصطلاح على تسميتها فيما بعد علوم القرآن:

وما يجعلنا نرجح أن السبب الأساسي للتصنيف المتفرق في علوم القرآن هو الانتصار لكتاب الله أن من أرخ لعلوم القرآن من الدارسين جعل كتاب الحارث بن أسد المحاسبي[2] (ت٢٤٣هـ) أول كتاب في علوم القرآن، ونجد أن هدف المحاسبي من

---

(١) للمزيد عن الموضوع ينظر:
-حمدان، عمر، **مشروع المصاحف الثاني في العصر الأموي**، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الرابع، السنة الثانية،ص٦٣ وما بعدها.

(٢) الحارث المحاسبي(ت٢٤٣هـ): الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، من أكابر الصوفية، وكان عالماً بالأصول والمعاملات، واعظاً، مبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم، ولد ونشأ بالبصرة، كان ابن حنبل يكرهه لنظره في علم الكلام، وتصنيفه فيه فهجره فاستخفى من العامة فلما مات لم يصل عليه إلا أربعة نفر، وله مع الجنيد حكايات مشهورة. الزركلي(٢/ ١٥٣)، وفيات الأعيان(٢/ ٥٧).

تصنيف كتابه وضع وسائل لفهم القرآن على طريقة أهل السنة لا على طريقة المعتزلة؛ ويبين الحارث المحاسبي خطأ منهج المعتزلة تحت عنوان: (مع المعتزلة دفاع والتزامات).

وإذا تتبعنا أقوال العلماء في نشأة كل علم من علوم القرآن، نجد أن ما دفع للتصنيف في هذا الفن أو ذاك هو الذب عن كتاب الله، فعلى سبيل المثال كثر الوضع في القراءات، وتلاعبت بعض الفرق المنحرفة في النصوص القرآنية فقرأ بعض المعتزلة ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾(النساء:١٦٤) بنصب لفظ الجلالة لإنكارهم تكليم الله لموسى، وقرأ بعض الرافضة قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(الكهف:٥١)بفتح اللام يعنون بها أبا بكر وعمر[١]، وصور لنا ابن الجزري هذه الحالة بقوله: "…. وكاد الباطل يلتبس بالحق فقام جهابذة الأمة وصناديد الأئمة فبالغوا في الاجتهاد وبينوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ والصحيح بأصول أصلّوها، وأركان فصلوها"[٢]،والبحث في علوم القرآن حاله حال القراءات نشأ دفاعاً عن كتاب الله، وحفظاً له مثل: البحث في المشكل والغريب والناسخ والمنسوخ، وقضية المكي والمدني وأسباب النزول وموهم الاختلاف ونسخ القرآن في زمن عثمان؛ فكلها أدوات لحماية كتاب الله من الحملة الشرسة عليه.

ج-جمع الحديث النبوي وتدوينه:

أوجس المسلمون خيفة من مخاطر ثلاث تهدد النص القرآني: التأويل العقلي للقرآن المنفلت من الضوابط، وكثرة الوضع في الحديث، واشتغال العوام بعلم الكلام مما يشكل خطراً على عقائدهم.

---

(١) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (٨٣٣هـ)، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، دار الكتب العلمية، ط١٤٢٠،١هـ ١٩٩٩م، ص٢٣.

(٢) ابن الجزري(ت٨٣٣هـ)، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، **النشر في القراءات العشر** دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ص١٥.

انعكست مخاوف المسلمين على منهجهم في الانتصار، وقاموا بأكبر وأهم الأعمال الإنسانية وهو جمع الحديث وتدوينه، وأول من فكر بهذا عمر بن عبد العزيز وقام بحث العلماء على هذا، ودون الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ)(١) كل ما سمعه من أحاديث الصحابة غير مبوب، وغير مختلط بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين. وتوالت التآليف في هذا الموضوع، ويعد القرن الثالث أزهى عصور السنة بأئمة الحديث وبدأ التأليف على طريقة المسانيد(٢).

واتسعت الهوة في المنهج بين المتكلمين وأهل الحديث الذين حاولوا الحد من الكلام؛ وفي رسالة خطها ابن حنبل للمتوكل يبين له حقيقة رأيه في مسألة خلق القرآن، أوضح فيها عن رفضه لمنهج المتكلمين يقول ابن حنبل:"..لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله، أو في حديث عن النبي-ﷺ- أو عن أصحابه، أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود"(٣)، والظاهر أن أحمد بن حنبل رفض الكلام في العقائد، أما الجدل في الانتصار لكتاب الله فلا يدخل في رفض الإمام ابن حنبل، بدليل توظيفه للنظر والأثر في الانتصار للقرآن في كتابه(الرد على الجهمية والزنادقة)(٤).

ويعد كتاب ابن جرير الطبري (تمام المنة في تقريب صريح السنة) مثالاً لإقصاء علم الجدل والمناظرة والاقتصار على المأثور في الانتصار لكتاب الله ، مع أن الطبري في مقدمة كتابه أقر نظرياً بمشروعية النظر العقلي للانتصار لكتاب الله يقول ابن جرير:"ثم إنه لم يزل من بعد مضي رسول الله ﷺ لسبيله حوادث في كل دهر تحدث،

---

(١) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري(ت١٢٥هـ): أبو بكر الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه. طبقات ابن سعد(٣٨٨/ ٢)، ابن حبان،الثقات: (٧٦/ ٩).

(٢) السباعي، مصطفى، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، ص١٠٣ وما بعدها.

(٣) ابن حنبل، **الرد على الجهمية والزنادقة**، ص٧١.

(٤) ينظر كتابه: **الرد على الجهمية والزنادقة**، تحت عنوان: بيان ما تأولت الجهمية من قول الله: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم.....ص١٣٨، ص١٣٩.

ونوازل في كل عصر تنزل، يفزع فيها الجاهل إلى العالم، فيكشف فيها العالم سدف الظلام عن الجاهل، بالعلم الذي آتاه الله، وفضله به عن غيره، إما من أثر، وإما من نظر."[1]وقد عزف الطبري في كتابه على التوقف فيما ليس فيه أثر يعلمه عن صحابي مضى أو تابعي قضى ولم يستخدم النظر مطلقاً في الانتصار للقرآن، وللإنصاف فقد بدا انتصاره قاصراً ضعيفاً؛ فالعقل والنقل جناحا طائر لا يحلق إلا بهما.

الخلاصة:

١- بلغت الهجمة الشرسة على القرآن في هذا العصر أوجها، وتولى كبرها الفرق المنحرفة والشعوبيون والزنادقة.

٢-احتل الانتصار للقرآن مكانة كبيرة في عصر التابعين وأتباع التابعين.

٣-أدخل الانتصار للقرآن علوماً جديدة على الأمة مثل علم المناظرة والجدل، وعلوم القرآن، إضافة إلى وضع بذرة علم البيان والبلاغة والنحو، واستتبع هذا الحاجة إلى التأصيل النظري لهذه العلوم.

٤-اعتمد الانتصار لكتاب الله على أمرين: الأول: العقل الصريح وظهر جلياً في العلم الجدلي الحجاجي، والثاني: النقل الصحيح الذي ظهر في استثمار القرآن والحديث النبوي واللغة في الانتصار.

٥-لم يكن الانتصار للقرآن حكراً على أهل السنة والجماعة، فقد وجدنا إسهامات من الفرق الأخرى مثل المعتزلة.

---

(١) الطبري، ابن جرير(ت٣١٠هـ)، تمام المنة في تقريب صحيح السنة، تحقيق وضبط وعناية الشيخ أكرم ابن محمد زيادة الفالوجي الأثري، ص١٩، ص٢٠.

-الانتصار للقرآن في القرن الرابع الهجري وما بعده:

١-يمثل القرن الرابع الهجري وما بعده مرحلة خصيبة في تاريخ الانتصار للقرآن وفي تاريخ الدراسات القرآنية والنقدية عموماً؛ فالبذور التي بذرها المسلمون للذود عن النص القرآني والرد على الطاعنين عليه، كبرت وأثمرت وآتت أكلها؛ فبذرة الجاحظ أثمرت نضجاً في نظرية إعجاز القرآن، وتحددت اتجاهات العلماء وآراؤهم ومنازعهم في إعجاز كتاب الله والكشف عن أسراره. وكَتَب الخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني ثلاث رسائل في الإعجاز لرد كيد الطاعنين، وقد تطورت دراسة الإعجاز على يد عبد القاهر الجرجاني، وأخذت المنحى الذوقي البلاغي، وظهر هذا جلياً في كتابه (دلائل الإعجاز) الذي شرح فيه نظريته في الإعجاز؛ هذه النظرية تلقفها الزمخشري من بعده وأحسن تطبيقها.

واحتل إعجاز القرآن مكانة لا يستهان بها في مشاريع الانتصار لكتاب الله مثل، مشروع الباقلاني[١] فقد أفرد له كتاباً سماه إعجاز القرآن شرح فيه نظريته في الإعجاز[٢]، واستدل بالإعجاز على نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام في كتابه (تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل) في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة[٣].

٢-شهد هذا القرن وما بعده احتدام الجدل حول علم الكلام، وكان رفض علم الكلام قبل القرن الرابع الهجري بسبب جرأة أهله على الخوض في الذات الإلهية، و

---

(١) الباقلاني(ت٤٠٣هـ): القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، وسكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره. وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩) الزركلي (٦/ ١٦٧).

(٢) الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**.

(٣) الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة**، ينظر كلامه عن الإعجاز في الانتصار لمصدر القرآن من مطاعن اليهود والنصارى ص٨٧إلى ص٩٦.

الغيبيات عموماً، ولخطورة اشتغال العوام به، ولارتباطه بمباحث القول بخلق القرآن[1].

إلا أن القرن الرابع الهجري وما بعده شهد أسباباً إضافية لرفض علم الكلام، وهي تداخله مع المنطق اليوناني بعد انتشار حركة الترجمة.

وبلغ هذا الصدام أوجه في عصر الغزالي الذي أدخل المنطق الأرسطي، وذهب إلى أنه يمكن تحييد الإلحاد عن المنطق الأرسطي واستعماله كأداة منهجية في العلوم، وهذا استتبعه إيمان فلاسفة المسلمين بإمكان قيام علم غيبي برهاني، وذهبوا إلى قصور علم الكلام الحجاجي وأهله عن إدراك مرتبة البرهانيين[2].

وظهرت التصانيف الكثيرة في ذم الكلام وتحريمه، فكتب الخطابي (الغنية عن الكلام وأهله)، وكتب الهروي كتاباً سماه (ذم الكلام)، وكتب الغزالي كتاباً قيماً سماه(إلجام العوام عن علم الكلام)، وكتب الجماعيلي كتاباً سماه (تحريم النظر في كتب الكلام)وجاء ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ) في رسالة بعنوان (تحريم النظر في كتب أهل الكلام: كتاب فيه الرد على ابن عقيل)،غيرها الكثير من المؤلفات، ويعد الأشعري من أوائل المدافعين عن علم الكلام وضرورته وكتب رسالة مطولة في الدفاع عن علم الكلام وضرورته ومشروعيته، وذكر أصولاً من السنة على مناقضة الخصم في النظر وفي استدراك مغالطة الخصم [3].

وبالرغم من العلاقة المتوترة بين مؤيدي الكلام ورافضيه إلا أن هذا العلم ترك أثره في الفكر الإسلامي وتداخل مع العلوم الإسلامية من أصول فقه، ولغة، وأصول

---

(١) وقد جعل الدكتور عبد الرحمن بدوي سبب تسميته علم الكلام من باب إطلاق الجزء على الكل لأن قضية أن القرآن كلام الله أم مخلوق شغلت حيزاً كبيراً فيه بل هي من أهم مباحثه. ينظر:
-بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، ص٢٨ وما بعدها.
(٢) عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص٥٩ إلى ص٩٣.
(٣) وقد أورد رسالته بتمامها الدكتور عبد الرحمن البدوي ينظر كتابه:
-بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، من ص١٥ إلى ص٢٧.

دين. واستثمر المسلمون علم الحجاج، والمنطق البرهاني في الانتصار لكتاب الله، وفي معارفهم عموماً[1].

٣-وقد علم علماء الأمة أن إدراك العلوم والحكم عليها رهين بإدراك مصطلحاتها؛ فاهتموا بدراسة المصطلحات الكلامية، وأول من تنبه لأهمية العناية بالمصطلح هو الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين)، وكتب ابن فورك كتاباً سماه (مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري)وحدا به هذا الكتاب إلى وضع أول مصنف في باب المصطلحات سماه(الحدود و المواضعات)، ويظهر من الكتاب أن مؤلفه لا يعتد بتعريفات المناطقة [2]، وهذا ينسجم مع طريقة المتقدمين من الأشاعرة مثل الباقلاني و الجويني[3]، وكتب ابن حزم[4] (التقريب لحد المنطق).

٤-حرص علماء المسلمين على التأصيل النظري لعلم الجدل والحجاج، فالتقعيد والتأصيل يحمي العلوم من عبث العابثين، لهذا سعى العلماء لفهم العلم ودراسته وعرضه على أصولهم وثوابتهم ومعالجته معالجة علمية لتبقي على ما هو حق، وتسقط ما هو باطل، فبدأت بوادر التقعيد لعلم المحاجّة والجدل، ويطالعنا في هذا السياق كتب عدة مثل كتاب أبي الوليد الباجي (ت٤٧٤هـ)[5] (المنهاج في الحجاج)، و(الكافية في

(١) ويعد كتاب الانتصار للباقلاني خير مثال لاستثمار المنطق القويم في الدفاع عن كتاب الله.
(٢) ابن فورك، أبو بكر بن الحسن الأصبهاني، **الحدود في الأصول(الحدود والمواضعات)**، ص٥٠.
(٣) للمزيد عن هذا الموضوع ينظر:
-الثامر، قدور أحمد، (رسالة ماجستير ١٩٩٥م)، **أثر الغزالي في علم الكلام**، جامعة بغداد، كلية الآداب،قسم الفلسفة،ص٦١،ص٦٢.
(٤) ابن حزم(ت٤٥٦هـ): أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس، كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر، وكان متفنناً في علوم جمة. وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٥)، الزركلي(٤/ ٢٥٤).
(٥) أبو الوليد الباجي(ت٤٧٤هـ): سليمان بن خلف بن سعد،الإمام، العلامة، الحافظ، ذو الفنون، القاضي، أبو الوليد، صاحب التصانيف،أصله من مدينة بطليوس، فتحول جده إلى باجة - بليدة بقرب إشبيلية - فنسب إليها، وما هو من باجة المدينة التي بإفريقية. سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٣٦)، الزركلي (٣/ ١٢٥).

الجدل) لإمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨هـ)[1]، و(علم الجذل في علم الجدل) لنجم الدين الحنبلي الطوفي (ت٧١٦هـ)، وبالرغم من الإقصاء الذي طال هذا العلم وطغيان المنطق البرهاني، إلا أنه لم يخل قرن من المؤلفات التي حاولت الضبط المنهجي القويم لهذا العلم، وذكر صاحب كشف الظنون أن أشهر كتب هذا الفن هو كتاب شمس الدين السمرقندي (ت٦٠٦هـ)،و لعضد الدين الإيجي (ت٧٦٥هـ) وطاش كبرى زاده (ت٩٦٣هـ) كتباً في التقعيد لعلم الجدل ، وكتب سجاقلي زاده (ت١١٤٥هـ) رسالة سماها : (الرسالة الولدية في آداب البحث والمناظرة) وغيرهم كثر.

٥-اتسعت دائرة الطعن لكتاب الله وتعددت صوره، فلم يعد مقصوراً على التكذيب بمصدر القرآن والإلحاد في تأويله، بل طال التشكيك النص الأصلي من حيث جمعه ونقله وقراءاته وأحرفه ولغته وغيرها من المطاعن، وأدرك علماء المسلمين أن القضية هي قضية دفاع عن القرآن وليست قضية اختلاف فرق ونحل وملل؛ ولهذا نجد كتابين في القرن الرابع الهجري اختص عنوانهما بدفع المطاعن عن القرآن الكريم، أحدهما لعالم من علماء السنة، والآخر لمعتزلي، وهما كتاب الإمام الباقلاني(الانتصار للقرآن)، وكتاب القاضي عبد الجبار المعتزلي[2] (تنزيه القرآن عن المطاعن).

تناول القاضي عبد الجبار الشبهات حسب ترتيب سور القرآن، وردّ القاضي ما يقارب ٨٤٦ مطعناً أكثر من نصفها في أول ١٣ سورة وباقي المطاعن في السور الباقية، ويعد المحور الأهم للكتاب هو الرد على المجبرة، لكنه لم يغفل الرد على باقي الفرق من قدرية وخوارج و إمامية ويهود ونصارى وغيرهم، إلا أن القاضي جعل عقيدته

---

(١) الجويني(ت٤٧٨هـ): عبد الملك بن عبد الله النَّيْسَابُورِي إِمَام الْحَرَمَيْنِ أَبُو الْمَعَالِي، النظار الأصولي الْمُتَكَلّم البليغ الفصيح الأديب الْعلم الْفَرد زِينَة الْمُحَقِّقين إِمَام الْأَئِمَّة على الْإِطْلَاق عجما وعربا وَصَاحب الشُّهْرَة الَّتِي سَارَتْ السراة والحداة بهَا شرقا وغربا. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/ ١٦٥).

(٢) القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت٤١٥هـ): العلامة، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، ولي القضاء بالري ومات فيها. سير أعلام النبلاء(١٧/ ٢٤٤)، الزركلي (٣/ ٢٧٣).

الاعتزالية أساساً في تأويل كتاب الله[1].

ولقي كتاب الباقلاني قبولاً منقطع النظير لخلوه من الاعتزال ولاعتماده العقل والنقل في الانتصار للقرآن، ويدل الكتاب على "ثراء البحث الكلامي وتآزر الرواية والدراية في مواجهة المشكلات العلمية التي تبلورت في سياق الجدل المحتدم بين مختلف الأنظار والعقول"[2]. رتب الباقلاني كتابه على الموضوعات التي تناولها الطاعنون. والناظر في فهرس الكتاب يجد الكثير من موضوعاته ينسجم مع موضوعات علوم القرآن، والحق أن النقول المستفيضة من كتاب الباقلاني التي ظهرت في مصنفات العلماء الذين صنفوا في علوم القرآن مثل أبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ)والبدر الزركشي(ت٧٩٤هـ) والجلال السيوطي(ت٩١١هـ) ؛ تثبت ما ذهبنا إليه آنفاً من أن علوم القرآن ولدت ونمت من رحم الانتصار لكتاب الله، وهذا يدل أيضاً على عمق تأثير الباقلاني في دائرة العلوم القرآنية، ولعل هذا القبول الذي حققه الباقلاني هو لكثرة الاعتماد على الحديث إيراداً واحتجاجاً، إضافة إلى اعتماده على الكلام والعقل .

رد كتاب الانتصار على مطاعن الرافضة بصورة أساسية ولم يغفل مطاعن الفرق الأخرى، وبإلقاء نظرة سريعة على عصر الباقلاني نعلم لماذا خص الرافضة برده، فعلى المستوى السياسي كان القرن الرابع الهجري عصر سيطرة الشيعة على الدولة الإسلامية بلا منازع، فقد سيطر البويهيون على مناطق واسعة؛ وتعود أصول البويهيين إلى آل بويه وهي أسرة فارسية شيعية، ودانت المغرب للدولة العبيدية، ووصل نفوذ القرامطة إلى دمشق، وظهرت الدولة السامانية التي هي أقرب للإسماعيلية، والدولة الحمدانية في الموصل والشام؛ وهؤلاء جميعاً شيعة متفاوتون في أصولهم فمنهم من أصول يهودية مثل العبيديين ومنهم من أصول مجوسية كالقرامطة، وهم كذلك

(١) القاضي عبد الجبار المعتزلي(ت٤١٥هـ)، **تنزيه القرآن عن المطاعن**، ينظر المقدمة،ص٦+٧، ص٥٣+٥٤.

(٢) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، **الانتصار للقرآن**، المقدمة، ص ط.

متفاوتون في درجة الغلو وكلهم هدفهم هدم الإسلام من الداخل، ولم يبق سوى مناطق ضيقة قليلة تحت سيطرة أهل السنة، إلا أن الله حمى الإسلام وأهله بعدم الاتفاق بين هؤلاء، فقد قاتل القرامطة العبيديين، وقاتل العبيديون الحمدانيين، وكان الحمدانيون والبويهيون في صراع ، ولم يكن السامانيون بمنأى عن هذا الصراع. في هذا القرن كتبت الشيعة على أبواب المساجد لعنة معاوية، ولعنة من غصب فاطمة أرض فدك، وغيرها من اللعنات فقام أهل السنة في الليل فمحوه، فأراد الحاكم أن يعيده فأشير عليه أن يكتب مكانه: لعن الله الظالمين لآل رسول الله ﷺ، وصرحوا بلعنة معاوية فقط.

وأُلزم الناس يوم عاشوراء بغلق الأسواق، وأُخرجت نساء منتشرات الشعور يلطمن في الشوارع ويقمن المآتم على الحسين، وهذا أول يوم نيح فيه عليه ببغداد، وجعل يوم الثاني عشر من ذي الحجة عيد غدير خم، وظهر من يقول بالتناسخ وأن روح علي حلت فيه وروح فاطمة حلت في زوجته، وظهر من ادعى أنه جبريل وما إلى ذلك من الانحرافات[1]، في هذا الواقع التاريخي جاء كتاب الباقلاني على مستوى متفرد للانتصار لكتاب الله من الطاعنين، وأولهم الروافض الذين شككوا في صحة نقل القرآن وسلامة النص القرآني، وجاءت مطاعنهم متعارضة مع أبسط مناهج البحث العلمية الرصينة، مما أدى إلى تكون وانتشار التصورات الواهية لتاريخ جمع القرآن، وهذا كله مما عالجه الباقلاني بالنقض وأتى عليه بالحجة البالغة .

٦-استتبع سيطرة الشيعة على مساحة واسعة في الدولة الإسلامية إلى علو شأن الحركات الباطنية لما بين الشيعة والباطنية من وشائج وصلات، ودعاة الباطنية هم من الأمم والشعوب التي فقدت سيادتها بسبب الفتوحات الإسلامية، مما جعل هذه

---

(١) الذهبي(ت ٧٤٨هـ)، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث وفيات (٣٥١هـ-٣٨٠هـ)، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام التدمري، ينظر حوادث سنة ٣٥١هـ وما بعدها، ص٥ وما بعدها.

الحركات تسعى لتمزيق الإسلام من الداخل حقداً منها، ومحاولة لاستعادة ما ذوى عن أصحابها من مجد وسؤدد، ومن أهم وسائل الباطنيين في القضاء على الإسلام القضاء على القرآن الكريم الذي تقوم عليه الحياة الإسلامية، وعلم هؤلاء أن النص الأصلي لكتاب الله محفوظ لا سبيل للنفاذ إليه، فعمدوا إلى طريقة فيها من الخبث والدهاء ما تعجز عنه الشياطين، وهي فصل الدال عن المدلول، وادعوا أن لظاهر القرآن باطناً يجري من الظاهر "...مجرى اللب من القشر وإنها بصورتها توهم الجهال صوراً جلية، وهي عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأن من تقاعد عقله من الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها، كان تحت الأغلال التي هي تكليفات الشرع، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه..."[1]؛ وكان هدف الباطنيين تحديداً من الفصل بين المفردة ومعناها إسقاط التكاليف الشرعية، والقضاء على حجية النصوص.

قامت دعاوى الشيعة والباطنيين على الفلسفة اليونانية، وهذا ما تكشفه لنا رسالة من أحد دعاة الإسماعيلية إلى زعيم القرامطة يقول فيها:" ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم، فمن أنست منه رشداً فاكشف له الغطاء، وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به، على الفلاسفة معولنا، وإنا وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء، وقدم العالم... "[2]. وانبرى الغزالي ليسدد ضرباته للباطنية وللفلاسفة؛ فقد درس منطقهم الداخلي وحاول فصل المنهج الفلسفي عن الفلسفة التي أنتجته، وللغزالي مؤلفات عدة في الرد على الباطنية منها كتابه (المستظهري..) الذي كتبه استجابة للخليفة المستظهر بالله، ومن مؤلفاته في الرد على الباطنية كتابه: (حجة الحق)و(مفصل الخلاف) و(قاصم الباطنية)، واستطاع الغزالي بمنطق النقض الداخلي أن يسدد ضربة كبيرة للفلسفة اليونانية، وتابع الشهرستاني ما بدأ به الغزالي

(١) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص١١٦.
(٢)البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٣٠٠+٣٠١. وقد ذكر البغدادي في كتابه بعضاً من مطاعنهم في القرآن ص٣١٠.

من حرب على الفلسفة في كتابه (مصارعة الفلاسفة)، هذه الضربات التي سددت إلى الفلسفة لم تمنع من الخلط بين علم الجدل والفلسفة، فالغزالي الذي رد الفلسفة، حاول الاستفادة من المنطق وعده أداة منهجية يمكن الإفادة منها، وألبس الغزالي الفلسفة ثوباً إسلامياً، ويعد أدق تعبير يصف ما فعله الغزالي هو ما نقله الذهبي عن تلميذ الغزالي القاضي أبي بكر بن العربي: "شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة وأراد أن يتقيأهم فما استطاع"[(١)]، وقد كان للمتكلمين المسلمين قبل الغزالي قانون خاص مستقل عما سواه مبني على منهاج إسلامي خاص وضع أسسه الأصوليون، وتناوله المتكلمون بالزيادة والتعديل، وهذا ما قرره ابن تيمية[(٢)] في قوله:" ..وكان للغزالي قانون هو المنطق، أما أبو بكر العربي فقد وضع قانوناً آخر مبنياً على طريقة أبي المعالي ومَن قَبلَه، كالقاضي أبي بكر الباقلاني"[(٣)]، وقد كان قانون المتكلمين الأوائل قبل الغزالي بمعزل عن المنطق الأرسطي، حتى حصل المزج على يد الغزالي، وتحول المنطق الإسلامي الخالص إلى منطق أرسطو.

وأدى إرساء الغزالي علم الكلام الحجاجي على قاعدة منطقية فلسفية إلى متابعة الحملة عليه، إلى أن تولى ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية لواء حركة أسهمت في انحسار الفلسفة وانبثاق فكر إسلامي أصيل.

وقد كانت المواقف قبل ابن تيمية بين تحريم علم المنطق وجعله فريضة شرعية وضرورة بشرية، فقام ابن تيمية بدراسة علم المنطق بغير طريقة الفتاوى، وأرسى طريقة النقد المنهجي لعلم المنطق القائم على أسس منطقية ولم يقتصر عمله على هدم المنطق ولكن أسهم في بناء منطق إسلامي، قائم على المنهج التجريبي الاستقرائي

---

(١) سالم، محمد رشاد، مقارنة بين الغزالي وابن تيمية، ص٩+١٠.

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. الأعلام للزركلي (١/ ١٤٤)

(٣) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج١،ص٦.

سبق به فلاسفة أوروبا بقرون[1].

ويبقى السؤال الذي نضعه بين أيدي الدارسين ويحتاج إلى إجابة: لماذا لم ينح العلماء بعد ابن تيمية المنحى البنائي الذي أَصَّل له لإنشاء علم منطق إسلامي، واقتصر الأمر من بعده إما على الهدم أو التحريم؟ [2].

٧- يعد القرن الرابع وما بعده، العصرَ الأكثرَ نشاطاً في المدونات المسيحية الطاعنة في القرآن والردود عليها؛ فقد ازداد الصدام العقدي بين اليهود والنصارى من جهة والإسلام من جهة أخرى، وهذا الصدام بلغ أوجه مع الصدام العسكري في بلاد الأندلس، إضافة إلى توالي الحملات الصليبية على العالم الإسلامي، ولم يخفف انحسار هذه الحملات ومجيء التتار من هذا الصدام العقدي؛ فالتتار والوا النصارى واليهود فقويت بهذا شوكتهم، وكتبوا كتباً ورسائل روجوا فيها لشبهاتهم، واستدلوا بأدلة قرآنية على عقائدهم النصرانية وعلى صحة كتبهم، وطعنوا في كتاب الله وفي نبوة محمد عليه والسلام، ومن أقدم المؤلفات التي كتبها النصارى في هذا الموضوع (مجموعة دير كلوني) (Cluniac ccorpus)، أو ما عرف (بمجموعة طليطلة)Toledan) collection)؛ وهذه المجموعة كتبها رجل دين مسيحي يدعى بطرس وهو رئيس لأهم أديرة أوروبا، وهو دير كلوني ولهذا الدير فرع في طليطلة، ويعد هذا الكتاب أول محاولة لتجميع قاعدة فكرية عن الإسلام في الغرب للحد من انتشاره؛ وذلك بتفنيد القرآن، ومحاولة تنصير المسلمين، وحوى الكتاب تعاليم الإسلام تحت مسمى(هرطقات الإسلام)، وقام الكتاب بتفنيد هذه الهرطقات على حد زعمه، وقد استعان بطرس بترجمة لاتينية للقرآن لإنجاز كتابه، وكان هو من أوعز للمترجمين بإنجازها وأجزل لهم العطاء، وتعد هذه أول

---

(١) للمزيد عن دور ابن تيمية في بناء فكر إسلامي أصيل ينظر كتاب:
النشار،علي سامي، **مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي**، ص١٤٩ وما بعدها.

(٢) النشار، **مناهج البحث عند مفكري الإسلام**، ص٢٢٩ وما بعدها.

ترجمة للقرآن، وهذه الترجمة بعيدة جداً عن النص القرآني ولا تستحق مسمى ترجمة باعتراف المستشرقين أنفسهم؛ فقد تصرف صاحبها فيها، وهذه الترجمة تداولتها الأديرة أربعة قرون قبل طباعتها[1].

وكتب المسلمون ردوداً على النصارى واليهود انتصاراً لمصدرية القرآن، وعقد الباقلاني أبواباً في كتابه (التمهيد) للرد على النصارى واليهود[2]، وأثمر الانتصار لكتاب الله من اليهود والنصارى بذرة علم مقارنة الأديان. وكانت لابن حزم الريادة في هذا العلم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) وانتهج في كتابه منهج التقرير والنقد، وهذا المنهج له فاعليته في إلزام الخصم ؛ " ومما يؤكد دور ابن حزم الريادي في علم مقارنة الأديان أن التناقضات التي أثبت العلم الحديث وجودها في التوراة و الإنجيل، قد سبق بها ابن حزم وأوردها في كتابه منذ القرن الرابع قبل أن يهتدي إليها أحد من العلماء المحدثين"[3]، وكان من معاصري ابن حزم الباجي الذي كتب رسالة يرد فيها على رسالة من قسيس في دير كلوني، وقد قامت بين الباجي وابن حزم مناظرات وجلسات عديدة، وللغزالي كتاب (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل)، وكتب أبو عبيدة الخزرجي كتابه (مقامع الصلبان) رداً على رسالة جاءته من قس مسيحي يدعوه لاعتناق المسيحية، وكتب القرطبي كتابه(الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام)، رداً على كتاب ألفه أحد النصارى من طليطلة بعد سقوطها بأيديهم، فرد القرطبي من مدينته قرطبة على هذا الكتاب، وذكر القرافي في (الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة) الداعي إلى تأليفه الكتاب، وهو الرد على رسالة للنصارى احتجوا فيها بآيات من القرآن على صحة مذهب النصرانية، وذكر ابن تيمية أن سبب تأليفه لكتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) أنه

---

(١) غراب، أحمد عبد الحميد، الاستشراق، ينظر ص٣٢ وما بعدها.

(٢) الباقلاني، أبو بكر، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص٤٩ وما بعدها.

(٣) حماية، محمود علي، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ص٧.

جعله جواباً لرسالة وردت إليه من قبرص، فيها الاحتجاج لدين النصارى وفيها الطعن على صحة النبوة المحمدية وصحة القرآن الكريم، ولابن تيمية وابن القيم جهود كبيرة في الرد على النصارى ودحض مفتريات اليهود ومطاعنهم على كتاب الله[1].

وكانت الردود على النصارى تحمل نقضاً داخلياً لإثبات تهافت النصرانية، وتحمل مقارنات بين تعاليم القرآن والإنجيل، إضافة إلى إثبات نبوة محمد باستخراج البشارات من كتب النصارى.

وشارك في حملة الانتصار لكتاب الله من أسلم من النصارى واليهود من أمثال عبد الله الترجمان، الذي كتب (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب)، فجاء الكتاب مفحماً ملزماً لأنه كتب من أحد علمائهم، وكان قد ألفه صاحبه رداً على كتاب أتاه من قسيس يدعوه ليعود إلى النصرانية، وأن يترك دين الإسلام[2].

ويعد كتاب الشيخ رحمت الله الهندي[3] (إظهار الحق) الذي كتبه في القرن الثامن

---

(١) للمزيد عن هذه الجهود ينظر:

-بناني، سميرة عبد الله بكر، **جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود**، ينظر ص٣٤٣ وما بعدها .ينظر أيضاً:

-زامل، مريم عبد الرحمن عبد الله، **موقف ابن تيمية من النصرانية**، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

(٢) الترجمان، عبد الله، **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب**، ص١٤+١٥.

(٣) هو محمد رحمت الله بن خليل الله(ويعرف بخليل الرحمن) الكيرواني العثماني ينتهي نسبه عند الجد الرابع والثلاثين إلى ذي النورين عثمان بن عفان، ولد الشيخ في في قرية قريبة من دلهي عاصمة الهند في ١٢٣٣هـ ، وقد اشتهر أفراد أسرته بالعلم والطب والمناصب العالية،كان حظ الشيخ وافراً من العلوم وتصدر مجالس العلوم الشرعية والإفتاء ، تنبه الشيخ لمخاطر التنصير المحدقة بمسلمي الهند، ولضخامة الجهود التي يبذلها المنصرون تحت مظلة الاحتلال الانجليزي للهند، مما جعله يترك التدريس ويتفرغ لمقارعة المنصرين والرد عليهم باللسان والقلم، وكان الشيخ رحمت الله أستاذ عصره في علم مقارنة الأديان والرد على النصارى، تنبه الشيخ لأهمية الجهد الجماعي في مواجهة الهجمة=

عشر تتويجاً لعلم مقارنة الأديان واستثماره في نقض عقيدة النصارى واليهود والانتصار لكتاب الله، وكان الباعث على تأليف الكتاب مناظرات حصلت بين الشيخ والقس فندر، وفندر هذا هو صاحب كتاب(ميزان الحق) الذي كتبه ونشره تحت حكم الإنجليز للهند؛ وهذا الكتاب هو عمدة للطاعنين الذين أتوا بعده.

وكان الشيخ قد انتهج أسلوب المناظرات التقريرية مع القساوسة في الهند، وناظر الشيخ رحمت الله القس فندر وقطعه، وحسمت المناظرة لصالح الشيخ، وانتزع اعترافاً من القسيس بتحريف الأناجيل وتناقضها، مما حدا بالقس لترك الهند، وقام بتزوير نتائج المناظرة ونشر إشاعات كاذبة مفادها أنه انتصر على الشيخ، فقام الشيخ بتسجيل مسائل المناظرة في كتابه (إظهار الحق).

والحق أن هذا الكتاب كانت له أصداء منقطعة النظير، وترجم إلى لغات عدة، وبلغ من أهميته أن النصارى لشدة غيظهم كانوا يشترون النسخ ويجمعونها من الأسواق ويحرقونها، ولولا وقوف الحكومة العثمانية وراءه لاندثر الكتاب، وكتب الكثير من العلماء في مدح الكتاب ومؤلفه، وكان له عظيم الأثر في الحد من هجوم المبشرين على الإسلام .

وقد ذكر الشيخ أحمد ديدات[1] أن كتاب (إظهار الحق) هو الذي دفعه لمناظرة النصارى الذين كانوا ينشرون شبهاتهم في الهند، فلا يعلم بما يرد عليهم، حتى وقع في

=الشرسة على القرآن مما حدا به لتأسيس مراكز لتدريب الدعاة المسلمين على مقاومة التنصير، وكان لهذه المراكز الأثر الكبير في نفوس المسلمين وتبصيرهم بأهداف التنصير، وأصبحت هذه المراكز هي البذرة لجميع جمعيات حماية الإسلام في الهند، وسلك الشيخ مع المنصرين أسلوب المناظرة مع القساوسة الذين بلغ من تبجحهم دعوة المسلمين من على منابر المساجد لنبذ دينهم، ينظر سيرة الشيخ في مقدمة المحققين لكتبه: **المناظرة الكبرى، وإظهار الحق.**

(١) أحمد ديدات (١٩١٨م- ٢٠٠٥م): داعية إسلامي أشتهر بمناظراته وكتاباته في المقارنة بين الدين الإسلامي والدين المسيحي.

يده كتاب الشيخ رحمت الله، وقد تصدى الشيخ أحمد ديدات لكتاب سلمان رشدي (آيات شيطانية)، ويعد سلمان رشدي الرجل البريطاني من أصول هندية مثلاً حياً لأثر الشبهات التي تثيرها إرساليات النصارى على المسلمين .

واختلفت طرق علماء المسلمين في الانتصار لكتاب الله من النصارى واليهود مما أدى إلى افتراق في مناهجهم، فلم يكن منهج الباقلاني كمنهج ابن حزم، ولم يكن منهج ابن حزم كمنهج ابن تيمية، وهذا الافتراق في المنهج يستحق أن يكون نواة للتأصيل النظري لعلم مقارنة الأديان الإسلامي.

٨-نلحظ في القرن الرابع وما بعده نشاطاً في الحركة التفسيرية للحد من خطورة التفسير دون ضوابط، ولابن تيمية تراث تفسيري ضخم جمعه العلماء كالشيخ عبد الرحمن قاسم في مجموع الفتاوى؛الأجزاء(١٤-١٧)، والدكتور عبد الرحمن عميرة في كتاب التفسير الكبير في سبعة أجزاء، ولابن تيمية كتاب (تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء..)،وكتب ابن تيمية مقدمته في التفسير، والحق أن ابن تيمية كان صاحب مشروع في الانتصار لكتاب الله قائم على ثنائية الهدم والبناء؛ الهدم للشبهات ونقضها، وجزء بنائي قائم على التأصيل للعلوم التي تحمي من الشبهات .

وطالعتنا أسماء لها مكانتها العلمية مثل: القرطبي، وأبو حيان، والسمين الحلبي، وابن كثير، وغيرهم كثر، إضافة إلى جمع علوم القرآن على يد الزركشي.

٩-ظهر في أواخر القرن الثامن استقرار نسبي في الانتصار لكتاب الله، وهذا مرده إلى توقف الجدل بين الفرق والمذاهب المختلفة، وانتهاء الوجود الفعلي للعديد من التيارات المتصارعة، إضافة إلى نضج واستقرار العلوم العقلية عموماً وليس الانتصار لكتاب الله فقط، وانتشرت الشروحات والحواشي [1].

(١) من المفكرين والباحثين من يعد القرن التاسع وما بعده عصر جمود الحركة العلمية والانحطاط الفكري والحق أن ثنائية النهضة والانحطاط ثنائية مفتعلة لا أساس لها من الصحة ينظر تفنيد المقولة في كتاب: شريح، محمد عادل، ثقافة في الأسر (نحو تفكيك المقولات النهضوية العربية)، ص١٢٩ إلى ص١٥٩ .

الخلاصة

١- ظهر في القرن الرابع مصطلح الانتصار للقرآن في مؤلف مستقل للباقلاني، دفع به الشبه عن القرآن ورد على الفرق المنحرفة، وكان للرافضة نصيب الأسد من هذه الردود لاستيلائهم على الحكم في مناطق واسعة من الدولة الإسلامية .

٢- نضجت في القرن الرابع وما بعده العلوم التي ولدت من رحم الانتصار لكتاب الله، مثل: علم إعجاز القرآن، وعلم الجدل والمناظرة، وعلوم القرآن، مما استتبع هذا الحاجة للتأصيل النظري لها لجمع مسائلها وضبط مصطلحاتها.

٣- اختلط علم الكلام بالمنطق والفلسفة مما زاد الهجمة على هذا العلم من علماء المسلمين، وأدى إلى غياب شمسه بعد القرن الثامن الهجري، وذبول علم المناظرة معه، ولم تخل المكتبة الإسلامية بعد القرن الثامن من محاولات لإعادة الحياة لعلم الجدل والمناظرة، وذلك بالتقعيد لمسائله، ومن هذه المحاولات محاولة عضد الدين الإيجي (ت٧٦٥هـ)، ومنها كذلك رسالة كتبها سجاقلي زاده (ت١١٤٥هـ) سماها (الرسالة الولدية في آداب البحث والمناظرة) وغيرهم.

٤- أسهم الصدام العقدي بين النصارى والمسلمين في شعور المسلمين بالحاجة لعلم يفي بحاجة الانتصار للقرآن من مطاعن أهل الكتاب، فظهر علم مقارنة الأديان، وهذا العلم ما زال يحتاج للتقعيد والتنظير، ولا يزال فيه مساحة واسعة للدراسات المنهجية الإسلامية.

٥- أظهر علماء المسلمين وعياً بأهمية الانتصار للقرآن، وكان عند علمائنا السابقين اتساق في المنهج بين التنظير والتطبيق، إضافة للعلم الواسع بعقلية الآخر وديانته ومذهبه وطريقة تفكيره وعلومه.

الفصل الثاني

الانتصار للقرآن في العصر الحاضر

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: جهات الطعن في القرآن في العصر الحاضر

المبحث الثاني: أهم المطاعن والشبهات على القرآن في العصر الحاضر ومناهج دفعها.

المبحث الثالث: الانتصار للقرآن في الوقت الحاضر

الفصل الثاني

الانتصار للقرآن في العصر الحاضر

قبل الحديث عن الانتصار في العصر الحاضر ينبغي وضع حدود هذا العصر، ولأن المسألة فيها سعة ومرونة فسأعدّ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بداية العصر الحاضر، فإن سألني سائل ولم هذا؟ قلت: إن أهم ما يميز العصر الحاضر عن غيره من جهة الطعن في كتاب الله هو ظهور الاستشراق بحلته التنظيمية الجديدة(١)، وقد أطلق بعض الباحثين على هذه المرحلة مرحلة التنظيم الفعلي للاستشراق(٢)، ويمكن أن نعد المؤتمر الأول للاستشراق الذي عقد في باريس في عام ١٨٧٣م بداية هذه المرحلة(٣).

هذا المؤتمر هو عبارة عن تنسيق الجهود الاستشراقية العالمية بعد صراع القوى الاستعمارية لاقتسام التركة الضخمة التي ستورثها الخلافة العثمانية الآيلة للسقوط(٤).

ما سبق يقود لأسئلة مشروعة :

-هل كان الاستشراق قبل مرحلة التنظيم الفعلي جهوداً فردية وعشوائية؟

-هل الاستشراق هو جهة الطعن الوحيدة التي استحدثت على الأمة؟

---

(١) وأقول بحلته التنظيمية الجديدة لأن من أرخ للحركة الاستشراقية جعل جذورها ضاربة في القدم، وأرجعها البعض إلى القرن الأول الهجري إلى كتاب يوحنا الدمشقي، والحقيقة هذا يجانب الصواب فالحركة الاستشراقية بصورتها الحالية وبمفهومها الاصطلاحي هي وليدة المشروع الفكري الغربي الحديث الذي انفصل عن الكنيسة وتبنى فلسفات مادية.

(٢) والحق أن الاستشراق منذ بداياته الأولى كان جهداً منظماً تميز بوضوح الهدف والوسيلة، وكان أقرب ما يكون إلى جهد جماعي مؤسسي.

(٣) **الزيادي، محمد فتح الله،الاستشراق أهدافه ووسائله(دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)، ص٢٨،**

(٤) **شاكر، محمود محمد، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ينظر ص٨٧ وما بعدها.**

-هل هناك مطاعن جديدة على القرآن الكريم لم تكن في القرون السابقة؟

-ما أهم ملامح الانتصار لكتاب الله في العصر الحاضر؟ وهل أسهم الانتصار للقرآن في ولادة علوم جديدة؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه في المباحث الآتية.

المبحث الأول

جهات الطعن في القرآن في العصر الحاضر

يمكن حصر جهات الطعن في كتاب الله في ثلاث فئات:

١-المستشرقون.

٢- المستغربون[1].

٣- فرق أخرى.

أولاً: المستشرقون:

-قراءة في الاستشراق من داخل الفكر الغربي:

إن قراءة أولية في الاستشراق تنبئ عن حقائق يصعب تجاهلها؛ ومن أهم هذه الحقائق أن الاستشراق هو الابن البار للمشروع الفكري الغربي أو ما يسمى الحداثة الغربية، فمن تعريفات الاستشراق نجد أن هناك إجماعاً على ثلاث قضايا رئيسية في المؤسسة الاستشراقية، وهي:

١- فاعل: الغرب.

٢-منفعل: الشرق.

٣-فعل: الدراسة.

فالاستشراق: "دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه، ولغاته، وآدابه، وفنونه، وعلومه، وتقاليده، وعاداته"[2]وإذا كان الفاعل

---

(١) المُستلبون فكرياً للغرب.

(٢) الصغير، محمد حسين علي، المستشرقون والدراسات القرآنية، ص١١.

الرئيسي هو الغرب الممثل بشخوصه وأعيانه الغربيين، فهذا يعني يقيناً أن الاستشراق يدور مع المشروع الفكري الغربي حيث دار، وينقاد لأهدافه وآلياته؛ فعندما كانت البيئة الأوروبية محكومة ببنى ثقافية واجتماعية وسياسية أصلها المرجعية الدينية، كان الاستشراق دينياً.

والسؤال المشروع هنا هل كان حقاً الاستشراق التابع للكنيسة دينياً؟

الباحث في التاريخ الأوروبي، يجد مما لا يدع مجالاً للشك أن الكنيسة مارست دوراً عسكرياً وسياسياً متسترة وراء الدين المحرف، فقد أخضعت الملوك والأمراء لسيطرتها بعد وقوفها في وجه سلطات البربر وهجماتهم، وشنت حروباً باسم الدين ومنها الحروب الصليبية، ولم يقتصر الطغيان الكنسي على الناحية السياسية، فعلى الصعيد الاقتصادي عقدت الكنيسة تحالفات بينها وبين الإقطاع لتؤمن لها سنداً مادياً يساعدها في إحكام قبضتها على حكام أوروبا.

ما سبق ذكره ليس من فضول القول، وإنما لنثبت حقيقة أن الاستشراق التبشيري الذي قادته الكنيسة لم تكن دوافعه دينية فقط وإنما سياسية استعمارية، إذ إن الكنيسة بادئ بدء ليست مؤسسة دينية وإنما مؤسسة سياسية، اتخذت الدين ستاراً ووسيلة للوصول إلى السلطة.

ويعكس مؤتمر مجمع فيينا الكنسي في ٧١٢هـ هذا التحالف بين السلطة السياسية والدينية؛ فقد دعا المؤتمر إلى إنشاء كراسي للعبرية والعربية والسريانية في روما على نفقة الفاتيكان، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي أكسفورد على نفقة ملك إنجلترا، وفي بولونيا على نفقة رجال الدين فيها[1]، وكان الاستشراق عين الكنيسة في الشرق.

---

(١) النملة، علي بن إبراهيم،**الاستشراق في الأدبيات العربية**، ص٢٩ .ينظر أيضاً:
-فوزي، فاروق عمر، **الاستشراق والتاريخ الإسلامي**، ص٣١.

ومما يثير الاهتمام أن الاستشراق منذ بداياته الأولى لم يكن جهداً فردياً، بل جهداً منظماً منقاداً لسياسات الكنيسة؛ وتعد أول ترجمة للقرآن الكريم بإيعاز من راهب دير كلوني مثالاً للعمل الجماعي المنضبط والممول من الكنيسة، بل قد يرقى لتسميته عملاً مؤسسياً؛ فقد قام راهب مؤسسة دير كلوني عبر رحلتين إلى إسبانيا بما يسمى (دراسة حالة)، ثم تعاون مع مدرسة المترجمين لإنجاز ترجمة القرآن.

ويدل سوء حال هذه الترجمة، وعدم نزاهتها، وبعدها عن النص القرآني الأصلي باعتراف المستشرقين أنفسهم على أن هناك أهدافاً مسبقة، وليس كما زعموا بأن هدف الترجمة هو مجرد تعريف المسيحيين على هرطقات المسلمين[1]، وتبنت الكنيسة إغداق العطاء للعاملين على المشروع.

ما سبق يدل على أن أول عمل استشراقي كان له إدارة، وفريق عمل، وأهداف، وخطة، وموارد مالية، وهذا هو الجهد المؤسسي بعينه.

ثم خطا المشروع الفكري الغربي خطواته نحو ما يسمى بالإصلاح الديني للتحرر من سلطة الكنيسة التي رزح تحتها قرون، ودخل الغرب عصر الأنوار، إلا أنه لم ينفصل عن الدين كلياً؛ لهذا ظل الاستشراق يحمل الطابع الديني. والحق أن ما يسمى عصر الأنوار يستحق تسميته عصر الظلام، أو عصر تخبط العقل في تلمس طريقه؛ لأنه لم يكن أوفر حظاً من الدين المحرف الذي سبقه، فكل عقل من عقول فلاسفة الغرب نقد ونقض من قبله ولم يصل إلى أيِّ حقيقة.

اضطر الغرب في محاولة إقصاء دينه المحرف إلى وضع مناهج تقوده؛ فظهر المنهج التجريبي الذي يرى أن المعرفة بجميع أنواعها تعتمد على التجربة ولا تستمد إلا منها، أي إن الإحساس هو الأداة الوحيدة لتحصيل المعرفة، وأسهم هذا المنهج في

---

(١) وقد ذكر الدكتور ساسي سالم الحاج أهداف الراهب من هذه الترجمة في كتابه **الظاهرة الاستشراقية**، ج١، ص٤٤، وذكر مثالب هذه الترجمة في ص٣٠٩ وما بعدها.

استقلال العلوم الوضعية عن الكنيسة، وأسهم كذلك في توجيه العقل إلى دراسة الحقائق الطبيعية.

والمنهج الثاني الذي اعتمده الغرب في هذه المرحلة هو المنهج العقلي على يد ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م)، قام ديكارت بعقلنة الدين والاستدلال على الغيبيات بأدلة عقلية مما أسماه مسلمات الفطرة، وبدأ يظهر أثر اليهود في الفكر الغربي ووصل هذا الأثر فيما بعد إلى قيادة اليهود لهذا الفكر.

وبقطع النظر عن تداعيات المشروع الغربي داخل أوروبا، فما يعنينا هنا هو علاقة الغرب مع الآخر[1]، فعلى الصعيد السياسي أفرز عصر التنوير الأفكار الاستعمارية التي تفلسف القوة، وتسوغ الحروب، وتكرس العنصرية، وتقر استبداد الدولة، وظهرت النازية والفاشية والصهيونية؛ وتعد فلسفة هيجل(١٧٧٠—١٨٣١م)[2] أكبر دليل على الفلسفة الاستعمارية وتكريس فوقية الدولة القومية الألمانية. هذه الفلسفات حركت أساطيل الغرب إلى شواطئ الخلافة العثمانية البعيدة التي عجزت عن حمايتها وهي في سكراتها الأخيرة[3].

من هذه العقلية؛ عقلية الرجل الأبيض المتفوق عرقياً وحضارياً تابع الاستشراق مسيرته محكوماً بنظرة الإنسان الغربي الذي يحمل لغته وقيمه وثقافته الخاصة، وهي عوامل تؤثر في دراسته للشرق، هذا الشرق الذي تمت قولبته لينسجم مع الخريطة

---

(١) الذي اصطلح الغرب على تسميته بالشرق.

(٢) هيجل(Hegel)(١٧٧٠م-١٨٣١م): فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت، فورتيمبيرغ، في المنطقة الجنوبية الغربية من ألمانيا. يعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان، وتركت فلسفته أثراً على مفكرين وسياسيين وجهوا مذهبه وجهات متناقضة، وما ذلك إلا لأن مذهبه حافل بالتناقضات، وأنه جمع بين النقيضين كما يقضي منطق هيجل. ينظر:
-بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة**، ص٥٧٠ وما بعدها.

(٣) ليس من مقاصد الكتاب بحث عوامل الاستعمار وإنما تسليط الضوء على السند الفكري الذي وضعه الغرب ليسوغ الاستعمار.

الإدراكية للغرب[1].

ومن هذه العقلية المتطرفة التي تؤمن بالتميز العنصري بين الرجل الأوروبي وغيره من شعوب الأرض، خرج لنا مستشرقون من أمثال ارنست رينان[2]؛ الذي يقسم بكل فظاظة البشر إلى عروق متفوقة وعروق دونية، ويؤمن بكل قوة بالتراتبية الهرمية للأعراق، وعبر في أعماله كافة عن احتقاره للإسلام، وعده نتاج العقل السامي، وبالرغم من دعوة رينان لنقد المصادر الدينية نقداً تاريخياً علمياً للفصل بين الأسطورة والحقيقة، وبالرغم من تبنيه المنهج التاريخي الفيلولوجي، إلا أن عنصريته ظهرت في استخدام هذا المنهج على المصادر الإسلامية، وفي ظل هذه العنصرية البغيضة أصبحت اللغة السامية في عرف رينان "ظاهرة أعيق تطورها وتوقف بالمقارنة مع اللغات والثقافات الناضجة للمجموعة الهندو_أوروبية، بل حتى بالمقارنة مع اللغات الشرقية السامية الأخرى...وبكلمات أخرى يبرهن رينان على أن السامية ليست لغة حية، وأن الساميين في نهاية المطاف ليسوا مخلوقات حية...."[3]، وهنا تظهر المفارقة بين فقه اللغة (الفيلولوجيا) كعلم موضوعي و رينان كمفكر عنصري.

---

(١) وقد فند الكثيرون دعوى الموضوعية في الدراسات الفكرية والإنسانية، لأن هذه الموضوعية محكومة بعوامل لا يستطيع الباحث التحرر منها نهائياً؛ وهي اللغة والدين والثقافة والأهواء ينظر:
-شاكر، محمود، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م،ينظر ص٢٦ وما بعدها، ومن ص٦١ وما بعدها.

(٢) ارنست رينان(Ernest Renan)(١٨٢٣م-١٨٩٢م): مؤرخ للمسيحية والفلسفة، صاحب آراء فلسفية، وكاتب فرنسي اشتهر بترجمته ليسوع، التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقدًا تاريخيًا علميًا، وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس، لا يؤمن (رينان) بخلود النفس، و(الله) عند رينان هو غاية الصيرورة وهدف تطور البشرية، وهو المثل الأعلى الذي تنشده الإنسانية. ينظر:
-بدوي، **موسوعة الفلسفة**، (١/ ٥٤٨).

(٣) سعيد، إدوارد، **الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء**، ترجمة كمال أبو ديب، ص١٦٣.

وسار الاستشراق إلى جانب المشروع الفكري الغربي جنباً إلى جنب فعندما وصل الغرب في رحلته الفكرية إلى الإلحاد، وأصبح الإنسان مركز الكون، تبنى الاستشراق المناهج المادية المتزاحمة المستندة معرفياً إلى نظريات ماركس[1] وفرويد[2] والتطورية الداروينية، وأصبحت مطاعن الاستشراق تخضع للتاريخية المادية، أو للتحليلات النفسية والدوافع المكبوتة كما يراها فرويد، وعد المستشرق رودنسون، والمستشرق لوي القرآن تعبيراً عن الرغبات الدفينة ومكنونات اللاوعي عند محمد ﷺ، وقد جاء به ليخفف عن معاناة نفسه، واتهم المستشرقون الرسول عليه الصلاة والسلام بإصابته بمرض عصبي مثل الصرع وغيره[3].

ويظهر التحليل الماركسي جلياً في قول المستشرق الألماني هوبرت جريمي

(Hubert Grimme) في كتابه (محمد) يقول: لم يكن محمد في بادئ الأمر يبشر بدين جديد، بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية، فالإسلام في صورته الأولى الأصلية لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه، ذلك لأننا إذا نظرنا إليه عن كثب، نراه لم يظهر إلى الوجود كعقيدة دينية، بل كمحاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة، وعلى الأخص إلى إزالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين والفقراء المضطهدين....لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين . وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته...وإذا

---

(١) كارل ماركس(١٨١٨م-١٨٨٣م). كان فيلسوفًا ألمانيًا، سياسياً، وصحفياً، ومنظّراً اجتماعياً، ولد لعائلة يهودية. قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ أجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية. لذلك يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية، ويعتبر مع صديقه فريدريك إنجلز المنظرين الرسميين الأساسيين للفكر الشيوعي.

(٢) فرويد: سيغموند فرويد(١٨٥٦م- ١٩٣٩م): طبيب نمساوي من اصل يهودي، اختص بدراسة الطب العصبي، ويعد مؤسس علم التحليل النفسي.

(٣) عوض، ابراهيم، **مصدر القرآن**، ينظر ص١٤٧ وما بعدها وقد استفاض الكاتب في رد التحليلات الفرويدية للظاهرة القرآنية.

أردنا أن نرى تأثر المستشرقين بالمنهج المادي فمقولة المستشرق (جب) تعكس إيمانه بأولوية المادة والواقع على الفكر؛ وهذا جوهر الماركسية يقول المستشرق الإنجليزي هاملتون جب (H.Gibb)[1] أستاذ الدراسات العربية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية في كتابه (المذهب المحمدي):

"إن محمداً ككل شخصية مبدعة قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة، ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقاً جديداً بين الأفكار والعقائد السائدة في زمانه، والدائرة في المكان الذي نشأ فيه..........وانطباع هذا الدور الممتاز لمكة يمكن أن نقف على أثره واضحاً في كل أدوار حياة محمد، وبتعبير إنساني: إن محمداً نجح لأنه كان واحداً من المكيين ..ثم يقول : ويبدو أن معارضة المكيين له لم تكن من أجل تمسكهم بالقديم، أو بسبب عدم رغبتهم في الإيمان ....بل ترجع إلى أسباب سياسية واقتصادية"[2].

وذهب المستشرقون كل مذهب لتأكيد الأثر الاجتماعي والتاريخي في نصوص القرآن، فالنص محكوم بالبيئة والأعراف ومحكوم بالنصوص المقدسة التي سبقته، وهو نتاج بشري أسهمت في تشكله عوامل تاريخية واجتماعية وأدبية ونفسية، وانكب المستشرقون يدرسون هذه العوامل وأثرها في تشكل النص من أرضية لا إله والحياة

---

(١) هاملتون جب (H.Gibb): هامِلتُون ألكسندر روسكين جب (بالإنكليزية: Hamilton Alexander Rosskeen Gibb)(ت١٩٧١م) هو مستشرق بريطاني، أستاذ الدراسات العربية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية. ولد في مدينة الإسكندرية، من كتبه « إلى أين يسير الإسلام » (لندن ١٩٣٢)، و« اتجاهات حديثة في الإسلام » (شيكاجو ١٩٤٧). كما ترجم إلى الإنكليزية مُختارات من رحلة ابن بطوطة.

(٢) كلام المستشرقين هوبرت جريمي وجب منقول عن بحث للدكتور التهامي نقرة القرآن والمستشرقون ينظر كتاب:

-**مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، الجزء الأول ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ص٢٧+ص٢٨.ينظر أيضاً ساسي الحاج، **الظاهرة الاستشراقية**، ص٣٢٠.

مادة، ومن ذلك رأي المستشرق الفرنسي بلاشير (Blachere)[1]أن التشابه الحاصل بين القصص اليهودي المسيحي والقصص القرآني يعزز بشرية القرآن وتأثره بالعوامل الخارجية، ومن استنتاجاته كذلك أن السور المكية يتضح فيها الأثر المسيحي أكثر وذلك نتيجة ارتباط مؤسس الإسلام بفقراء المسيحية في مكة[2].

وبمتابعة الرحلة في الفكر الغربي نجد أن المذاهب المادية وتأليه العقل الإنساني أدخل الغرب في نفق العدمية، واصطدم المشروع المعرفي النظري بالمشروع الأخلاقي العملي، فالعقل الغربي فشل في تأمين المشروع الأخلاقي النظري، فبينما كان المشروع النظري ينادي بالحرية والإخاء والمساواة تبلورت في ضوء هذه النظريات العنصرية، وكأن الحرية للشعب الفرنسي أو الشعب الألماني فقط، وبلغ الاصطدام ذروته بين الغطاء النظري والواقع العملي بعد أن قامت الحربان العالميتان الطاحنتان وألقيت القنابل الذرية على مئات الألوف، وقد قامت هذه الحروب على أيديولوجيات عنصرية وفاشية وأصبحت سيادة البحار سبباً للإرادات المتصارعة.

والحق أن المشروع الغربي في بدايته كان عقلنة الدين، إلا أنه فيما بعد أصبح فلسفات ونظريات تسوغ المجازر والمعتقلات الجماعية وتسوغ العنصرية، ومذابح الماركسية ليست أخطاء شاذة في الفكر الماركسي، بل هي جوهر الماركسية.

هذا الفصام النكد بين الغطاء النظري والواقع العملي، جعل المذاهب المادية ومناهجها في حالة احتضار،وما هذا إلا لتأليه الإنسان وعقله، فسارع الغرب لإزاحة الإنسان عن مركز الكون ، وسعى هذا الفكر لتأمين زاد نظري جديد يهدف إلى إنقاذه وإنقاذ الماركسية ووضع أعذار لممارساتها، ووجد الفكر الغربي ضالته في اللغة، فاللغة

---

(١) بلاشير: ريجيس بلاشير(Régis Blachère): (١٩٠٠م- ١٩٧٣ م)، مستشرق فرنسي معروف باطلاعه العميق على اللغة العربية و الأدب .

(٢) الحاج، ساسي سالم، **الظاهرة الاستشراقية**، ج١، ص٣٢١، وقد نقل المؤلف مقولات كثيرة للمستشرقين تعزز مادية المناهج الاستشراقية .

برأي الغرب مستقلة عن القرارات الفردية، وهي موضوعية وحاملة لتقاليد آلاف البشر وتفوق عمر العلوم بكثير، وهي التي تشكل إدراك الإنسان وتصله بأخيه الإنسان، وهي التي تتحدث من خلاله وليس هو من يتحدثها. وباللغة تقترب العلوم الإنسانية من مصاف العلوم الطبيعية[١]، وهذا يتفق بوجه مع نظرة الماركسية للغة التي ترى أن اللغة اكتملت عند الإنسان قبل أن يتمتع بالوعي والفكر[٢].

أصبحت هذه اللغة أساساً للمنهج البنيوي، وليس المقام مقام الإطالة في شرح البنيوية؛ ولكن ليس من فضول القول أن نتعرف على لمحة سريعة على البنيوية لنعرف كيف ألقت بظلالها على مناهج المستشرقين؛ تركز البنيوية على أن كل شيء موجود وبارز على السطح محكوم ببنى وأنساق خفية تتحكم فيه، وتعطيه شكله بغض النظر عن الأجزاء التي يتكون منها، وبهذا تركز البنيوية على الكل بدل الجزء، وهذا يتفق مع قول ماركس: "الفرد هو جملة علاقاته الاجتماعية". ويعد ماركس أول من طبق المنهج البنيوي في تحليله للرأسمالية[٣]، وكذلك فرويد عندما أزاح الوعي عن مركزيته وجعل أفكار الإنسان محكومة باللاوعي[٤].

إذاً ما الجديد الذي أتت به البنيوية؟ الجديد أنها جعلت كل الإشكالات الفلسفية تناقش من خلال إشكالية لغوية هي إشكالية الدال والمدلول، والدال هو الاسم، وهو الجانب المحسوس من الكلمة (مكتوباً أو صوتياً)، والمدلول هو المسمى، أي الصورة الذهنية للكلمة، وقد رأى البنيويون أن العلاقة بينهما ليست ضرورية ولا منطقية ولا ثابتة، وهي علاقة اعتباطية، واللغة هي هذا النظام من العلاقات ليس لأجزائها هوية أو حتى وجود خارجها، وعندما يتعلم الإنسان اللغة فهو يتعلم هذا الاقتران

---

(١) بياجيه، جان، **البنيوية**، ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، ص٦٣.

(٢) البوطي، محمد سعيد، **نقض أوهام المادية الجدلية(الدياليكتيكية)**، ص١٦٢.

(٣) غارودي، روجيه، **البنيوية وفلسفة موت الإنسان**، ترجمة جورج طرابيشي، ينظر ص١٣ وما بعدها.

(٤) غارودي، المصدرنفسه، ينظر ص١٧ وما بعدها.

الاعتباطي، وبما أن هذا الاقتران اعتباطي، فلا يوجد ما يمسك به ويمكن أن يتغير[1]، وليست علاقة الدال بالمدلول هي وحدها الاعتباطية، وإنما الدوال ببعضها، والمدلولات ببعضها؛ إذ لا يمكن تمييز الدال إلا باختلافه عن غيره من الدوال، وكذا المدلول. لهذا لا يوجد معنى دون اختلاف، كما أنه لا توجد لغة بكلمة واحدة[2].

جعلت البنيوية أهمية للدال على المدلول لأنه الجزء المادي ويمكن الوثوق به، ورفعت من شأن الكلام على الكتابة لأن لحظة الكلام يكون فيها الشكل والمعنى حاضرين في نفس الوقت[3]. جردت البنيوية الإنسان من إنسانيته، فهو شكل بلا جوهر، تتضح ملامحه عن طريق شبكة علاقاته مع الآخرين، وهو عبد يتحرك في هذه العلاقات محكوماً ببنى وأنساق خفية ساهمت في تشكيله[4]، ولهذا سميت فلسفة موت الإنسان[5].

ساهمت البنيوية في جعل الخطاب الأدبي نظاماً فلسفياً مغلقاً[6]، وكانت هذه طريقتها لوصل النص بالفلسفة ووصل النص باللاهوت[7] ، وبالرغم من أن

---

(١) ستروك، جون، **البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا**، ترجمة محمد عصفور، ينظر ص ١٤ وما بعدها.

(٢) ستروك، المصدرالسابق، ص١٩.

(٣) ستروك، المصدر السابق، ص٢٢٣، ٢٢٤.

(٤) لهذا اعتبرت البنيوية أنها تحمل التضمين الأيديولوجي وأنها فلسفة للأحزاب الشيوعية.

(٥) غارودي، **البنيوية وفلسفة موت الإنسان**، ص١٣.

(٦) إذ ترى البنيوية أن النص يغلق على نفسه بعيداً عن كاتبه ومتلقيه ويكتفي بنفسه وتصبح كل التأويلات والتفسيرات منبعها النص الذي يكون له مركز ثابت، والقارئ ما عليه إلا تفكيك النص والبحث في هذا النظام والنسق الذي يضبط النص. ومتى استطاع القارئ إيجاد هذه الشيفرة أدرك أبعاد النص. وبهذا استبعدت البنيوية أية ملابسات أو أيدلوجيات خارج النص وهذا ما سمته البنيوية القراءة الكامنة. أما القراءة المتعالية هي التي تعتمد على معلومات خارج النص مثل (السيرة الذاتية لكاتب أو النظام الفكري كالماركسية)، وهذا ما رفضته البنيوية. ينظر كتاب (ستروك) ص٢١.

(٧) سعد الله، محمد سالم، **أنسنة النص**، ص٤٥.

الفلسفة البنيوية عمقت الفكر الماركسي[1] إلا أنها افترقت عنه بإقصائها للتاريخ، والماركسية مذهب موغل في التاريخية[2]. والسؤال هنا: لماذا استجلب الغرب اللغة وجعلها مركزاً لفلسفته الظلامية بعد أن نحى إلهه وإنسانه عن هذا المركز؟ وكيف أصبحت قضايا مصيرية كالرؤية للوجود والعالم تبحث من خلال قضية لغوية (الدال والمدلول)؟

الحق أن الإنسانية تستند إلى التواصل اللغوي أي اتصال الدال بالمدلول، والذي يعني الإنسانية المشتركة، وأي هجوم على اللغة هو هجوم على المشروع الإنساني بكامله وعلى مقدرة الإنسان على مراكمة المعرفة، والتعامل مع الآخرين من خلال معارف وأخلاق مشتركة، واللغة هي صلة الوصل بين العقل والمادة، وبين الطبيعة والإنسان، وبين الخالق والمخلوق. ولأن همّ الفكر المادي القضاء على أي ظلال لإله في الأرض، فينبغي القضاء على اللغة، ولا يتأتى هذا إلا بجعلها جزءاً من الفلسفة الحداثية، وبقطع النظر عما يستبطنه أصحاب الفلسفة البنيوية، فهي تعد إرهاصاً لفصل الدال عن المدلول، وهذا الانفصال، وإن أبقى على ثبات البنية والنسق ومركزيته، فإنه يَعِدُ بكارثة إنسانية ستظهر عندما يدخل المشروع الفكري الغربي مرحلة ما بعد الحداثة مستعيناً بالبنيوية[3].

وتعد دراسة المستشرق أ.ت.ويلش (A.T.WELSH) عن القرآن في دائرة المعارف البريطانية مثالاً على انكباب المستشرقين على النص القرآني، في محاولة لا كتشاف النسق الخفي داخل النص القرآني، فعلى سبيل المثال حاول ويلش التعرف على الأصل الاشتقاقي لكلمة(القرآن)، وانطلق من فرضية أن أصل المصطلح مأخوذ من

---

(١) غارودي، البنيوية وفلسفة موت الإنسان، ص١٣ وما بعدها.

(٢) ستروك، البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ص١٨.

(٣) المسيري، الحداثة وما بعد الحداثة، ينظر ص٣٠ وما بعدها.

الكلمة السريانية Keryana، ولم يستبعد ويلش الفرضية العربية التي تقول إن مصطلح (قرآن)مشتق من (قرأ) أو (قرن)، ويدعي ويلش أن هناك شواهد قرآنية تدعم الفرضيتين الغربية والعربية، ولم يطلعنا على هذه الشواهد، ثم يقوم بالترجيح للفرضية الغربية دون مرجح، وهي أن أصل اشتقاق كلمة(قرآن) هي السريانية، ثم تتبع ويلش لفظ (قرأ) ولفظ(تلا) فوجد أن (تلا) استخدمت في كتاب الله أكثر من (قرأ) مما يعزز الأصل السرياني لكلمة(قرآن)، ونلحظ على دراسة ويلش أموراً عدة منها:

-أنها توهم بدراسة بنية النص القرآني وهي ليست كذلك، فهو لم يلتزم بنتائج دراسة النص ورجح دون مرجح.

-الأمر الثاني أنه قفز من قاعدة بيانات صحيحة[1] إلى نتائج فاسدة لا تربطها بالبيانات أي صلة منطقية، فما علاقة عدد مرات ورود كلمة (تلا) وكلمة(قرأ) في القرآن بالأصل السرياني لكلمة(القرآن)؟.

-بالرغم من تظاهر ويلش بالاهتمام بالكشف عن النسق الخفي في النص القرآني عن طريق دراسة أجزائه الظاهرة، إلا أنه لم يكن وفياً إلا لإسقاطاته وفرضياته المسبقة.

وهنا تبقى نزاهة هذا المستشرق ووفاؤه لمنهجه العلمي موضع تساؤل، لاسيما أن النسق الذي يبحث عنه والذي يحكم الأجزاء الظاهرة من القرآن كان قد أضمره مسبقاً، وهذا واضح في دراساته مما جعل نتائجه إسقاطات لا قيمة لها.

وفي دعوى انتحال الرسول عليه الصلاة والسلام للقرآن من اليهود والنصارى قام ويلش بدراسة آيات قرآنية لإثبات مزاعمه واستدل بآية سورة الفرقان وبآية النحل

---

(١) وهي أن كلمة(تلا) استخدمت في القرآن أكثر من كلمة(قرأ).

بأن النبي أخذ من أهل الكتاب ودليله أن القرآن لم ينف هذا. يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفرقان: ٤ – ٥).

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (النحل: ١٠٣)

ومرة أخرى لا نجد أي ترابط بين أدلة ويلش ومقدماته ونتائجه، وقد حاول ويلش أن يوهم القارئ بأن كل النتائج التي وصل إليها؛ أو بعبارة أخرى المطاعن التي وصل إليها هي نتيجة نظر دقيق في النص القرآني والتحليل للروابط التي فيه، وتتبع لمصطلحاته وهذا ليس صحيحاً، وقد فند الدكتور أبو ليلة مزاعمه وردها، وبيّن عوار منهجه في تتبع اللفظ القرآني والموضوع القرآني في كتابه(القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي)[1].

وعود على بدء نجد أنه بالسرعة نفسها التي استولت فيها البنيوية على الفكر الغربي، تهاوت وتركت مكانها لفلسفة أكثر سوداوية وأكثر وحشية في افتراس اللغة، وهي الفلسفة التفكيكية[*]أو ما بعد البنيوية، التي تعد الأساس النظري لفلسفة ما بعد الحداثة[2]، ويُعرّفها أركون بأنها استحالة تأصيل أي معرفة دينية أو علمية[1].

---

(١) أبو ليلة،محمد، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ينظر ص٢٥ وما بعدها، و ص١٠٣وما بعدها.

(*) التفكيكية (Deconstruction): هي فلسفة ما بعد حداثية تقوم على استحالة الوصول لفهم متكامل ومتماسك للنص، فعملية القراءة والتفسير هي عملية اصطناعية محضة يقوم بها القارئ، وبالتالي لا وجود لنص واحد متماسك، ولايوجد حقيقة، فكل الحقائق نسبية وهذه الفلسفة تؤدي إلى تقويض الظاهرة الإنسانية وقد استخدم رائد التفكيكية دريدا في أولى دراساته مصطلح التقويض، ثم عدل عنه إلى مصطلح التفكيك، ينظر:

-حسيبة،مصطفى،المعجم الفلسفي، ص١٤٤ .

(٢) بروكر، الحداثة وما بعد الحداثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، ينظر ص٣٩ وما بعدها.

ومن الصعب تحديد تاريخ معين لظهور فلسفة ما بعد الحداثة، إلا أنها تدين بالفضل لفلاسفة الحداثة؛ فهم من قاموا بتفكيك المسيحية(٢)، وتفكيك وعي الذات(٣). إلا أن التفكيكية بمعناها الحالي بدأت إرهاصاتها في ١٩٦٠ م في أوروبا(٤) ، وانتقلت إلى أمريكا عام ١٩٦٦م عندما ألقى رائد التفكيكية (دريدا)(٥)، بحثاً له في نقد البنيوية(٦)، ثم سقطت الفلسفة البنيوية رسمياً بعد الاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي عمت الغرب في ١٩٦٨م، وهذه الاضطرابات بدأت في أوساط الطلبة في فرنسا تحديداً ثم امتدت لتشمل العالم الغربي، وانضم إليها العمال والنساء والمدرسون والحرفيون وكل المهمشين في المجتمع، وأدت إلى أعمال عنف، وفي فرنسا وحدها حركت هذه القلاقل عشرة ملايين نسمة، وبدا أن النظام الديجولي سينهار، إلا أنه عاد إلى السلطة بتمكن أكبر.

---

(١) أركون، محمد، **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل**، ترجمة هاشم الصالح، ص٩.

(٢) مثل لوثر وهيدجر الذي عد كل لحظة هدم لحظة من لحظات تأسيس جديد. ينظر كتاب :

-دريدا، جاك، **انفعالات**، ط١، دار الحوار، سوريا، اللاذقية، ٢٠٠٥م، ينظر ص١٥٧ وما بعدها.

(٣) مثل ماركس وفرويد ونيتشة الذين يعدهم الفكر الغربي من عظماء الهدم. ينظر:

- ريكور، بول، **صراع التأويلات**، ترجمة منذر عياش، ص١٩١.

(٤) كرنان، ألفين، **موت الأدب**، ص١٨٣.

(٥) جاك دريدا (Jacques Derrida) فيلسوف يهودي فرنسي من مواليد الجزائر، صاحب نظرية التفكيك. ولد جاك دريدا في ١٥ تموز ١٩٣٠ في حي البيار بمدينة الجزائر، وتوفّي في باريس عام ٢٠٠٤. كان دريدا من أُسرة يهودية، ولذلك طُرِد من المدرسة في أثناء الحرب العالمية الثانية حين كان طفلاً لتطبيق حكومة فيشي القوانين العنصرية في فرنسا ومستعمراتها عام ١٩٤٠م، ولمّا انتقل مع من طرد من الطلاب والأساتذة اليهود إلى مدرسة يهودية خالصة، شعر بالاختناق وعدم الاندماج. لقد ترك حادث الطرد هذا، ثمّ عدم اندماجه في جماعة يهودية مُنغلقة أثراً لن يُمحى من حياة دريدا، سيتجلّى في أُسلوبه التفكيكي للذات والهوية، واعتماده التعريف بالسلب، مثلما يُعرِّف نفسه غالباً أنه ليس باليهودي ولا بالفرنسي ولا بالجزائري. يعد دريدا أحد آخر أكبر الفلاسفة الفرنسيين بعد رحيل ميشيل فوكو.

(٦) بروكر، الحداثة وما بعد الحداثة، ص٤٣.

كان الهدف الرئيسي لاضرابات الطلبة فحص النظام التعليمي والجهاز التعليمي والمحتوى التعليمي، التي أضحت جميعها جهازاً أيديولوجياً للدولة، ووقف الطلبة موقفاً معارضاً من العلوم الإنسانية وطالبوا بالحرية عموماً وحرية الاختلاف خصوصاً، وربطت الحركات الطلابية والاجتماعية بين الحرية والانعتاق الجنسي، وبهذا التقت أحلام الثوريين مع أحلام سادة قطاع اللذة، وكان الهجوم على البنيوية باعتبارها الغطاء النظري للحزب الشيوعي، لذلك قامت الدعوات منادية بسقوطها.

هذه الأحداث التي طرحت تساؤلات عن علاقة الخطاب المعرفي بالسلطة. كانت أكبر إضراب عرفه التاريخ، وقد أثبت هذا الإضراب عجز الفلسفات عن تفسير الواقع الاجتماعي وصهره في بوتقة واحدة؛ فهناك دائماً قصص صغيرة وليس واقعاً واحداً أو قصة كبيرة، وهذا جوهر التفكيكية[١].

وأدت هذه الاضطرابات إلى دخول الغرب إلى متاهة ما بعد الحداثة[٢].

أرست التفكيكية مناهج النقد الثقافي، وأصبحت أمريكا مركز الثقل في العالم، وتكريس فوقية أمريكا لا يمكن أن يتم بالبناء على الإرث الاستشراقي الذي خلفته أوروبا، ولا يمكن لأمريكا أن تستغني عن هذا الإرث فما الحل لهذه الإشكالية؟ الحل تغييب الاستشراق كمصطلح وإنشاء مصطلح جديد يكون أول ظهوره في أمريكا مثل مصطلح(دراسات الشرق الأوسط)أو (الدراسات الإقليمية)، ففي أمريكا صدر مرسوم حكومي عام ١٩٥٢م لتخصيص مبالغ مالية كبيرة تنفق على أكثر من عشرين جامعة أمريكية لدعم مراكز هذه الدراسات[٣]، ويعد هذا إرهاصاً لنقل الثقل

---

(١) مكدونيل، ديان، **مقدمة في نظريات الخطاب**، ينظر ص٧٩ وما بعدها.

(٢) للمزيد عن المشروع الفكري الغربي ينظر:

-قنبر، سهاد(٢٠١١م)، **قضايا قرآنية عند النساء الحداثيات**، رسالة ما جستير، الجامعة الأردنية، قسم التفسير وعلومه.

(٣)مطبقاني، مازن، **الاستشراق المعاصر من منظور الإسلام**، ص٢٤.

الاستشراقي مع الثقل اليهودي المهيمن على الفكر الأوروبي إلى أمريكا؛ وعليه تم الإعلان عن إنهاء الاستشراق الكلاسيكي المعروف في أوروبا بمؤتمر عالمي في باريس عام ١٩٧٣م، وكتب برنارد لويس[1] مقالة طويلة بعنوان(مسألة الاستشراق) ذكر فيها ما توصل إليه المستشرقون في مؤتمرهم العالمي في باريس وكان مما قاله:"لقد أصبحت كلمة مستشرق منذ الآن فصاعداً ملوثة هي الأخرى أيضاً، وليس هناك أمل في الخلاص، ولكن الضرر هنا أقل لأن الكلمة كانت قد فقدت قيمتها، وحتى أولئك الذين تدل عليهم تخلوا عنها....وكانت مناسبة جيدة لإعادة النظر في طبيعة المؤتمر ووظائفه، ثم سرعان ما تبين لهم أنهم متفقون جميعاً على ضرورة التخلي عن هذه التسمية(تسمية الاستشراق)[2]".

والمؤسسة الاستشراقية جزء من مؤسسات الغرب الفكرية المحكومة كلياً من اليهود، وقد قرر هؤلاء نقل مركزية نشاطهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية واستعانت الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية بمستشرقين كبار من أمثال هاملتون جب، وبرنارد لويس، وجوستاف جرونبناوم[3]، وانطلقت المراكز الأمريكية في دراساتها الاستشراقية من جهود جولدتسيهر[4]، وشاخت[5] وبيكر

---

(١) برنارد لويس: أستاذ فخري بريطاني أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون. وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب، وأشهر أعماله حول تاريخ الامبراطورية العثمانية. يعد لويس أحد أهم علماء الشرق الأوسط الغربيين الذي طالما سعت إليه السياسة.

(٢) مطبقاني، مرجع سابق، ص١٤.

(٣) غوستاف جرونبوم(Gustave E. von Grunebaum)(١٣٢٧-١٣٩٢هـ/ ١٩٠٩-١٩٧٢م): مستشرق نمساوي. من أهم كتبه كتاب «إسلام العصور الوسطى» صدر في عام ١٩٤٦ م.

(٤) جولدتسيهر: إجناتس جولدتسيهر(١٨٥٠م- ١٩٢١م): مستشرق يهودي مجري، وهو أول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي، ويعده المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوي.

(٥)شاخت: جوزيف شاخت (١٩٠٢م- ١٩٦٩م): باحث ألماني في الدراسات العربية والإسلامية، له مؤلفات عدة أبرزها "أصول الفقه المحمدي" الذي يتناول فيه نشوء الحديث والسنة. أثار شاخت حفيظة العلماء المسلمين لأنه يشكك في صحة الأحاديث النبوية ويرى أنها وضعت أو "لفقت" خلال الفترة الممتدة بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري.

ونولدكه[1]، وتوماس آرنولد[2] وغيرهم، ولم يعد يخفى على أحد أن المؤسسة الاستشراقية أصبحت أداة طيعة في يد الإمبريالية، ولا أدل على هذا من تقديم اليهودي برنارد لويس خبراته بصورة مفضوحة للمخابرات الأمريكية[3].

وبدأت روافد جديدة تمد الاستشراق مثل الأنثروبولوجيا[4] والنقد الثقافي وغيرها.

بقيت قضية أخيرة قبل أن نغادر قراءتنا للاستشراق، وهي أن نقل مركزية الاسستشراق إلى أمريكا لا يعني بحال توقفه في أوروبا، فقد تابعت أوروبا نشاطها الاستشراقي ومؤتمراتها على غرار الصورة الجديدة للاستشراق، وهي مراكز الدراسات الشرق أوسطية أو مراكز الدراسات الإسلامية، أوالآسيوية.

-إشكالية المنهج في الاستشراق:

إن القراءة السابقة للاستشراق تعاني من التبسيط المفرط، وتعطي صورة عامة عن الفكر الغربي، ويغيب فيها تداخل وتعقيد المناهج الغربية والفلسفات التي أنتجتها، والأمكنة التي ولدت فيها.

---

(١) ثيودور نولدكه (١٨٣٦م- ١٩٣٠م) يعد شيخ المستشرقين الألمان. ولد في هامبورغ، أتقن العربية، والعبرية، والسريانية. درس في غوتنغن وفيينا وبرلين وليدن. حصل على الدكتوراه عام ١٨٥٦م وهو في سن العشرين عن كتابه(تاريخ القرآن). عين مدرساً للتاريخ الإسلامي في جامعة جوتنجن عام ١٨٦١م. وأستاذ التوراة واللغات السامية في كييل عام ١٨٦٤م.

(٢) توماس آرنولد: توماس وولكر آرنولد (Thomas Walker Arnold) (١٨٦٤م-١٩٣٠م) مستشرق بريطاني شهير، بدأ حياته العلمية في جامعة كمبردج، حيث أظهر حبه للغات فتعلم العربية وانتقل للعمل باحثاً في جامعة عليكرا في الهند حيث أمضى هناك عشر سنوات ألف خلالها كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام)، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لاهور.

(٣) مطبقاني، مرجع سابق، ص١٣، ص٢٣، ص٢٩.

(٤) الأنثروبولوجيا: علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً.

هذا التعقيد انعكس على مدارس الاستشراق ورجالاته؛ إذ بالرغم من وجود رباط ناظم، وصورة عامة تجمع المدارس الاستشراقية، إلا أن هناك فروقاً بينها؛ فالمدرسة الاستشراقية الروسية تفترق عن الفرنسية وعن البريطانية وعن الأمريكية وعن الألمانية، إلا أنه ليس من مقاصدنا هذه التفصيلات، وما يعنينا هو إعطاء صورة عامة عن الفكر الغربي والبحث في الإشكالات العامة لمنهج الدراسات الاستشراقية ومن أهم هذه الإشكالات:

١- مقاربة المستشرقين النص القرآني الإلهي بمناهج مادية مستندة إلى رؤية إلحادية، و قناعتهم بشمولية هذه المناهج وكفايتها مما أدى إلى إقصاء غيرها، وهذا يشبه بوجه ما فعلته الكنيسة في عصور الظلام، فقد قامت المؤسسة الدينية الغربية بتفسير كل الظواهر الطبيعية تفسيراً غيبياً لاهوتياً وأقصت التفسير العلمي.

والحق أن التقابل بين التفسير المادي والتفسير الغيبي للظواهر هو نتاج غربي محض، والتضاد بين هذه الثنائية المفتعلة غير صحيح، فقد جمع القرآن بينهما بطريقة منضبطة ودقة منقطعة النظير، فالقرآن لا ينسب الأحداث الجزئية ليد غيبية، ولكن يربطها بسنن تاريخية وكونية مضطردة، ثم يربط السنن العامة بالقدرة الإلهية، ولا أدل على هذا من دعوة القرآن للنظر والتدبر والاستقراء، ولا يمكن أن يحث القرآن على النظر والتدبر وتبني المنهج الاستقرائي العلمي ما لم يكن هناك سنن وقوانين يرام كشفها تماماً، كما هو شأن البحث العلمي في العلوم الطبيعية.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (غافر: ٨٢).

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴾ (محمد: ١٠).

٢-انطلاق دراسات المستشرقين من قاعدة: (الدين نتاج بشري)، و إنكارهم المصدر الإلهي للقرآن، وهذا سببه إلحاد الغرب وتأليهه للمادة، وتعامل المستشرقون مع هذه الفرضية وكأنها مسلمة من المسلمات، ولم يكلفوا أنفسهم عناء إثباتها والتدليل عليها، ووظفوا المناهج والإمكانات العلمية الحديثة لدراسة الظاهرة القرآنية التي هي بزعمهم إنسانية.

ولنا أن نتساءل عن كفاءة المنهج، وإلى أي حد وفّت (الأنثروبولوجيا واللغة والتاريخ والنقد) بدراسة القرآن المعجز؟ وإذا قطعنا نظرنا عن نظرية المؤامرة والنية المبيتة عند المستشرقين للطعن في كتاب الله، فإن من البداهة أن تؤدي المقدمات الخاطئة إلى نتائج خاطئة، فمقدمة بشرية القرآن أدت إلى تعليلات مغلوطة مثل تعليلهم للأحرف السبعة؛ فقد عدها المستشرقون دليلاً على اضطراب النص القرآني وعدم ثباته بزعمهم، ويرجع جولدتسيهر هذه الظاهرة لخصوصية الخط العربي، الذي يقدم في رسمه مقادير صوتية مختلفة تبعاً للنقط والشكل واختلاف مواقع الإعراب، ثم يعود جولد تسيهر ويعزو الظاهرة إلى الحرية الفردية وجواز قراءة القرآن بالمعنى عند المسلمين، ثم عاد وناقض نفسه في مواطن أخرى.

وخلط المستشرقون بين القراءات والأحرف وادعوا عدم سلامة النص لروايته بالمعنى، وكأن القرآن الذي بين أيدينا ليس النص الأصلي الذي أنتج في زمن الرسول ﷺ بل هو معناه الذي روي عبر السنين [1].

واستبعاد البعد الإلهي لكتاب الله يجعل مطاعن المستشرقين منطقية ومحتملة؛ فالقضية على حد زعمهم نص بشري فيه بعض الاختلافات، فماذا يمكن أن يكون السبب سوى خطأ في التدوين أو الجمع أو خصوصية الخط العربي، أو الرواية بالمعنى؟ وهذه كلها نتائج منطقية لمقدمة بشرية القرآن، وهذا يعضد ما قلناه آنفاً إن

(١) الحاج، سامي سالم، **الظاهرة الاستشراقية**، ج١، ينظر ص٣٨٩ وما بعدها.

المقدمات الخاطئة لا يمكن أن تؤدي إلى نتائج صحيحة، وعليه فإن أول رد على مزاعم المستشرقين لا ينبغي أن ينطلق من النتائج بل من المقدمات، وذلك بمطالبتهم بالدليل على بشرية القرآن ولن يستطيعوا ذلك، فتبطل دعواهم بدليل المنع. فإن استدلوا بعدم استيعاب العقل للأمور الغيبية تكون الإجابة عليهم بأن العقل وإن كان لا يدرك الغيبيات إلا أنه لا يوجد عقلاً ما يمنع وجودها وبهذا تبطل مقدمتهم ببشرية القرآن بدليل المعارضة؛ فما طرأ عليه الاحتمال بطل به الاستدلال، وهذا يفسد كل النتائج البحثية للمستشرقين.

وخلاصة القول: إن عدم ملاءمة المناهج المادية التي اعتمدها المستشرقون لكتاب الله المعجز دفع بهم إلى تناقضات عدة وأوقعهم في الإلغاء والإقصاء، مما جعل دراساتهم أيديولوجية، ونتائجهم خاطئة؛ فالمقدمات الفاسدة تؤدي إلى نتائج فاسدة.

٣-اعتماد المستشرقين في مقاربتهم لكتاب الله منهجاً إسقاطياً؛ "والإسقاط (Projection) حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه، ورغباته المستكرهة، ومخاوفه المكبوتة التي لا يعترف بها، إلى غيره من الناس....وذلك تنزيهاً لنفسه، وتخففاً مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أوالذنب .

فالإسقاط هو العملية النفسية التي نخلع بها تصوراتنا ورغائبنا وعواطفنا على الآخرين، أو على موضوع من الموضوعات، وهذا ما ينطبق تماماً على الكنيسة والاستشراق والتبشير"[1]، وبدراستنا للتاريخ الغربي، وللكتب المقدسة عند الغربيين نستطيع أن نجزم بهذا الإسقاط، ويحملنا التنظيم والمؤسسية التي تميز بها الاستشراق أن نقول إن الإسقاط الذي مارسه المستشرقون على كتاب الله هو من قبيل الإسقاط الواعي المدروس.

---

(١) أبو خليل، شوقي، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، ص١٠، ١١، وقد ذكر الكاتب في كتابه عشرين إسقاطاً.

ومن المنهج الإسقاطي قولهم بتناقض القرآن وبأنه"من العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقدياً موحداً متجانساً وخالياً من المتناقضات، ولم يصل إلينا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطراً إلا آثار عامة نجد فيها إذا بحثناها في تفاصيلها أحيانا تعاليم متناقضة"[١]، وهذا الإسقاط سببه التناقضات المريعة التي في الأناجيل بشهادة أتباعه أنفسهم، وبشهادات من أسلموا من رجال الدين المسيحيين، وقد بين الشيخ رحمت الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) هذه التناقضات.

ويعبر موريس بوكاي[٢] عن هذا التناقض في الأناجيل الذي أدى بالمستشرقين إلى الإسقاط بقوله نقلاً عن الأب روجي: "كثيرون من قراء الأناجيل يشعرون بالحرج، بل بالحيرة عندما يتأملون في معنى بعض الروايات، أو عندما يقارنون روايات مختلفة لحدث واحد مروي في كثير من الأناجيل؛ والأب روجي كان لسنوات طويلة مكلفاً بالرد في جريدة أسبوعية كاثوليكية على قراء الأناجيل الذين تحيرهم النصوص، وما من شك أن قراءة النصوص الكاملة للأناجيل تثير اضطراباً عميقاً لدى المسيحيين، واستدل بوكاي على تناقض الأناجيل بحادثة صعود المسيح التي لم يذكرها متى ولا يوحنا، أما لوقا فيحدده بيوم القيامة، ومرقس يشير له دون تحديد تاريخه، وعلى هذا فليس للصعود أية قاعدة كتابة متينة[٣]، وهذا غيض من فيض عن التناقضات التي حفل بها كتاب المستشرقين المقدس باعترافهم، فقاموا بإسقاطها على كتاب الله، فكل

---

(١) مرجع سابق، ص٧١، نقلاً عن المستشرق جولدزيهر.

(٢) موريس بوكاي: طبيب فرنسي نشأ مسيحيا كاثوليكيا، وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل آل سعود ومع عمله في المملكة العربية السعودية وبعد دراسة للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، أسلم وألف كتاب (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم)، وترجم كتابه لسبع عشرة لغة تقريباً منها العربية. ولد موريس بوكاي في مدينة بون ليفيك الواقعة في قلب ما يعرف ببلاد الأوج بإقليم نورماندي الأدنى في شمال غرب فرنسا في التاسع عشر من يوليه عام ١٩٢٠. وتلقى موريس تعليمه حتى المستوى الثانويّ في مدرسة كاثوليكية في مدينته الصغيرة.

(٣) بوكاي، موريس، **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**، ينظرص٦٧ وما بعدها.

إنسان يرى الناس بعين طبعه، وصدق المثل القائل:(رمتني بدائها وانسلت).

٤ - تغريب المستشرقين للمصطلح القرآني:

من المعلوم أن لكل مصطلح حمولة معرفية تحيل إلى مفهوم نشأ في بيئة وثقافة معينة، وتكمن أهمية المصطلح في كونه أداة لضبط المعرفة، ولا يستخدم المصطلح للوصف وإنما هو رمز لاستحضار المفهوم القابع وراءه فكرياً، ومن هنا تكمن خطورة نقل المصطلح من لغة إلى أخرى دون الاهتمام بالخريطة الإدراكية التي وراءه، وهذه الإشكالية المنهجية التي وقع فيها المستشرقون ليست فقط في ترجماتهم للقرآن فقط، ولكن في دراستهم للتراث الإسلامي عموماً؛ وهذا أودى بهم إلى نتائج خاطئة .

وبالرغم من أن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين، إلا أن هناك ألفاظاً في القرآن انطلقت من أصل دلالتها في اللغة العربية، وأضيفت إليها أمور، واشتبكت بها علائق، وارتبطت بها سياقات؛ فصار لها مفهوم غير الذي كان لها سابقاً، وأصبح القرآن المنطلق والمآل والمصير لعلوم المسلمين، وأصبح للمصطلح القرآني خصوصية في الدلالة على المفهوم والمقصد الرباني، وعليه فإن كل نقل للمصطلح إلى لغة أخرى لا يمكن أن يتم إلا بنقل المفهوم معه، وقد احتلت الدراسات النقدية لترجمات المستشرقين للقرآن حيزاً كبيراً في نتاج المسلمين وأدبياتهم عن الاستشراق، ولعل أبسط مثال يمكن عرضه في هذا المقام مفهوم مهر المرأة في القرآن يقول تعالى:﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ ﴾ (النساء: ٤).

يحمل المهر في الإسلام اعترافاً ضمنياً من الرجل باستقلال المرأة المسلمة مالياً، والآية تؤكد هذه القضية بقوله تعالى:(فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا) فكلمة (طبن) تحمل في طياتها معنى عدم السماح للرجل بالتعدي على الحقوق المالية للزوجة، أو أخذ شيء من مالها دون رضاها الظاهري والباطني.

ترجمت كلمة (صدقاتهن)إلى اللغة الإنجليزية بكلمة(dowries) [1]وهذا تحديداً ما قصدنا بتغريب المصطلح فكلمة (dowries) تحيل إلى المفهوم القابع وراءها، وهو المال الذي يدفعه الأب الغربي للرجل ليغريه بالزواج من ابنته، ونعني بالزواج في المفهوم الغربي القديم نقل ملكية المرأة من الأب إلى الزوج، يعني ببساطة كلمة (Dowry) هي رسوم نقل ملكية، سواء دفعها الأب للزوج أم الزوج للمرأة أو أبيها.

وفراراً من هذا التغريب للمصطلح قامت الترجمات المُنصِفة بترجمة (صدقاتهن) بكلمة (المهر) مكتوبة بالإنجليزية (Mahr) وكتب معناها بين قوسين في الترجمة-(obligatory bridal-mony given by the husband to his wife at the time of marriage)[2].

وينسحب هذا على مصطلحات عدة في كتاب الله، فمفهوم ملك اليمين لا يمكن بحال أن ينسجم مع المفهوم الذي تحيلنا عليه كلمة (slavery) القابع في أذهان الغربيين، والحق أن هذه ليست مشاكل خاصة بأزمة المصطلحات القرآنية والمستشرقين، بل هي أزمة الترجمة عموماً ونقل المصطلحات من لغة إلى أخرى، ومن حقل معرفي إلى آخر؛ إلا أن الأمر يكون أخطر عندما يتعلق بكتاب الله، وهذه المشكلة وإن كانت موجودة في الاستشراق القديم إلا أنها ازدادت خطورة في الاستشراق الحديث؛ لقلة اعتماده على مصادر التراث العربي، وقلة رحلات المستشرقين إلى الشرق والاحتكاك بالبيئة والثقافة الشرقية[3].

---

(١) ينظر ترجمة:

-كساب، رشيد سعيد، ترجمة معاني القرآن ، ١٩٩٤م، ص١٢٦.

-علي، عبد الله يوسف، **The Holy Quran**، Islamic Foundation، United Kingdom، 2003م، ص٨٦. كلتا الترجمتين نقلت مصطلح المهر إلى الإنجليزية على أنه (dowries).

(٢) **تفسير معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية**، ترجمة محمد تقي الدين الهلالي ومحمد محسن خان، ص١١٨.

(٣) للمزيد عن تغريب المصطلحات ينظر كتاب:

سخنيني، عصام، **المستشرقون ومصطلحات التاريخ الإسلامي**، ذكر الكاتب في الفصل الثالث والرابع تحت عنواني: (مصادرة المصطلح القرآني خداع اللغة ومزاعم التبعية) و(تمثيل المصطلح القرآني: اللغة الدينية وإرث العصور الوسطى) كيف تم تغريب مصطلحات مثل القرآن والصلاة والزكاة والصوم والحج والنبي والمسجد والجهاد وخاتم النبيين، وكيف أصبحت هذه المصطلحات=

ثانياً:المستغربون:

والمستغربون هم الجهة الثانية من جهات الطعن، ونقصد بهم من تأثروا بالفكر الغربي الوافد واحتفوا به.

-قراءة في الفكر الوافد:

إن الحديث عن الفكر الوافد طويل بطول ليل الأمة الذي يأبى أن ينقشع، وإذا كان المشروع الفكري الغربي استغرق قروناً ومر بمخاض عسير بين الماضي والحاضر، فإن الفكر الوافد وصل إلى عالمنا الإسلامي عبر قنطرة أسهم في بنائها ووضع أسسها عوامل كثيرة متشابكة ومتداخلة نجملها في: خلافة متهالكة مثل الخلافة العثمانية في أواخر وجودها، و حكم توسعي دموي تغريبي مثل حكم محمد علي في مصر، وخيانات داخلية، وتآمر أوروبي، وتدخل عسكري استعماري غربي، وواجهات دينية مثل الشيخ رفاعة الطهطاوي، ووأد فكر أصيل في مهده[1]، و تحطيم لهيبة الأزهر، واستيلاء المؤسسة الاستشراقية الفرنسية والبريطانية بالتتابع على النظام التعليمي، وقد حظيت هذه المؤسسة باستقلال ذاتي داخل جدران مدارسها، وكل ما يحدث فيها لا تشرف عليه الدولة ولا تتدخل فيه، وتسبب هذا في حصول شرخ في التعليم،

=بعد تغريبها تحيل إلى مفاهيم غير المفاهيم التي كانت تحيل إليها في بيئتها، ونحن في هذا المقام لا نحيد سوء القصد والنية عن المستشرقين لا سيما القدامى منهم، الذين عاشوا سنوات طويلة في بلاد الشرق ودرسوا لغته العربية حتى كادت أن تصبح مثل لغتهم الأم .

(١) كانت قد ظهرت بوادره على يد خمسة من علماء الأمة وهم البغدادي (١٦٢٠م-١٦٨٣م) والجبرتي الكبير (١٦٩٨م،١٧٧٤م) ومحمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣م-١٧٩٢م) والمرتضى_ الزبيدي (١٧٣٢م-١٧٩٠م) والشوكاني (١٧٦٠م-١٨٣٤م)، ينظر إسهاماتهم في الفكر الأصيل في كتاب:
- شاكر، مصدر سابق، ص٨١ وما بعدها.
وقد وصلت الحملة الفرنسية أرض مصر في الوقت الذي هددت فيه القوات السعودية البصرة وبغداد والحجاز وبلاد الشام. ينظر كتاب:
- غرايبة، عبد الكريم محمود، **تاريخ العرب الحديث**، ص٦٣.

وأصبح بناء تعليم قائم على تطوير التعليم الأزهري وتحديثه تدريجياً على نحو يحفظ أصالته ويجدد مساره أمراً مستحيلاً، أدت هذه العوامل مجتمعة إلى تدفق الفلسفات والمناهج الغربية إلى العالم العربي والإسلامي[1].

وتبلورت المذاهب الوافدة في ثلاثة تيارات رئيسة هي[2]:

١-التيار التوفيقي:

أو ما يطلق عليه تيار الإصلاح الديني متابعة للغرب في تسمية الحركة البروتستانتية حركة الإصلاح الديني، وقد أثار هذا التيار متمثلاً في رموزه (الأفغاني، ومحمد عبده) جدلاً واسعاً استمر لأكثر من قرن من الزمان، وتباينت الآراء حوله، وبعدت الشقة بينها؛ فمن اتهام لرجال التيار بالإلحاد والمروق من الإسلام، إلى رفع لهم ليكونوا أعلام التجديد في هذا العصر الذين جددوا للناس أمر دينهم، فعلى سبيل المثال، شمل الجدل حول الأفغاني كل شيء بدءاً بمسقط رأسه ومذهبه[3] مروراً بانتماءاته وولاءاته[4] وصولاً إلى أفكاره[5]. وقد تزامن هذا الجدل مع ظهور هذا التيار، ولم يكن متأخراً

---

(١) لمزيد من التفصيل عن الفكر الوافد وعوامل انتقاله إلى العالم الإسلامي ينظر:
قنبر، سهاد(٢٠١١م)، **قضايا قرآنية عند النساء الحداثيات**، من ص٣٧ إلى ص٤٣.

(٢) لا نهدف بهذا التقسيم إلى وضع حدود فاصلة تاريخية أو فكرية بين هذه التيارات، إنما نهدف إلى طريقة اجتهدنا فيها لتقديم المعلومة للقارئ لتساعده في تكوين نظرة شمولية عن أثر الفكر الغربي الوافد في العالم العربي.

(٣) ينظر كتاب ابن أخت جمال الدين الأفغاني الذي يثبت فيه إيرانيته وشيعيته:
- الأسد أبادي، ميرزا لطف الله خان، **حقيقة جمال الدين الأفغاني**، تعريب عبد النعيم حسين.
وينظر رد شيعيته وانتمائه للبابية في كتاب:
- عمارة، محمد، **جمال الدين الأفغاني المفترى عليه**، ص١٢٧ إلى ص١٦٠.

(٤) هل هو مقاوم للاستعمار أم عميل له، هل هو مع الخلافة أم يسعى لتقويضها.

(٥) هل هي إلحادية غربية أم إسلامية أصيلة. ينظر على سبيل المثال:
- **جمال الدين الأفغاني عطاؤه الفكري والمنهجي**، حلقة دراسية عقدت في عمان، الأردن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- الأشقر، فارس، (١٩٩٥م)، **فهم جمال الدين الأفغاني للدين ودلالته على مذهبه وجنسيته**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان.

عنه[1]، وبعيداً عن الملابسات التي تحيط بالسيرة الذاتية لأعلام هذا التيار، والتي تثبت بالوثائق ولاءهم للمستعمر الإنجليزي[2] وماسونيتهم[3] ومناداتهم بوحدة الأديان[4]، فإننا معنيون بتأثير الفكر الوافد[5]على هذا التيار، وأول أثر يمكن رصده هو أثر حركة

---

(١) ينظر كلام أبي الهدى الصيادي مستشار السلطان العثماني لمحمد رشيد رضا قبل خروجه إلى مصر- مشككاً في نسب الأفغاني وأصله: "إني أرى جريدتك طافحة بشقاشق المتأفغن جمال الدين الملفقة وقد تدرجت به إلى الحسينية التي كان يزعمها زوراً وبهتاناً".
وكان الإصرار من رشيد رضا على تبني أفكار الأفغاني سبباً في خروجه إلى مصر ينظر كتاب:
- الشوابكة، أحمد فهد بركات، **محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية**، ص٢٨.

(٢) بقطع النظر عن كون هذا الولاء عمالة أم استغلالاً من الغرب للصدمة الفكرية التي أحدثتها المذاهب الحداثية الأوروبية عند هؤلاء. والراجح عندي والله أعلم الثانية؛ فالواضح أنه قد تم استغلال الأفغاني كما استغلت اليهودية العالمية الميرزا البهائي وأقنعته أنه هو المنتظر الذي بشرت به التوراة، وتم استغلال محمد عبده ليكون مصدر المعلومات عن مصر للإنجليز المستعمرين لمصر آنذاك. ينظر كتاب:
- أبو علبة، عبد الرحيم فارس أحمد، **رموز الإصلاح الحديث مأساة الماضي ومشكلة الحاضر**، ينظر ص٤١ وما بعدها.
- شلش، علي، **سلسلة الأعمال المجهولة لمحمد عبده**، ينظر ص٩٠ وما بعدها يوميات "بلنت" الصديق الإنجليزي الحميم لمحمد عبده الذي انتهت مهمته في مصر بعد وفاة محمد عبده، هذه المهمة التي استمرت ٢٥ عاماً، والتي كانت تقويض الخلافة عن طريق إثارة العرب لإعلان الخلافة العربية.

(٣) ماسونية أعلام هذا التيار هي الشيء الوحيد المتفق عليه عند الدارسين لهذا التيار مع تسويغات عدة لهذا الانتماء.

(٤) أبو علبة، مصدر سابق، ينظر الوثائق التي أرفقها الكاتب في آخر الكتاب، ويثبت الكاتب عمالة هؤلاء للمستعمر البريطاني وصلتهم بالاستشراق والماسونية. ينظر أيضاً الدور الذي لعبه الأفغاني في مصر- وأدى إلى تنازل الخديوي إسماعيل عن الحكم في كتاب:
- الطناحي، **مذكرات الإمام محمد عبده**، ص٥٧، ص٦٤.

(٥) الفكر الوافد اصطلحنا عليه في هذا الكتاب بدل مصطلح سبقه في التداول وهو مصطلح (مدنية) و(تمدن)، وقد كتب فارس الشدياق (١٨٠٤-١٨٨٧) عن معنى هذه الكلمة: "ومع بلوغ هذه اللفظة عندهم إلى أقصى مدى الشهرة وجريها على الألسنة والأقلام، لم يزل عليها ظلام الالتباس والإبهام".
وألفت الكتب عن قضية الإسلام والمدنية وألفت الكتب في جدلية الإسلام والمدنية مثل كتاب الشيخ الغلاييني "الإسلام وروح المدنية"، وكتب محمد عبده "الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية"، وكتب الشدياق "مبدأ ارتباط التمدن الأوروبي بدين الإسلام". وفصل الطهطاوي بين التمدن المعنوي المعتمد على الدين والأخلاق و التمدن المادي المعتمد على الزراعة والصناعة والتجارة.

الإصلاح الديني الأوروبية، وقد صرح الأفغاني بأن العالم الإسلامي بحاجة إلى حركة دينية تشبه التي قام بها مارتن لوثر كينغ[1]، وعد أن هذه الحركة هي التي خلصت الأوروبيين من الغباوة والبلادة وحصلوا بسببها على العلم والمدنية[2]. وقد تعرف تيار الإصلاح الديني الإسلامي على الأفكار اللوثرية عن طريق الجدل الذي قادته الحركة البروتستانية العربية وسجالاتها مع الحركة الكاثوليكية في بيروت[3]، بالإضافة إلى الكتب التي تم تعريبها عن تاريخ أوروبا في هذه الفترة[4].

ظهر أثر الحركة اللوثرية على منهج المدرسة العقلية الحديثة[5]؛ التي عدت القرآن المصدر الأول للتشريع مما جعلها تقلل من أهمية التفسير بالسنة النبوية والتفسير بالمأثور متابعة لشعار الحركة اللوثرية (الكتاب وحده) ، ولم تكن الأفكار اللوثرية هي التي تركت أثرها على هذه المدرسة، إذ ظهر تأثير فلسفة عصر الأنوار على هذا التيار في المغالاة في تحكيم العقل وجعل السيادة له على النقل، ومحاولة إدخال العالم الغيبي إلى عالم المادة، وتفسيره عقلياً ومنطقياً، مما أوقع أصحاب هذه المدرسة في كثير من المغالطات؛ فقد رجح الإمام محمد عبده أن سورة الفاتحة هي أول ما نزل من القرآن عقلاً يقول : "..وقال كثيرون إنها أول سورة أنزلت بتمامها". وقد رد تلميذه محمد رشيد رضا قول أستاذه (كثيرون)، وناقش قول أستاذه بذكر الأحاديث المنافية لكون

---

(١) عمارة، محمد، **الأعمال الكاملة جمال الدين الأفغاني**، ص٣٢٧.

(٢) عمارة، **الأعمال الكاملة جمال الدين الأفغاني**، ص١٧٦، ص١٧٧.

(٣) الحداد، مصدر سابق، ص١٧٥.

(٤) ولشدة إعجاب محمد عبده بالحركة اللوثرية كان يدرس كتاب (التحفة الأدبية في تاريخ تمدن الممالك الأوروبية) وهي النسخة العربية لكتاب (فرانسوا غيزو) المسمى (تاريخ الحضارة الأوروبية). و(غيزو) هذا بروتستانتي متحمس قام بتضخيم الدور الذي لعبته حركة الإصلاح الديني الأوروبية في حداثة أوروبا، وكان محمد عبده يدرس الكتاب على طريقة الشروح التقليدية. ينظر كتاب:

- شحاته، عبد الله محمود، **منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن**، ص٢٣.

- الحداد، محمد مصدر سابق، ص١٧٥ وما بعدها.

(٥) التي تبلورت من تيار الإصلاح الديني الإسلامي.

الفاتحة أول ما نزل قائلاً: "وأما الأستاذ الإمام فقد رجح أنها أول ما نزل على الإطلاق... ونزع في الاستدلال منزعاً غريباً... ومن آية ذلك: أن السنة الإلهية في هذا الكون... أن يظهر الله سبحانه الشيء مجملاً ثم يتبعه التفصيل... والفاتحة مشتملة على مجمل ما في القرآن وكل ما فيه تفصيل للأصول التي أعطيت فيها.." [1] .

وقد ذهب محمد عبده في تفسيره إلى إمكان حمل قصة آدم عليه السلام على المجاز للتوافق مع الماديين الذين ينكرون عالم ما وراء الطبيعة، وهذا الرأي جعل المؤمن بالغيب والمادي الملحد عند محمد عبده سيان، وقال: "الحقيقة واحدة والعاقل لا تحجبه الأسماء عن المسميات"[2] ومثال ذلك:

- جعل محمد عبده سؤال الملائكة في قصة الخلق الأولي(أتجعل فيها من يفسد فيها...؟) تصويراً لاستعداد الإنسان لذلك، وتمهيداً لبيان أنه لا ينافي خلافته في الأرض.

-وجعل إخبار الله عن الملائكة هو تهيئة الأرض وقوى العالم قائلاً: "فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده قائماً؛ قوامه بروح إلهية، سمي بروح الشرع ملكاً........"[3] .

- وتعليم الله لآدم جعله الإمام محمد عبده هو الاستعداد الإنساني للعلم.

- وسجود الملائكة رمز عن تسخير الأرواح والقوى له، وهو معرفة السنن الكونية.

---

(١) رضا، رشيد، تفسير المنار، ج١، ينظر ص٣٤ وما بعدها. ينظر أيضاً:
- المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، ج١، ص٢٣.

(٢) رضا، تفسير المنار، ج١،ص٢٦٨.

(٣) رضا، تفسير المنار،ج١، ص٢٥٢.

- ورفض إبليس للسجود رمز عن عجز الإنسان عن إخضاع روح الشر وإبطال خواطر السوء.

- وجعل الإمام الخلق أطواراً، وآخر هذه الأطوار هو اللجوء إلى القوة الغيبية موافقاً بهذا النظريات الغربية، ومنافياً ما أخبر به القرآن عن الخلق الأولي للإنسان[1]. وقال: "لو أن نفساً مالت إلى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك، والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس إلى ما أبصرت من الحق"[2] ، وقد تابع المراغي أستاذه في هذا، واعتبرها محاولة للتوفيق بين من قال إن الملائكة قوى الطبيعة، أو من قال إنها مخلوقات غيبية[3]. وقد تابع أتباع المدرسة العقلية إمامهم في ترجيح العقل على النقل.

والباحث المدقق في مسار الفكر الإسلامي يجد أن الأفغاني ومحمد عبده خلفا الكثير من المبادئ المنحرفة والدعوات الهدامة[4]، وأسهم تلامذة هؤلاء في تشكيل التيار التغريبي[5].

٢-التيار التغريبي:

لم تفترق مطاعن هذا التيار وشبهاته على القرآن عن المستشرقين قيد أنملة، فهذا التيار استقبل الفكر الغربي الإلحادي وحاول إضفاء صفة الوطنية عليه، دون أن يحاول إعادة إنتاجه على الأقل، فأصبح هذا الفكر المستغرب مسخاً عربياً للفكر

---

(١) رضا، مصدر سابق، ينظر ص٢٨١، ص ٢٨٣ .

(٢) رضا ، مصدر سابق، ج١، ص٢٦٩

(٣) المراغي، ج١، ص ٨٧ وما بعدها.

(٤) الرومي، **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**، ينظر ص٧٤٠ وما بعدها علاقة دعوى محمد أحمد خلف الله وموقفه من القصص القرآني بأنه لا يقتضي الحقيقة، وإنما العظة والعبرة وعمق الصلة بين موقفه وموقف المدرسة العقلية.

(٥) الشوابكة، **محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية**، ص٨١.

الغربي يستوي في هذا من تبنى العلمانية الشاملة التي استبعدت الدين وناصبته العداء، وكان أكثر من تبنى العلمانية من مسيحيي الشام أمثال[1]: شبلي شميل (١٨٦٠-١٩١٧)، جرجي زيدان (١٨٦١-١٩١٤)، فرح أنطون (١٨٧٤-١٩٢٢)، نقولا حداد (١٨٧٨-١٩٥٤)، ويعقوب صروف (١٨٥٢-١٩٢٧) وغيرهم... ومن المصريين سلامة موسى (١٨٨٧-١٩٥٨) وإسماعيل مظهر (١٨٩١-١٩٦٢)[2] وعلي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم).

أو من تبنى القومية مثل: (ساطع الحصري، قسطنطين زريق، رفيق العظم....) أو من تبنى الليبرالية مثل أحمد لطفي السيد (١٨٧٢-١٩٦٣).

وأصبح هناك ماركسية ولينينية واشتراكية وشيوعية وليبرالية عربية، وقدم المستلَبون حضارياً أمثال طه حسين[3]، وسلامة موسى للغرب أكثر مما قدم الاستشراق نفسه للغرب[4].

---

(١) الأسماء كثيرة في التيار التغريبي حتى وقتنا هذا، وذكر بعضها دون بعض في هذه الدراسة لا على سبيل الأهمية والأثر وإنما على سبيل المثل فقط، و قد يختلف القارئ معي في بعض الأسماء وقد يتفق فهذا إطلاق أحكام بني على دراسة لي قد تكون ناقصة لأنها افتقرت للاستقراء التام، لكن هي نتيجة الاستقراء الجزئي لبعض مؤلفاتهم.

(٢) الشوابكة، **محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية**، ص٨١،٨٢.

(٣) طه حسين نادى بأن تكون مصر جزءاً من أوروبا، ينظر كتاب:

- خليل، بكري، **الفكر القومي وقضايا التجدد الحضاري**، ص٣٩.

(٤) على سبيل المثال ينظر متابعة هؤلاء للمستشرقين من أمثال ولمور، ويكوكس، في محاربتهم للعربية الفصحى والدعوة للعامية، والحرب على لغة القرآن هي طعن في كتاب الله وهذه الحملة على اللغة بدأت من الطهطاوي الذي بث الفكرة بحرص شديد بعد أن أشاد بالفصحى، مروراً بقاسم أمين الذي ارتأى إلغاء الإعراب، وأحمد لطفي السيد. وازدادت الدعوة للعامية بعد ازدياد الدعوة إلى التمصير والدعوة إلى القومية، وحاول سلامة موسى أعدى أعداء العربية أن ينال من العربية الفصحى باسم التجديد، ونال من الأدب العربي القديم بحجة الوطنية والمدنية والإنسانية، وقد أثارت هذه القضية سجالات عديدة على صفحات الجرائد والكتب. ينظر كتاب:

- سعيد، نفوسة زكريا، **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**..

- الرافعي، مصطفى صادق، **تحت راية القرآن**، ينظر مقال تمصير اللغة ص٤٣ وما بعدها.

٣-تيار ما بعد الحداثة[١]: ظهر هذا التيار في نهاية الستينيات متزامناً مع انحسار التيار التغريبي حتى في عقول المستغربين أنفسهم[٢]، ومتزامناً مع ظهور فلسفات ما بعد الحداثة في الغرب، هذه الفلسفات تلقفتها -النخبة العربية المثقفة- كما يحلو لها أن تنعت نفسها، متجاهلة للبديهيات التي تقول إن لكل أمة خصوصيتها الحضارية[٣]، وإن على الفكر أن يعكس الواقع الذي تعيشه الأمة وتتفاعل معه، ومع تجاهل هذه البدهيات أصبحت التبعية هدفاً لذاتها يسعى إليها المستلبون فكرياً[٤] الذين استقطبوا مناهج وآليات النقد الثقافي[٥] التي أرستها الفلسفة التفكيكية في نقدها لفلسفات

---

(١) كان يمكن أن يدرج هذا التيار تحت التيار التغريبي السابق له زمنياً لأن مطاعنه لا تفترق عن مطاعن المستشرقين مطلقاً، إلا أن الترتيب الزمني هو محاولة لتسهيل الفهم على القارئ مع إيماني أن وضع فواصل زمنية حدية للفكر ليس ممكناً ولا يهدف له الكتاب أصلاً.

(٢) بسبب عوامل خارجية من ضمنها انهيار المذاهب الإلحادية وفشلها في الغرب، وانهيار الاتحاد السوفيتي وعوامل داخلية منها النكسات التي منيت بها الأمة نتيجة تبنيها لهذه المذاهب، سواء كأنظمة أو كأفراد، بالإضافة إلى مركزية دور الدين في المجتمعات العربية. وكان للجماعات الدينية مثل جماعة الإخوان المسلمين دور كبير في حرمان الفكر الوافد من الحامل الاجتماعي له، مما أسهم في تكسر هذا الفكر، والتحول الذي أصاب كتابات العقاد وهيكل وطه حسين وأحمد لطفي السيد، وبحث ساطع الحصري القومي العربي عن مكان للإسلام في نظريته القومية دلالة على هذا الانحسار. ينظر كتاب:

- طالب، محمد سعيد، **الحداثة العربية: مواقف وأفكار**، ص٣٢، ص٣٣.
- عمارة، **الاستقلال الحضاري**، ص١٩٤، ص١٩٥.
- مفتاح، الجيلاني، **الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم**، ص٣٥ وما بعدها.

(٣) والقارئ لكتابات هذا التيار والردود عليها يجدها أشبه بحوار الطرشان، فتجاهل هذه الخصوصية الحضارية جعل كتاب هذا التيار يستخدمون مصطلحات تقبع خلفها منظومات حضارية وفكرية متكاملة، لا يمكن لمن ليس ملماً بالفكر الفلسفي الغربي أن يفهمها، والحق أن هذه المصطلحات اضطربت دلالتها حسب الخلفية المعرفية والفكرية لمستخدمها، وليس السبب الوحيد لهذا الاضطراب نقل المصطلح خارج بيئته ومنظومته الفكرية وإسقاطه على العالم العربي، وإنما لأن المصطلح في أصله داخل بيئته الغربية غير محدد وفضفاض ويصعب تعريفه.

(٤) عمارة، **الاستقلال الحضاري**، ص١٥٠.

(٥) النقد الثقافي هو دراسة النص ليس بهدف التعرف على جمالياته الأدبية، وإنما للتعرف على الأيديولوجية التي كونته والمؤثرات التاريخية والفكرية والاقتصادية التي أنتجته (بمعنى أنه لا يوجد حياد وموضوعية في البحث العلمي)، وذلك عن طريق تفكيك لغة النص وطرح تساؤل مستمر عن الشروط النظرية لصلاحية كل خطاب معرفي صادر عن العقل. ينظر كتاب:

- شرابي، هشام، **النقد الحضاري للمجتمع العربي المعاصر**، ص٥٥،٥٦. ينظر أيضاً كتاب:
- سعد الله، **أنسنة النص**، ص٤٣،٤٤، وص٥١ وما بعدها.

الحداثة الغربية[1] في محاولة لتكريس الإلحاد وبعث هذه الفلسفات من مرقدها، والقضاء على أي أثر للتلوث بالغيبيات في هذه الفلسفات، وذلك بعد أن تنامى دور الدين في المجتمعات الغربية.

تبلورت حركة النقد الثقافي العربي في تيارات عدة لا يمكن وضع حدود فاصلة بينها مثل تيار النقد الماركسي، وتيار نقد الفكر القومي والعلماني، وتيار النقد الديني وإعادة التفسير والتأويل. وتبنى مناهج النقد هذه المستغربون من أمثال (إلياس مرقص، سمير أمين، مهدي عامل، طيب تيزيني، علي حرب، برهان غليون، أركون، والجابري، وحسن حنفي، وغيرهم...)[2]. وبالرغم أن الكلام عن الدين كان حاضراً في كل الخطابات النقدية السابقة يستوي في هذا الماركسيون والقوميون والليبراليون والعلمانيون الجدد[3]، إلا أننا معنيون بإلقاء الضوء على الذين دخلوا على خط القرآن

---

(١) يستوي في هذا من استخدم مناهج وآليات النقد لتقويض الحداثة وإحداث قطيعة معها، مثل المدرسة الفرنسية التي أعلنت انتهاء عصر النظريات والأيديولوجيات الشاملة وإعلان أنه لا يوجد نظرية في الأخلاق والقيم وكل شيء نسبي، ومن استخدم مناهج وآليات النقد لإحياء فلسفات الحداثة ونفث الروح في مذاهبها المحتضرة كالمدرسة الألمانية. ينظر كتاب:

- خريسان، **ما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق**، ينظر ص٢٣٨ وما بعدها المدارس الفكرية لما بعد الحداثة.

(٢) للمزيد عن النقد الثقافي في العالم العربي ينظر كتاب:

- شرابي، **النقد الحضاري للمجتمع العربي المعاصر**، ص٤٢-٤١.

- طالب، سعيد، محمد، **الحداثة العربية: مواقف وأفكار**. وينظر كتاب:

- جدعان، فهمي، **في الخلاص النهائي مقال في وعود الإسلاميين والعلمانيين والليبراليين**، ص١١٥ وما بعدها. ويعد الكتابان السابقان محاولة تفكيكية نقدية للكتابات النقدية.

(٣) وذلك بعد العزلة والفشل الذريع الذي مني به هؤلاء، فقرروا تغيير موقفهم من الدين في خطاباتهم. يقول أركون في حديثه عن سبب فشل المذاهب الحداثية وعزاه إلى: "..اختلال التوازن السيسيولوجي بين الكوادر الاجتماعية المتقبلة للحداثة الثقافية وعلمنة المجتمع من جهة وبين الجماهير المتعلقة بالعادات والتقاليد التي عرف الإخوان المسلمون وورثتهم الحاليون كيف يخاطبونها بفاعلية أكبر". ينظر كتاب:

- أركون، محمد، **الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**، ص١٦ وما بعدها.

الكريم، وادعوا أنهم أصحاب مشاريع إصلاحية دينية[1]. والحقيقة أنها مشروع واحد لم يبتعد كثيراً عن مشروع التغريبيين السابقين لهم زمنياً، وهو القضاء على الدين واللحاق بالغرب المادي[2]، وطرق هذا التيار في هدم الدين متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر الفصل بين الدين ومناحي الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهذا لا يعني اللادينية مطلقاً عندهم، وإنما "..فصل ما هو اجتماعي وسياسي محسوس، عما هو روحي وسماوي..."[3]،وقد وظفوا في سبيل هذه المهمة مناهج تنتمي إلى أسس نظرية غربية متعددة ومتعارضة ومتناقضة، واستخدموا اصطلاحات معقدة لتحقيق غايتهم، وهذا يعكس قمة استخفافهم بعقول قرائهم[4]. على أي حال، فقد استطاع النقد الثقافي تزويدهم بالآليات لهذه المهمة، فإذا كان النقد

---

(١) وكلمة مشاريع يطلقونها تضخيماً لطروحاتهم المستنسخة عن الغرب.

(٢) يقول أركون: إن إعادة النظر في تقييمنا وتصورنا المتعلق بمنشأ الثقافة ووظيفتها سيؤدي إلى انزياح: "...الأنظمة الثقافية الكبرى المتمثلة في الأديان من دائرة.. التقديس والغيب، باتجاه الركائز والدعامات المادية والعضوية التي لا يزال العلم الحديث يواصل اكتشافها"، وهذا هدفه تحديداً (إزاحة الأديان) مهما نمق وراوغ في طريقة عرضه. ينظر كتاب:
- أركون، **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، ص٢٦.

(٣) شرابي، **النقد الحضاري**، ص ١٥ . هذا بالطبع الحد الأدنى من تطلعاتهم، والناظر في كتابات هؤلاء يجد أن همهم القضاء على الدين إذ إنهم أصلاً لا يعترفون بربانيته، وإنما يعتبرونه منتجاً ثقافياً ينبغي أن يزول بزوال الثقافة التي أنتجته، ولعل علمنة الإسلام أو إن شئت سمها أسلمة العلمنة هي طريقهم في هذا بعد الفشل الذي منيت به العلمانية في الغرب والعالم العربي والإسلامي على حد سواء. يقول شرابي عن هدف النقد في العالم العربي "تكتيك مؤقت لتفكيك الخطاب المهيمن ونسف أسسه السياسية والأيديولوجية". ينظر كتاب:
- شرابي، المصدر السابق، ص٣٨.

(٤) فلا ضير عند هؤلاء أن يعترفوا بالقرآن طالما ضمنوا التفريق بين أم الكتاب والقرآن الذي بين أيدينا، لأن المهم عندهم إيقاف تفعيل القرآن. يقول أركون "..أم الكتاب أي الكتاب السماوي الذي يحتوي على كلية كلام الله السرية والمجهولة التي لا يمكن التوصل إليها، ثم مصطلح الكتاب، القرآن، الذكر، الفرقان.. أي الكتاب المتجسد تاريخياً... والمنخرط منذ الآن فصاعداً داخل التاريخ الأرضي للمخلوقات.." وعلى هذا، فالإسلام عند أركون هو "الدين المعاش من قبل المسلمين.." أي إن الإسلام نتاج المسلمين، وليس كما كنا نؤمن أن المسلمين هم نتاج الإسلام. وعلى هذا، يمكن إعادة إنتاج الإسلام كلما دعت الضرورة، وذلك وفق احتياجات المسلمين وتحدياتهم. ينظر كتب:
- أركون، محمد، **الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**، ص٥٣ وما بعدها.

كما يقول غرينبلات هو الذهاب أبعد من النص لتحديد الروابط بين النص والقيم من جهة، والمؤسسات والممارسات الأخرى في الثقافة من جهة ثانية[1]، فهذا يعني أن النص تشكل حسب الأيديولوجيات وصراع القوى الاجتماعية. ولهذا فإن دلالات النص تتغير وتتضارب حسب المتغيرات التاريخية والثقافية، وهذا يستلزم قراءة النص في إطاره التاريخي والثقافي وسمي هذا التاريخانية الجديدة[2] ويعد أول من ربط هذه التاريخانية أو التاريخية[3] بالقرآن هو أركون[4] في عام ١٩٧٤ في محاضرة ألقاها في باريس[5] قال فيها: "أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تطرح... من قبل.. ألا وهي تاريخية القرآن وتاريخية ارتباطه بلحظة زمنية وتاريخية معينة..."[6] وحاول العلمانيون أن يؤكدوا أن القول بتاريخية القرآن لا يهدف إلى إلغاء عموم الدلالة في القرآن وإسقاط حجيته[7]، وأن أمر انتمائهم للإسلام محسوم[8]، ويمكن الاتفاق معهم

---

(١) الطعان، **العلمانيون والقرآن الكريم**، ص٣٠٣.

(٢) لأن مفهوم التاريخية ظهر في الغرب قبل هذا بكثير، وطرأ على مفهومه الكثير من التطور والتغير. ينظر كتاب:

- الطعان، العلمانيون والقرآن الكريم، ص٣٠٢-٣٠٣.

(٣) الطعان، المصدر السابق، ص٢٩١ وما بعدها، فصل الكاتب في مفهوم التاريخية والتاريخانية في الفكر الحديث.

(٤) على حد زعمه، والحقيقة أن الطاهر حداد تكلم قبله في عام ١٩٣٠م عن تاريخية الشريعة كاملة، واستثنى التوحيد ومكارم الأخلاق والعدل. ينظر كتاب:

- حداد، الطاهر، **امرأتنا في الشريعة والمجتمع**، ص٢٢-٢٣. وينظر ص٢٨ قوله (الإسلام دين الواقع وبتطوره يتطور، وذلك سر خلوده).

(٥) نشرت فيما بعد في كتاب جماعي أهدي إلى ذكرى المؤلف ريجيس بلاشير. ينظر كتاب:

- أركون، محمد، **الفكر الإسلامي قراءة علمية**، ص١٨٧.

(٦) أركون، المصدر السابق، ص٢١٢.

(٧) يقول هاشم الصالح عن أركون إن مهمته هي إنقاذ الإيمان وأن ما يفعله بالنسبة للتراث الإسلامي هو على غرار ما فعل علماء ومفكرو أوروبا بالمسيحية. ينظر كتاب:

- أركون، **قضايا في نقد العقل الديني**، ص١٥.

(٨) أركون، المصدر السابق، ص٢٧.

في أنهم لا يريدون إلغاء عموم الدلالة وإنما يريدون من وراء هذه التاريخية إلغاء الدلالة أصلاً[1]، وجعل السلطة للواقع على النص وليس العكس[2]، متابعين بهذا فلسفة ما بعد الحداثة وذهل هؤلاء عن أن للنص فقهه وضوابطه الأصولية والمتغير هو فقه الواقع، بمعنى أن التطور يطال الواقع ولا يطال القرآن، وإن كان القرآن بربانيته وشموليته يتسع لتطورات الواقع ،فالأصل أن نفقه النص ثم نجيب على أسئلة الواقع،لا أن نقوم بلي عنق النص ليناسب الواقع الذي يمليه الغرب.

والقرآن عند أصحاب هذا التيار يحمل أثراً من نصوص سابقة أنتجته، مثل التوراة والإنجيل والشعر الجاهلي، وسيترك أثراً في نصوص ستأتي بعده[3]، وهو نص نسبي مفتوح الدلالة[4] مشحون بالرمزية العالية[5]، له معان بعدد القـــراء

---

(١) أركون، **تاريخية الفكر العربي والإسلامي**، ينظر كلامه عن تحول الدلالات، إما عن طريق إعادة التأصيل أو إثبات استحالة التأصيل بسبب ما سماه الطفرة المعرفية، التي فصلت الدال عن المدلول، ينظر ص٤٠ وما بعدها.

(٢) أركون، **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل**، ص٢٢. فكل هم هذا الحداثي الملحد أن "القرآن لا زال يلعب دور المرجعية العليا المطلقة في حياة المجتمعات العربية والإسلامية"، والحل في رأيه أن تلحق الدراسات القرآنية بدراسات التوراة والإنجيل وأن يقرأ القرآن كما يقرأ الإنجيل، أي يقرأ "بعيون جديدة أي على ضوء هموم الإنسان المعاصر". والقرآن يحتمل هذا إذ يوجد في "النص القرآني وتوسعاته التاريخية الهائلة مادة حقيقية من أجل امتحان مقدرة العقل على فك ألغاز منتجاته الخاصة".

(٣) تركز نائلة السليني على هذه القضية في كتابها في أكثر من موضع. تقول على سبيل المثال إن "القرآن نص ديني بامتياز، حاور أديان العرب السائدة وقتها وعاداتهم ليردها ويقيم للناس غيرها، لكن تمثل شيئاً من أصول تشريعاتها دون تصريح"، واعتبرت الكاتبة أن القرآن أجمل ما فصلته التوراة. ينظر كتابها:- الرضوي، السليني نائلة، **تاريخية التفسير القرآني**، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م، ص٦٠، وص٩٦، ومواضع أخرى متعددة.

(٤) أركون، **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، ص١٧. يقول أركون إن القرآن في اللحظة الأولية التي ظهر فيها "...نجد أن كل شيء فيه متحرك ومتموج ومفتوح ومليء بالاحتمالات".

(٥) يعتبر أركون أن الفكر الأصولي يسطح المجاز ويختزله إلى المعنى الحرفي، واستطاع سحب الخطاب القرآني والحديث النبوي باتجاه اللغة التشريعية. ومن هذا التعبير الحرفي تشكلت المؤلفات الدوغمائية (يقصد المؤلفات الإسلامية على مدى عقود) والمجاز عند أركون أولى من المعنى الحرفي، حتى إن الله والوحي تركيب مجازي. ينظر كتاب:
- أركون، المصدر السابق، ص٢٣، ٢٤، ٣٨، ٣٩.

أنفسهم[1]، وتعدد المعنى يعني عدم ثباته مما يؤدي إلى تدميره، وهذا بعينه التشظي واللامركزية الذي أرسته فلسفة ما بعد الحداثة[2].

ولعل سؤالاً يطرح نفسه هنا إذا كان هؤلاء يصرون على انتمائهم للإسلام ويدّعون أنهم فقط يتوسلون بالمناهج التي طورها الفكر الإنساني (الغربي) في دراستهم، وإذا كان هؤلاء يصرون عند حديثهم عن الإسلام بأنه لا يوجد نص تفسيري أو منهج أصولي حيادي عن الأيدلوجية التي أنتجته[3]، فكيف يطالبون القارئ لهم أن يفصل بين المنهج الذي يستخدمونه[4] و الأيديولوجية (الفلسفة الإلحادية) التي أنتجته ؟ ألا يعتمد المنهج في أساسه "على العمود الفلسفي المتحيز لجوهر نشأته، والذي يمد

---

(١) وتعدد المعاني (عند هؤلاء) يعني تعدد الإسلام، إذ "لا يمكن تحرير الفكر الإسلامي.. وتوسيع آفاقه إلا بالخروج من... الأدبيات التي تقول بأن هناك إسلاماً واحداً صحيحاً ومستقيماً (الإسلام الأرثوذكسي)... هذه النظرة الثيولوجية التقليدية... لم تعد مقبولة من وجهة نظر الفكر العلمي المعاصر...". ينظر كتاب:

- أركون، **الفكر الإسلامي قراءة علمية**، ص ٤٣، الهامش. ويقصد بالفكر العلمي المعاصر فلسفة ما بعد الحداثة، وما لا تقبله فلسفة الغرب لا يمكن بالنسبة لهؤلاء أن يكون مقبولاً. إلا أن المقبول أن يكون هناك إسلام كلاسيكي، وهو إسلام عصر النبي وإسلام أرثوذكسي، وإسلام سلطوي، وإسلام مغاربي. والحق أن التركيز من هؤلاء على إطلاق أسماء عدة على الإسلام للتأكيد أن الإسلام هو نتاج قراءة المسلمين للإسلام وليس العكس، وهذا يعني عدم وجود للإسلام أصلاً، ويعتقد الحداثيون أنهم بهذه المراوغة والالتفاف على المواجهة مع الدين ستقلل من عزلتهم. والحقيقة أن ما سيحدث العكس لأن القارئ سيصيبه الغضب لهذا الاستخفاف بعقله.

(٢) خريسان، **ما بعد الحداثة**، ينظر ص٢٢٦ وما بعدها.

(٣) فالمنهج على حد تعبير الجابري في كتابه نحن والتراث "يصدر عن رؤية... والوعي بأبعاد الرؤية شرط ضروري لاستعمال المنهج استعمالاً سليماً ومثمراً... فالرؤية تؤطر المنهج، تحدد له أفقه وأبعاده..". نقلاً عن كتاب:

- بارة، **إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر**، ص١٤٠.

(٤) سواء كان هذا المنهج هو البنيوية أو حفريات فوكو التي يستنسخها الجابري أو تفكيكية دريدا التي يتعبد بها أركون وتلامذته أو النقد الثقافي... وغيرها، يستخدم أركون المنهج التفكيكي للإجابة على سؤال يؤرقه: كيف حصل واقتنع ملايين البشر أن الشريعة ذات أصل إلهي. ينظر كتاب:

- أركون، **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، ص٢٩٦.

(المناهج) بالحيوية ويمنحها السناد الذي ترتكز عليه؟ وعلى من يتصدى لدراسة ذلك أن يضع نصب عينيه الإرث المعرفي الذي نشأت فيه تلك المناهج"[1] والحق أن استبعاد الجانب المعرفي الذي أنتج المنهج يؤدي إلى تشويهه وإفراغه من طاقته الإجرائية؛ فكل منهج هو "مظهر مرئي لرؤية معرفية لا مرئية تؤسس شرعية وجودها"[2] وبعد هذا يستغرب تيار ما بعد الحداثة ممن ينعتهم بالإلحاد إذا استخدموا المنهج التفكيكي الذي أرسته فلسفة اليهودي دريدا الإلحادية في تعاملهم مع أقدس مقدسات المسلمين (القرآن).

والحق أنه على من يجلس مع هذا التيار على مائدة الحوار أو النقد أن يتفق معهم على حدود المصطلحات، فالله والقرآن والوحي والإسلام لها معان عندهم مختلفة عن تلك التي عند المسلمين، وبهذا عكسوا مقولة لا مشاحة في الاصطلاح إلى لا مشاحة في المعنى[3] وهذا بعينه تدمير اللغة، وتدمير للتواصل الإنساني الذي كرسته فلسفات ما بعد الحداثة[4].

(١) سعد الله، **أنسنة النص**، ص٤٧.

(٢) بارة، **إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر**، ص١٤٠.

(٣) أركون، **الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**، ص ٥٣ وما بعدها، ينظر تعريف أركون للإسلام والمسلم، وينظر ص٧٧ وما بعدها تعريفه للقرآن والوحي. ينظر كتاب:
- أركون، **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، ينظر الهامش ص٢٤١، اقتراح أركون لكتابة كلمة (Islam) مبتدئة بحرف صغير و(Islam) مبتدئة بحرف كبير للتفريق في المعنى، حتى لا تبقى كلمة إسلام حسب زعمه عرضة للتلاعب الأيديولوجي. ينظر أيضاً كتاب:
- حنفي، حسن، **التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم**، ينظر ص١١٢ وما بعدها، حيث عرف الكاتب الوحي بأنه الشعور، وأن النص القرآني هو استجابة لضغط الواقع، وهذا هو معنى أسباب النزول عنده. يقول الكاتب: "الشعور وصف حقيقي للمعرفة وللوجود... ولا شيء في العالم الخارجي يمكن إدراكه ومعرفته إلا من خلال الشعور... فالبداية بالشعور بداية يقينية لا تسبقها بداية أخرى... وهذا هو معنى الكوجيتو الديكارتي..".

(٤) بارة، مصدر سابق، ينظر أزمة المصطلح في الخطاب النقدي المعاصر، ص٢٧٩ إلى ص٣١٧.

ثالثاً: فرق أخرى[1]:

تعد الفرق في الوقت الحاضر رافداً رئيسياً للمستشرقين والمستغربين في الطعن في كتاب الله. وينبغي هنا التنبيه إلى أمرين قبل أن نتبين موقف هذه الفرق من القرآن: الأول: إن هذه الدراسة لا تهدف إلى حصر جميع الفرق المعاصرة، وإنما فقط الإشارة إلى بعضها بحسب شهرتها وخطرها في الطعن على كتاب الله، والثاني: إننا لا نعني بالفرق المعاصرة الفرق التي ظهرت في الوقت الحاضر، وإنما أيضاً الفرق القديمة التي بقي لها وجود فعلي في وقتنا؛ سواء كان هذا الوجود حقيقياً مثل الشيعة والباطنية، أم وجوداً فكرياً مثل المعتزلة والقدرية والجهمية والخوارج، التي بقيت أفكارهم منتشرة بين المسلمين ويرددونها دون معرفة مصدرها.

---

(١) هذه الدراسة غير معنية بتفصيل الحديث عن الفرق وعقائدها، وإنما هي معنية فقط بموقفها من كتاب الله فالكلام عن هذه الفرق تفصيلاً يقرأ في مظانه في كتب الفرق.

قراءة في موقف الفرق من القرآن الكريم:

١-الشيعة:

يمكن تلخيص شبهات الشيعة ومطاعنهم على كتاب الله في ثلاثة أمور:

١-التشكيك في وثاقة النص القرآني:

من حيث جمعه، ونقله، وسلامته من النقص والزيادة والتحريف، وقد قال بهذا كبار علمائهم مثل القمي والكليني والطبرسي والكاشي والكارازاني وغيرهم، وهؤلاء جميعهم صرحوا بكل وضوح أن في القرآن نقصاً وتحريفاً في الآيات التي يذكر فيها علي بن أبي طالب، أو الآيات التي فيها ذم المهاجرين والأنصار ومثالب قريش، وأن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا علي فقط .

ويعتقدون أن مصحفاً مفقوداً يسمى (مصحف فاطمة) يختلف عن المصحف الذي نعرفه وفيه أضعاف ما فيه سيصل إليهم يوماً، إضافة إلى ادعائهم أن نقصان سور من القرآن أمر جائز مثل سورة (الحفد)و(الخلع)و(الولاية) التي أسقطت من المصحف، والدراسة اللغوية والأسلوبية للسور التي ادعوا فقدها تدحض ما ذهبوا إليه، والحق أنه لا حاجة لعمل الدراسة فنظرة واحدة على نص سورة (الولاية) المكذوبة تكفي للتيقن بأنها لا تداني القرآن المنزل في شيء. وقد أورد الكليني في الكافي مئات الآيات المكذوبة[1].

---

(١) ظهير، إحسان إلهي، **الشيعة والقرآن**، ص ١٦، وأورد الكاتب السورة بتمامها نقلاً عن كتاب الطبرسي فصل الخطاب، ينظر أيضاً:

-عواجي، غالب بن علي، **فرق معاصرة تنتسب للإسلام**، ج١، ينظر ص٢٨٢ وما بعدها.

٢-الإلحاد في تأويل النص القرآني في عملية إسقاطية لعقائدهم الباطلة:

مثل تفسيرهم آية ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ (النحل: ٨٣) أي يعرفون ولاية علي بن أبي طالب وأكثرهم الكافرون بالولاية، واستدلالهم بآية ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ (الرعد: ٣٩) لإثبات البداء على الله[١].

٣-عدم الاحتجاج بكتاب الله:

من لوازم القول بعدم وثاقة النص القرآني سقوط حجية القرآن عند الشيعة، إلا أنهم لم يكتفوا بهذا، بل أعلنوا عنه صراحة بقولهم إن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم" والقيم هم أئمتهم الاثنا عشر، وأولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وآخرهم محمد ابن الحسن العسكري المخبوء في السرداب منذ أكثر من أحد عشر قرناً، وبهذا الشرط أو القيد الذي ابتدعوه أبطلوا حجية القرآن، ولئن سلمنا جدلاً بهذا الشرط أو القيد من عهد علي رضي الله عنه إلى عصر إمامهم الثاني عشر، فمن لنا بتفسير القرآن بعد غياب ذاك الصبي في السرداب، إنها دعوى تبطل نفسها بنفسها......"[٢]

وقد اعتمد الشيعة في مطاعنهم على الروايات التاريخية المكذوبة[٣]، وعلى تحييد السياق اللغوي والمقامي في تأويلهم لكتاب الله، إضافة إلى عدم التزامهم بالضوابط التفسيرية والقواعد اللغوية.

---

(١) عواجي، مصدر سابق، ينظر ص٢٩٣ وما بعدها، وموقف الشيعة المعاصرين من البداء يحتاج إلى تحرير، وفي رأيي أن أصولهم العقدية تحتاج دراسة لمعرفة الفرق بين متقدميهم والمتأخرين.

(٢) البت خاري، عبد الله، جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة، ص١٩٤، وقد ناقش الكاتب موقف الشيعة من كتاب الله ونقل نصوصاً كثيرة من كتبهم ينظرص١٥٥ وما بعدها.

(٣) وقد نقل إحسان إلهي ظهيرالتحريف الوارد في كل سورة ونقل واحد وألف حديث مكذوب ينظر كتاب:

-ظهير، إحسان إلهي، الشيعة والقرآن.

وتعد الشيعة أقوى الفرق في عصرنا لتبني الدولة الإيرانية لأصول المذهب بعد الثورة، مما يجعل مطاعنهم هي الأكثر خطراً على الأمن الفكري للمسلمين، ويحتاج رصد الجهود المبذولة لنشر المذهب الشيعي وأثرها على العالم الإسلامي إلى دراسة مستقلة، إلا أن لسان حال الواقع يقول:(ويل لنا من شر قد حل بساحتنا فساء صباح المنذرين).

٢-الباطنية:

وقد أُطلق عليهم هذا الاسم لزعمهم أن النصوص من الكتاب والسنة لها ظاهر وباطن، وأن الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة اللب، و بنوا على هذه القاعدة تأويل النصوص تأويلاً لا ينسجم مع ظاهر الدلالة، وأسلوب البيان، ولا مع سياق الكلام، ومقاصد الشريعة وأوامرها، وقد ظهر هذا جلياً في تراثهم، فتأويلهم للآيات هو عبارة عن ترهات فلسفية وإسقاطات عقائدية، مثل تأويلهم لآية (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً)، فقد فسروا الجد بالبخت "...والبخت منه ما هو حقيقي ومنه ما هو مجازي، فالحقيقي ما اجتمع به المرء من السعادات ، والمجازي ما يجري في العرف والعادة، ...كذوي الثروة واليسار...وربما يكون هلاك أكثرهم بما يتوهم بختهم فيه، فلما وجد في واحد من البشر قوة شريفة أمكنه بمجاورتها محبة العالم الروحاني، ومعاينة أهله ....فصار بتلك القوة قاهراً لجميع من في عصره ودوره، حتى صاروا له كالعبيد يصرفهم كيفما يشاء.....واستحقت القوة المتصلة به أن تسمى بختاً وهو الجد.....وعنى الله تعالى بالجد أن يكون شبيهاً بالحدود الدنيوية" [1]. واتخذوا إظهار التشيع ستاراً لهم؛ لأن المذهب الشيعي يحتمل هذا الإلحاد في التأويل، ولهذا يصر المنتمون لهذه الطائفة على تثبيت انتمائهم للشيعة.

---

(١) تامر، عارف، **ثلاث رسائل إسماعيلية**، رسالة تحفة المستجيبين لأبي يعقوب السجستاني، ص١٥، والكتاب مثقل بهذه التأويلات المنحرفة.

وأخطر هذه الفرق في العصر الحاضر الإسماعيلية، وافترقت الإسماعيلية إلى ثلاث فرق: الدروز، البهرة، الأغاخانية.

وينكر الدروز القرآن الكريم ويعدونه فرية، ويشنعون على متبعيه، ووضعوا لهم كتاباً مقدساً في العصر الحاضر سموه المصحف المنفرد نسبوه إلى حمزة بن علي، إلا أن الدارسين لهذه الفرقة يرون أن الكتاب من تأليف أحد المعاصرين، بدليل ما جاء في هذا الكتاب من ألفاظ وأسلوب عصري.

وقد حمل لواء إحياء التراث الإسماعيلي في عصرنا الحاضر (عارف تامر)[1]، الذي كتب (تاريخ الإسماعيلية) في أربعة أجزاء، وله أيضاً (موسوعة الخلفاء الفاطميين) وعشرات المؤلفات الأخرى. و من الأسماء التي لمعت في فضاء هذه الفرقة الملحدة (مصطفى غالب)[2] ، الذي بلغ عدد مؤلفاته وكتبه المحققة تقريباً ١٠٣ كتاب، ومن أعماله المؤلفة: أعلام الإسماعيلية، الإسماعيلية في بلاد الشام، في رحاب إخوان الصفا، الإمامة وقائم القيامة، مفاتيح المعرفة، المفيد والمستفيد، آغاخان في سورية، القرامطة

---

(١) عارف تامر العلي (١٩١٢م-١٩٩٨م) ولد في سورية في بلدة قدموس وهي تابعة لمحافظة طرطوس، قضى مراحله الدراسية الأولى في مدارس النصارى، مثل مدرسة اللاييك ومدرسة الفرير ومرحلته الجامعية كانت في كلية الآداب التابعة لجامعة القديس يوسف ببيروت، وحصل على الدكتوراه، في مونتريال كندا.

(٢) مصطفى غالب(ولد في ١٩٢٣م....) درس في مدارس الروم الأرثوذكس، صدرأول كتاب له بعنوان: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، وافتتح عام ١٩٥٢/ ١٩٥٤م مكتب إخوان الصفاء للدعاية والنشر بسلمية وأصدر العدد الأول من مجلة الغدير عام ١٩٥٥ م وحاز عضوية الجمعية الملكية الأسيوية البريطانية عام ١٩٥٧ م، حصل على شهادة العلامة المعادلة للدكتوراه من جامعة كراتشي كلية اللغة العربية عن كتابه في رحاب إخوان الصفا .وحازعلى الدكتوراه الفخرية بالفلسفة من جامعة مالمو بالسويد، وحصل على دكتوراه فلسفة في التاريخ والآداب من الجامعة الأهلية بكندا . انتخب عام ١٩٧٠م عضو شرف في الجمعية العالمية للأبحاث العلمية والاستشراقية في زوريخ ودوسلدورف بسويسرا، وحاضر في عدة مؤتمرات دولية للأبحاث الإسلامية بعدة دول مثل باريس- لندن- كراتشي- بومباي -ألمانيا- كمبالا.(عن الشبكة العنكبوتية).

بين المد والجزر، ومن مخطوطاته المحققة: رسالتان اسماعيليتان (حسن المعدل)، المصابيح في إثبات الإمامة (الكرماني)، المجالس والمسايرات (القاضي النعمان)، الهفت الشريف، زهر المعاني (القرشي)، تفسير القرآن الكريم (ابن عربي)، الينابيع (السجستاني)، أسرار وسرائر النطقاء (جعفر بن منصور اليمن). وله مؤلفات فكرية أخرى في الأدب والشعر مثل: كتاب فحول الشعر، عباقرة الأدب، الحلاج، جلال الدين الرومي وأيضاً سلسلة نفسية وأخرى فلسفية، وهذه الإطالة في سرد المؤلفات لإلقاء الضوء على الجهد المحموم الذي بذله هذا الرجل في إحياء التراث الإسماعيلي.

لا يحتاج الإنسان لكبير جهد، وغزير علم، ليثبت حقيقة تعاون هذه الفرقة وغيرها من الفرق المنحرفة مع الاستعمار، وقد تم احتضان هذه الفرق من الغرب، وأصبحت لهم مراكز ضخمة في الولايات المتحدة الأمريكية والبلدان الأفريقية، ويعد معهد الدراسات الإسماعيلية الذي تأسس ١٩٧٧م صورة للتفاعل والتعاون بين الاستشراق والغرب والحداثة والفرق المنحرفة[1].

٣-النصيرية:

وهي الفرقة التي أطلق عليها الفرنسيون مسمى العلويين، ويعد مذهبهم هو الأعمق في الوثنية، وهم ملحدون في آيات الله يسقطون عقائدهم الباطلة على القرآن، ولا يقارعون خصومهم الفكريين بالحجة والبرهان بل بالتصفية الجسدية، وفي مخطط المد الشيعي عقدت تحالفات بين الثورة الإيرانية والنظام السوري، بعد عداء بين الشيعة والنصيرية استمر لأكثر من ألف عام، وتم انضواء النصيرية العلويين تحت مظلة الشيعة الإمامية والاعتراف بمذهبهم، وهذا خلق محوراً شيعياً يمتد من طهران

---

(1)http://www.iis.ac.uk/view_article.asp?ContentID=104455
The Institute Of Ismaili Studies تاريخ الدخول ١٦/ ٦/ ٢٠١٢

عبر دمشق إلى جنوب لبنان[1].

٤-البابية و البهائية:

إن حجم المؤلفات الكبير في الكشف عن هاتين الفرقتين يجعل من العصي على أي إنسان إنكار أن الفرقتين صنيعة استعمارية صليبية يهودية، وبالرغم من العلاقة بين هاتين النحلتين، إلا أننا معنيون بالبهائية أكثر لأنه تمت عولمتها، أما البابية لم تتجاوز حدود إيران وتركستان والعراق.

والبابية التي بدأها الشيرازي في القرن التاسع عشر الميلادي تجلت مطاعنها في كتاب الله في القول بنسخه بكتاب كتبه الشيرازي سماه (البيان العربي)، وحرم الباب الشيرازي على أتباعه قراءة القرآن، وأحرق الكتب الأخرى وسفك دماء من لا يتبعه، ولم يمنعه القول بالنسخ من التأويل الباطل لكتاب الله؛ فالسماء والأرض المراد منها سماء الأديان وأرض المعرفة والعلم، والجنة هي الحياة الروحانية، والنار هي الموت الروحاني، والإنسان إما أن يكون في الجنة وإما أن يكون في النار قبل مفارقة البدن[2].

من رحم هذه النِحلة الباطلة خرجت البهائية، وتأويلات البابية الباطلة هي التي اعتمدها حسين علي المازنداني البهاء إله البهائيين، وليس من قبيل المصادفة أن تنسجم تعاليم البهائية مع اليهودية العالمية، والنظام العالمي الجديد؛ فالبهائية يقولون بالمساواة بين المرأة والرجل، ووحدة الأديان، والسلام العالمي، ووحدة اللغة والأوطان.

وعبر عقود كانت البهائية تدور مع اليهودية العالمية حيث دارت، ويعد كتاب الدكتورة عائشة عبد الرحمن(قراءة في وثائق البهائية) وثيقة تاريخية مهمة في الكشف

---

(١) وللمحافظة على علمية الكتاب لم نعرض لتداعيات هذا التحالف الشيعي النصيري، والذي نتج عنه الأحداث الدامية في سورية.

(٢) ظهير، إحسان إلهي، البابية : عرض ونقد، ينظر ص١٨٧ وما بعدها.

عن الأدوار التي مرت بها البهائية وعلاقتها بقيام دولة إسرائيل، وقد وصفت الدكتورة عائشة عبد الرحمن البهائية بوصف بليغ قائلة:"من الموقع الفكري، حيث لا يختلط الفكر بالإعلام، ينكشف للرؤية الثاقبة على مد البصر، نفق أسطوري، يمتد سرباً من شيراز في أعماق الشرق الإسلامي الآسيوي إلى أرض الميعاد: من النيل إلى الفرات.

سهرت اليهودية العالمية لمدى قرن طويل على حفره بذرائع خفية ماكرة، يحجبها عنا قصور النظر ويضللها تعتيم الرؤية بتمويه السراب وتخدير الوعي، وتتوه أصوات المعاول في جلجلة الأجراس والأبواق لشحنات الغزو الفكري، فجاز علينا أن البهائية عدو لليهودية مثلما هي عدو للنصرانية والإسلام، وما هي في وثائق التاريخ إلا من مفرزات اليهودية العالمية وصياغتها، والبهاء صنيعة اليهودية العالمية وعميلها وحليفها المسخر لقضاء مآربها، وهي التي مكنت لنحلته وبشرت بها فتكاثرت خلاياها تكاثراً فاحشاً يعيي المراقبين ضبطه وحصر مجاله ومداه.." [(١)] ولا أدل على هذا من أن إدارة شؤون البهائية قد آلت بعد وفاة شوقي أفندي حفيد البهاء إلى زوجته اليهودية الأمريكية روحية ماكسويل، مع تسعة أعضاء انتخبوا بعد تسعة أيام من دفن الفرع المجتث في مقابر النصارى في لندن[(٢)].

ولا تختلف البهائية في مطاعنها على كتاب الله عن غيرها من الفرق المارقة[(٣)]، لكن الجديد التي أتت به البهائية تلك البدعة العددية التي ابتدعها محمد رشاد خليفة خبير

---

(١) عبد الرحمن، عائشة(بنت الشاطئ)، **قراءة في وثائق البهائية**، ص٣٤.

(٢) مرجع سابق، ص١٤٣.

(٣) عواجي، غالب، **فرق معاصرة..**، ج١، ينظر ص٥٧٤ وما بعدها نماذج من الإلحاد في التأويل عند البهائية.من هذه التأويلات تأويلهم (وإذا النفوس زوجت) أي اجتمعت اليهود والنصارى والمجوس على دين واحد فامتزجوا في دين الميرزا المازنداني، وتأويلهم (وإذا الصحف نشرت) أي انتشرت الجرائد والمجلات بكثرة، وغيرها من التأويلات المنحرفة.

التنمية الصناعية بالأمم المتحدة وإمام مسجد توسان في أمريكا؛ هذه البدعة هي بدعة العدد تسعة عشر الذي افتتحها بقوله: (إن هناك تفسيراً جديداً لقوله تعالى:عليها تسعة عشر، وهو عدد حروف البسملة)، وعد هذا التفسير إعجازاً ودليلاً دامغاً على أن القرآن ليس من قول البشر، وتطورت بدعة الإعجاز العددي وبتزوير الأعداد، وبطريقة تشبه طريقة الحُواة أصبح الكلام عن قيام الساعة البهائية وانتهاء الأمة المحمدية قضية علمية أخرجها لنا الحاسب الآلي بطريقة العدد تسعة عشر، والغريب أن هذه الفتنة العددية انتشرت في أصقاع الأرض، ونحن في هذا المقام لا ننكر وجود الموافقات العددية في القرآن، ولكن ننكر التزوير والبهتان والكذب الذي قام به هذا المدعو (خليفة) من موافقات العدد تسعة عشر، وننكر أن تكون هذه الموافقات العددية طريقة لكشف الغيبيات، ووراء الأكمة نجد تلك البدعة العددية، التي بعد أن راجت نشر صاحبها كتاباً غير فيه اسمه من محمد رشاد خليفة إلى رشاد خليفة، وسمى كتابه: (القرآن والحديث والإسلام)، وهو باللغة الإنجليزية، وأودعت نسخته في مكتبة الكونجرس وأعلن عنه بالكلمات التالية:(هل يعنيك أن تعرف لماذا قهر ثلاثة ملايين من الإسرائيلين مائة وخمسين مليوناً من العرب، وحرموهم من مسجدهم في أورشليم؟ لكي تعرف السبب الحقيقي اقرأ كتاب : (القرآن والحديث والإسلام) والكتاب طبع على ظهر غلافه رقم الإيداع، مع تحذير بعدم السماح بنقله أو إنتاج أي جزء منه بالتصوير أو الميكروفيلم أو التسجيل بغير تصريح بإذن كتابي من الهيئة صاحبة حقوق النشر، ويفهم من هذا أن الهيئة تحرص مؤقتاً على تأجيل نشره في ديار الإسلام، وقد ذكر المؤلف في مقدمة كتابه كلاماً ننقل ترجمته بتمامها لأهميتها: بعد أكثر من اثنتي عشرة سنة من إجراء بحوثي حول القرآن باستخدام الحاسب الآلي(الكمبيوتر)، تم اكتشاف دليل مادي يثبت أن القرآن هو في الواقع كلمة الله المعصومة. وهذا الاكتشاف-يعني تسعة عشر ودلالته الإعجازية-أصبح رائجاً شائعاً ومقبولاً لدى

الجماهير المسلمة في أنحاء العالم، وقد تم طبع ملخصات لهذا الاكتشاف وتوزيعها بالملايين. وقد تصاعدت شعبيتي كثيراً بهذا الاكتشاف البالغ الإثارة والتواضع.

وكشف البحث المستمر الدائب عن حقيقة مذهلة، وهي: أن الحديث والسنة، بما لهما من شعبية هائلة ومكانة عالية لا علاقة لهما بالنبي محمد-ﷺ-وأن التمسك والالتزام بهما يمثل عصياناً صارخاً لله ولخاتم النبيين يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (الأنعام: ١١٢).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣١)[١].

وهذا الاكتشاف يتناقض مع معتقدات الجماهير المسلمة في كل مكان، وبناء على ذلك فإن شعبيتي، بل شعبية الإعجاز القرآني العددي، عرضة لأن تصل إلى تهديد حياتي وسمعتي، فقد تبين لي أن إبلاغ المسلمين أن (الحديث والسنة هي بدع شيطانية)، مماثل لإبلاغ المسيحيين أن يسوع ليس ابن الله.

ولما كان الإقرار بأن الحديث والسنة إنما هي بدع شيطانية تؤيده الأدلة المادية في الشواهد القرآنية، فإن كل الناس ذوي الفكر الحر سوف يقبلون المكتشفات المدونة في هذا الكتاب. وبالنسبة إلى هؤلاء المفكرين الأحرار، فإن تلك النتائج تتضمن إحساساً جديداً بالخلاص وباليقظة الكاملة، والوعي بأن الشعوب المسلمة سقطت ضحية للمخططات الشيطانية (التوقيع: رشاد خليفة التاريخ: ١٩/ ٨/ ١٩٨٢م"[٢].

---

(١) ولا مانع عند هذا المأفون من الاستدلال بهاتين الآيتين على ما ذهب إليه، فهو وأتباعه الذين يفصلون الدال عن المدلول؛ وبهذا جعل كل المسلمين الذين يتبعون السنة من المجرمين ومن شياطين الإنس والجن وجعل الأحاديث النبوية هي زخرف القول قاتله الله أنى يؤفك.

(٢) النص نقلاً عن: -عبد الرحمن، عائشة، قراءة في وثائق البهائية، ص٣٤٣.

وبهذا التقت البهائية الجديدة في الهدف مع القرآنيين الذين لا يحتجون بالسنة ويرفعون راية (الكتاب وحده) ليسهل عليهم الانفكاك من التشريع بالتأويلات المنحرفة.

وإذا كان البهائيون الجدد أنكروا الحديث النبوي للتخلص من حجيته، فالبهائيون القدامى تخلصوا من حجية الحديث النبوي بالتأويل المنحرف الذي يؤمن بالعلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول مما كفاهم مؤونة الإنكار[١].

ظهرت مطاعن البهائية بصورة جلية في ترجماتهم لكتاب الله للغات الأخرى، وظهرت إسقاطاتهم لعقائدهم في هذه الترجمات، وقد تعقب الدكتور (إبراهيم عوض) ترجمة (رشاد خليفة) التي طبعت في توسان ١٩٧٨م، وسجل في دراسة له ملاحظات قيمة عليها[٢].

نتيجة العمل المؤسسي المنظم للبهائية انتشرت البهائية في أصقاع الأرض، وتكاثرت محافلها وباتت تشكل خطراً على الدول الإسلامية التي توجد فيها، فقضية حماية الأقليات التي يتبناها النظام اليهودي العالمي، يخول البهائية بممارسة كل الخيانات الداخلية لأي دولة مسلمة دون أن يتعرض لها، وإن تعرضت دولة من الدول للبهائيين، يتم مساءلتها من المنظمات الحقوقية الحكومية والخاصة، الأمريكية والعالمية، وتعد قضية البهائيين في مصر أنموذجاً للاستعباد الدولي، حيث شغلت المنظمات الحقوقية الأمريكية الحكومية قضية الدفاع عن حقوق خمس عائلات بهائية مهاجرة من إيران استوطنت في مصر وتكاثرت حتى بلغت بضع مئات بين أكثر من

---

(١) عبد الرحمن، عائشة، قراءة في وثائق البهائية، ينظر ص٣٢٤ وما بعدها.

(٢) نقلاً عن الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب(واتا) World Assosiation Of Arab Translators & Linguists تاريخ الدخول ٢٦/ ٦/ ٢٠١٢م، ترجمة رشاد خليفة للقرآن الكريم: جهلٌ ونرجسيةٌ وتطاول على الله ورسوله بقلم الدكتور ابراهيم عوض.

ثمانين مليون مصري، هذه الضغوط الدولية أثمرت عن حكم قضائي يسمح للبهائيين بالاعتراف بديانتهم وتثبيتها في أوراقهم الرسمية، وهذا يعني اعترافاً قانونياً بهذه النحلة اللقيطة العميلة لإسرائيل[1]

٥-القاديانية:

ظهرت القاديانية في أواخر القرن التاسع عشر في الهند برعاية المستعمر الإنجليزي، الذي استغل الميرزا غلام أحمد القادياني المضطرب فكرياً وعقدياً[2] لتأسيس ديانة جديدة على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد ﷺ، وتغلغلت هذه الطائفة بين صفوف المسلمين في الهند على حين غفلة منهم، ومع بداية دولة باكستان المسلمة قام الإنجليز بتعيين وزير الخارجية القادياني ظفر الله خان على رأس الدولة الوليدة، الذي أدى دوراً كبيراً في التمكين للقاديانية في العالم الإسلامي.

ومن علماء المسلمين الذين تصدوا لهذه الفرقة المارقة محمد إقبال الذي يشترك مع مؤسس القاديانية في مسقط الرأس_ إقليم البنجاب_، وقمعت الحكومة الباكستانية حركة العلماء الذين تصدوا للقاديانية بوحشية وأصدرت عليهم أحكاماً تعسفية؛ فالمودودي صدر عليه حكم بالإعدام من المحكمة العسكرية في لاهور لتأليفه رسالة تعريفية بالقاديانية، ثم خفف الحكم إلى السجن أربعة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة. والحديث عن القاديانية وعمالتها وعقيدتها الباطلة والحكم الشرعي فيها مبسوط في كتب الفرق والمذاهب، وما يعنينا هنا هو موقفها من كتاب الله؛ فالتأويل المنحرف

---

(١) النمر، عبد المنعم، **النحلة اللقيطة البابية والبهائية: تاريخ ووثائق**، نقل الكاتب الوثائق القانونية من معركة البهائية والمتصدين لها في مصر، والتي استمرت لعقود وانتصر فيها البهائيون وانتزعوا اعترافاً بهم.

(٢) الذي أصيب في شبابه بلوثة عقلية ونوبات عصبية حادة وكان يتداوى من مرضه بالمسكرات والأدوية:

-**القاديانية**، رابطة العالم الإسلامي، ص٨.

لختم النبوة هو أهم ما يميز القاديانيين عن المسلمين؛ ففي معرض كلامهم عن آية الأحزاب ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحزاب: ٤٠) أصبح معنى (خاتم النبيين) لأول مرة في تاريخ المسلمين منذ عهد الصحابة (طابعهم)، بمعنى أن كل نبي سيظهر بعد النبي محمد ستكون نبوته مطبوعاً عليها بخاتم تصديقه ﷺ، وقد نقل المودودي نصوصاً كثيرة لهم في إثبات هذا التأويل الباطل ليفتحوا لهم باب ادعاء النبوة والوحي والرسالة لغلام أحمد القادياني، ومن تأويلاتهم الباطلة تأويلهم لآية: (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) يقول غلام أحمد: "هذه بشارة بأنه سيكون في هذه الأمة الإسلامية رجل في درجة مريم الصديقة، ثم ينفخ فيه روح عيسى أي إن الرجل ينتقل من صفات المريمية إلى صفات العيسوية، فكأنما كينونته المريمية أنتجت كينونته العيسوية، وبهذا المعنى يسمى الرجل ابن مريم"(١).

وإلحاد القاديانية في التأويل لا يخرج عن إلحاد أي فرقة باطنية تحاول إسقاط معتقداتها على كتاب الله.

والسؤال الآن في هذا المقام: ما الجديد في مجال الطعن في كتاب الله الذي أتت به القاديانية أو الأحمدية كما أطلقت على نفسها في بعض المناطق، تلبيساً وتغريراً بالعوام؟؟

المطلع على تاريخ ترجمة القرآن الكريم للغات الأخرى يستطيع أن يلمس هذا الحضور اللافت للنظر للترجمات القاديانية والحق أنه ليس حضوراً فقط، بل سبقاً في هذا المجال؛ فالترجمات العلمية للقرآن لم تَرَ النور إلا بعد انتشار ترجمات المستشرقين والقاديانيين، حفلت هذه الترجمات بالإسقاطات لعقائدهم الباطلة، وقد ذكر عبد

---

(١) القاديانية، رابطة العالم الإسلامي، ص١١٤.

الرحيم الكيداوي في دراسته هذه الترجمات للغة الإنجليزية وهي:

-ترجمة عبد الحكيم خان(بتيالا: ١٩٠٥م) ، وكان المترجم - كما يقول الدكتور الندوي - من أنصار القاديانية وأتباعها، ثم عاد إلى الإسلام من جديد[١].

- ترجمة محمد علي [٢](لاهور: ١٩١٧م) الذي كان يذهب في ترجمته للقرآن مذهب الترجمة الحرفية، ثم يضع في أسفل الصفحة حواشي يؤول فيها ماترجمه تأويلاً قاديانياً، مثل فعله مع قوله تعالى(إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله) أنكر محمد علي في تأويلها منحى إنكار المعجزات، وتصرف في معانيها .

-ترجمة شير علي(Sher Ali)(الربوة: ١٩٥٥م).

-ترجمة كمال الدين ونذير أحمد (Kamaluddin and Nazir Ahmad) (لندن: ١٩٤٨م).

-ترجمة صلاح الدين بير(Salahuddin Peer) (لاهور:١٩٦٠م).

-ترجمة مالك غلام فريد(Malik Ghulam Farid)(الربوة:١٩٦٢م).

-ترجمة خادم رحمن نوري(Khadim Rahman Nuri)(١٩٦٤م).

-ترجمة فيروز الدين روحي(Firozuddin Ruhi)(كراتشي:١٩٦٥م).

لم تقتصر ترجمات القاديانية للقرآن إلى اللغة الإنجليزية، وتجاوزتها إلى إفريقيا،

---

(١) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ترجمات قاديانية:
http://www.qurancomplex.org/Display.asp?section=8&l=arb&f=wrong_trn3008&trans=3

(٢) ومحمد علي هو زعيم القسم اللاهوري من القاديانية ، فالقاديانية بعد غلام أحمد وخليفته انقسمت شعبتين شعبة قاديان برئاسة محمود بن غلام أحمد وشعبة لاهور برئاسة محمد علي.

وتعد أول ترجمة للقرآن للغة السواحلية بعد ترجمة المبشرين، هي ترجمة قاديانية، قام بها الميرزا مبارك أحمد الأحمدي(نيروبي:١٩٥٣م) وتشتمل هذه الترجمة التي تقع في ١٠٦٢ صفحة على النص العربيّ للقرآن مطبوعاً في جانب من جوانب كلّ صفحة، وتقابله الترجمة السواحليّة. حاولت الترجمة السابقة إيهام العوام أنها ترد على شبهات أول ترجمة للقرآن للغة السواحلية، التي قام بها القسيس (ديل) وبهذه الذريعة -ذريعة الذب عن القرآن-دفعت هذه الترجمة شبهات لتروج لأخرى، واعتمد الأحمديون كثيراً في ترجمتهم على ترجمة (ديل)، وظهرت عقائدهم المنحرفة جلية في هذه الترجمة.

وقد كتب الشيخ عبدالله صالح الفارسي رداً على هذه الترجمة وفندها في كتابه (انحراف الترجمة القاديانية)، وبدأ الشيخ في ترجمة كتاب الله إلى اللغة السواحلية بعد أن كانت فكرة الترجمة مرفوضة عند الأفارقة، وكان الشيخ كلما أنهى ترجمة جزء يقوم بنشره، وقامت المؤسسة الإسلامية في نيروبي بطبع الترجمة كاملة في مجلد واحد سنة ١٩٦٩م، ثم أعيد طبعها وتوزيعها بأمر من رئيس المحاكم الشرعية في قطر١٩٨٢م.

ليس من قبيل المصادفة أن تتكرر القصة السابقة في ترجمة القرآن للغة اليوربائية الإفريقية[١]؛ القس(ميخائيل صموئيل كول) يترجم القرآن للغة اليوربائية، يتبعه القاديانيون لوضع ترجمة تروج لانحرافاتهم، وكأنها طريقة لنزع اعتراف الناس بترجمتهم.

تنبه المسلمون في نيجيريا لأهمية ترجمة القرآن وقام مجمع المسلمين في نيجيريا بتشكيل مجموعة لإنجاز ترجمة للقرآن، ونشرت هذه الترجمة بدعم من السيد أحمد بللو رئيس وزراء شمال نيجيريا وعضو مجلس مؤسّسي رابطة العالم الإسلاميّ.

---

(١) تقطن قبائل يوروبا التي تنتمي إليها لغة يوروبا في غربي أفريقيا، وتتوزّع في جنوب نيجيريا، وسيراليون، وبنين، وتوگو وغانا. ويتمركز أكبر تجمّع لها في جنوبي نيجيريا. ويقرب عدد أفراد هذه القبائل من ٢٥ مليون نسمة، منهم خمسة ملايين مسلم .

ثمّ طُبعت ترجمة أخرى في السعوديّة في ٢٥ ألف نسخة وُزّعت بين المسلمين الأفارقة الناطقين باليوروبيّة، ثمّ أُعيد طبع هذه الترجمة في بيروت سنة ١٩٧٣م، وكان لهذه الترجمة دور مهمّ في فهم القرآن للناطقين باليوروبيّة، ممّا أدّى إلى سرعة نفاد النُّسخ في الأسواق، فأعيد طبع الترجمة مجدداً في السعودية في1977 م، وكان عدد النسخ المطبوعة ٢٠٠ ألف نسخة.

وتعد القاديانية الفرقة الأكثر نشاطاً في ترجمة القرآن؛ حيث أصدر القاديانيون ٥٤ ترجمة كاملة لمعاني القرآن في سبيل نشر عقائدهم، كان آخرها ترجماتهم السابقة للغات الإفريقية[1].

وقبل أن نغادر قراءتنا للقاديانية ينبغي أن نوضح أن رد الشبهات على النصارى وغيرهم من الطاعنين، منهج مطرد عند القاديانين وبه يكسبون ثقة الناس، فيتسنى لهم تمرير معتقداتهم المنحرفة[2]

٦-القرآنيون:

القرآنيون فرقة فكرية رفعت شعار(القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع)، واستتبع رفع هذا الشعار إنكار المصادر الأخرى للتشريع من السنة النبوية والإجماع وغيرها.

وإنكار حجية السنة النبوية ليس وليد العصر الحاضر، فالطعن في الصحابة منذ وقوع الفتنة الأولى، أدى إلى مخالفة الفرق الضالة جمهور المسلمين في عدالة الصحابة الذين هم رواة الحديث والتشكيك في عدالتهم هو تشكيك في روايتهم للحديث، و

(١) ملتقى أهل التفسير،تاريخ الدخول ٧/ ٧/ ٢٠١٢م، الشبه المثارة حول كلام الله العزيز والطعون فيه: استعراض تاريخي مجمل، الدكتور وليد بن بلهيش العمري.
http://www.tafsir.net/vb/tafsir10723 . /

(٢) ومن أمثلة هذا رد سليم الجابي القادياني على محمد شحرور في كتابه(القراءة المعاصرة للدكتور محمد شحرور مجرد تنجيم)، فرده هذا لإيجاد أرضية لتمرير معتقداته.

للخوارج قصب السبق في تحييد السنة عن فهم القرآن، وتبعهم الشيعة، وكان للمعتزلة موقف متضارب من قضية السنة النبوية، فهم بالعموم معترفون بحجية السنة ولكن تحكيمهم للعقل في النص، ورفعهم له إلى مرتبة أعلى من النقل، إضافة إلى إسقاط أصولهم الاعتزالية على مصادر التشريع، جعلهم ينكرون بعض الأحاديث الصحيحة(١).

واندثرت هذه الآفة الفكرية مع اندثار الفرق المنحرفة، لكنها ظهرت مجدداً في العصر الحاضر، فمع الغزو الفكري الذي دخل بلاد المسلمين تحميه سنابك خيل المستعمر، احتاج المستلَبون حضارياً وفكرياً إلى مرونة في التشريعات تسوغ لهم ولاءهم للمستعمر، وتبعيتهم الفكرية له، وتحررهم من الأحكام التكليفية، ولا يمكن أن يكون لهم ما يريدون إلا بإنكار حجية السنة وتأويل القرآن تأويلاً منفلتاً من الضوابط، وكان لرائد المدرسة العقلية الحديثة محمد عبده دور في التقليل من شأن السنة، منطلقاً من موقف يشبه موقف المعتزلة، فهو لم ينكر حجيتها، لكنه جعل العقل حاكماً على النص في مواطن كثيرة، وأسقط الكثير من أفكاره على النص مما اضطره لإقصاء الحديث النبوي، وما زال صدى دعوته إلى الآن بيننا، بالرغم من مخالفة تلميذه محمد رشيد رضا له بعد وفاته واتخاذه موقفاً أقرب إلى موقف السلف في تعظيم مكانة السنة التشريعية.

وظهر في الهند شعار(القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع) على يد سيد أحمد خان الذي نادى بتفسير القرآن تفسيراً ينسجم مع العقل والمنطق، وهما أداتان كفيلتان بفهم روح القرآن، وهذا الفهم هو ما ينبغي أن يتبعه المسلم لا حرفية القرآن(٢).

---

(١) أحمد، صلاح الدين مقبول، زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً، ينظر ص٣٣ وما بعدها.
للمزيد عن موقف هذه الفرق من حجية السنة النبوية وآثار إنكارها ينظر:
السباعي،مصطفى، السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي، ص١٣٠ وما بعدها.
(٢) أحمد، صلاح الدين مقبول، زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً، ينظر ص٧٣ وما بعدها.

وقد كان علماء الأمة بالمرصاد لهؤلاء، وظهرت المؤلفات تبعاً ترد شبهاتهم وتتعقبهم وتؤكد على حجية السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ويعد كتاب الدكتور مصطفى السباعي رائداً في بابه وللدكتور محمد أبو شهبة كتاب أسماه (دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين)، ولم تفلح ردود المسلمين في الحد من انتشار فكرة(القرآن وكفى) بين الناس، ويعد رائد الفكرة الآن أحمد صبحي منصور، الذي فصل من جامعة الأزهر في ١٩٨٧م بتهمة إنكار السنة، ثم أصبح لاجئاً سياسياً في أمريكا، وكل احتضان غربي للأفكار الهدامة يعني دخولها مرحلة التنظيم الفعلي وازدياد خطورتها، فمن موقع أهل القرآن الإلكتروني تابع أحمد صبحي منصور ترويج أفكاره الهدامة، وأصبح رئيساً لما يسمى المركز العالمي للقرآن الكريم، ولا نحتاج لكبير جهد وغزير علم لنقول إن كل ما يخرج عن هؤلاء الأدعياء هو خيانة للأمة، وتأييد لسياسة الغرب ومسوق لها، ويظهر هذا في أهداف موقعهم الإلكتروني، فمن الأهداف:" الاهتمام بالانفتاح على ثقافة الآخر المختلف عنا في الدين واللغة والعنصر والثقافة، ماذا يراه فينا من عيوب ومن مزايا. إن معرفة العيوب هي الأساس الحقيقي للإصلاح الجاد. ومهما قلناه عن أنفسنا من مزايا ومن عيوب، فإن صورتنا الحقيقية لا تكتمل إلا بأن نرى أنفسنا في عين الآخر، ماذا يراه فينا وماذا يقوله عنا.

يزيد من أهمية رأي الآخر فينا أنه الأكثر تحضراً ورقياً ، ولا بد من الاعتراف بهذا والإقرار به إذا كنا نريد الإصلاح الفعلي.......وفى النهاية فإننا جميعا نحن والآخر ـ إخوة ، فقد خلقنا الله تعالى من ذكر وأنثى وجعلنا شعوباً وقبائل لنتعارف ـ لا لنتقاتل ـ وأساس التعارف هو العلم والسلام . وأهل القرآن هم دعاة العلم والسلام والإصلاح بين الناس"(١).

---

(١) موقع أهل القرآن، البند الثالث من أهداف الموقع الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية، تاريخ الدخول ٥/ ٨/ ٢٠١٢م،http://www.ahl-alquran.com/arabic/aboutus.php.

هذا هو رأي القرآنيين؛ وهو أننا لا نملك مفاتيح الإصلاح سوى بالاعتراف بأفضلية الآخر وتفوقه الحضاري علينا ومن ثم رؤية صورتنا من خلاله.

إن الإطلاع على موقع أهل القرآن يظهر أن شعار(القرآن وكفى)الذي رفعه القوم، لم يرفعوه إلا للتخلص من كتاب الله بتأويله تأويلاً منحرفاً يخلصهم من ربقة أحكامه؛ فعلى سبيل المثال فسر أحمد صبحي منصور كلمة الثياب التي وردت في القرآن بالثياب الخارجية واستدل باستدلالات عقلية غريبة ليسوغ تعسفه في التفريق بين الثياب الخارجية والثياب الداخلية، ورتب نتائج لا علاقة لها بمقدمته التفسيرية؛ فقد انتقل من مفهوم الثياب إلى مفهوم الزينة ليقرر أن التبرج ممنوع داخل المنزل للنساء مأمور به خارجه، يقول:".. هذا داخل البيوت . أما خارجها وحيث يرتدي الناس الثياب (لباس الخروج) فالزينة للرجال والنساء مأمور بها عند الخروج لأي مسجد، أي مكان يمكن السجود فيه والصلاة فيه ، بشرط عدم الإسراف في الزينة . وهنا تأخذ الزينة حكم الطعام والشراب ، من حيث الحاجة لهما مع الحث على عدم الإسراف، يقول جل وعلا يخاطب البشر جميعاً: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأعراف: ٣١)، ولأن رب العزة يعلم أن هناك من سيحرّم الحلال، ومنها الزينة الحلال فقد قال الله جل وعلا مقدماً : ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأعراف: ٣٢)، وأوجز رب العزة المحرمات ، وجعل منها الافتراء على الله جل وعلا كذباً والتقوّل عليه بجهل والإشراك به: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأعراف: ٣٣)."[1].

---

(١) موقع أهل القرآن، باب القاموس القرآني، الثياب:

http://www.ahl-alquran.com/arabic/document.php?main_id=1595

هذا غيض من فيض ونحيل القارئ للموقع ليتبين من هم القرآنيون، وكيف جعلوا الآيات القرآنية مسرحاً لعمالتهم، وتبعيتهم الفكرية، وأفكارهم الملغومة.

٧-غلاة الصوفية:

يرجح الباحثون في الصوفية أن مصطلح التصوف لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة الأولى[1]، وقد اختلفوا في أصل كلمة (التصوف) ونقل عن القشيري قوله: لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس، والظاهر أنه لقب...، ويرى ابن خلدون أن أصل الكلمة إن قيل بالاشتقاق فهو من الصوف للبس القوم له، وابتعادهم عن فاخر الثياب، ومخالفتهم للناس في ذلك[2].

ويستقي الصوفية مبادئهم من أربعة مصادر رئيسة هي:

١-**الرهبنة المسيحية**: ومنها أخذوا التبتل، والزهد، وتفضيل الفقر، وترك الزواج، والابتعاد عن كل الشهوات الدنيوية بقطع النظر عن كونها حلالاً أو حراماً.

٢-**الديانات الهندية القديمة**: ومنها أخذوا وحدة الوجود، والحلول، والاتحاد، فلا يختلف اثنان في أن ما نادى به الحلاج وابن العربي وجلال الدين الرومي وغيرهم ممن سلك مسلكهم ونهج نهجهم هو مقتبس بل مأخوذ بتمامه من الفيدانتا الهندية.

٣-**الأفلاطونية الحديثة**: ومنها أخذوا نظرية الفيض والمحبة والمعرفة والإشراق.

٤-**الشيعة**[3]: ويظهر هذا الأثر للشيعة في :

---

(١) ظهير، إحسان إلهي، **التصوف المنشأ والمصادر**، ص٤٣ .ينظر أيضاً:
- ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر، القاهرة، ط٢، ١٤٣١م، ٢٠١٠م، ص٥٧٧

(٢) ابن خلدون، **المقدمة**، ص٥٧٧.

(٣) ظهير، إحسان إلهي، **التصوف المنشأ والمصادر**، ص١٤٧ وما بعدها.

أ-ترتيب الصوفية لسلسلة رجالاتها، فهو نفسه ترتيب الأئمة عند الشيعة.

ب-إمكان نزول الوحي وإتيان الملائكة للولي، وهذا ما قالته الشيعة بالنسبة للإمام المعصوم. إضافة إلى مساواة النبي بالولي، بل تفضيل الولي أحياناً كما يفضل الشيعة الإمام على النبي.

ج-النبوة لم تختم: ويعتقد الصوفية كما الشيعة أن النبوة لم تختم، والنبوة التي انقطعت هي فقط نبوة التشريع، أما مقام النبوة فهو باق دائم ما دامت السماوات والأرض، وبهذا فتحوا الباب على مصراعيه لكل متنبئ كذاب.

د- العصمة: ومن العقائد التي أخذها الصوفية من الشيعة العصمة، فالولي معصوم كما الإمام معصوم.

هـ- عدم خلو الأرض من الحجة، ووجوب معرفة الإمام، والولاية والوصاية، والحلول، والتناسخ، والتقية.

و-تتفق مصطلحات المراتب الصوفية مع الشيعة والإسماعيلية: ومن هذه المصطلحات الأبدال والأقطاب والأوتاد والعرفاء والنجباء والنقباء وسيدهم الغوث؛ هذه الكلمات تدل على مدينة الأرواح التي اختلقها الصوفية، وهذه المصطلحات الغريبة هي مراتب سكانها وأنواعهم.

ز-الظاهر والباطن: فمن معتقدات الصوفية كذلك الظاهر والباطن،فالصوفية من الفرق الباطنية وهم يؤمنون بأن علم الباطن هو علم القلب وهو عينه علم التصوف، ويعتقدون بأنه علم شريف نفيس، بل هو عندهم أجل العلوم وأشرفها، وهو الزبدة الممخوضة من الشريعة التي لم تبعث الأنبياء عليهم السلام إلا لأجلها، وهو علم طريق الآخرة.

ويعتقد الصوفية أن أهل الظاهر هم أهل الشريعة، وأهل الباطن هم أهل الحقيقة.

ولا شك أن حاجة الصوفية لعلم الباطن حاجة ضرورية ملحة لأنهم مهما حاولوا أن ينسبوا مذهبهم للإسلام فلن يجدوا مستنداً لهم من الكتاب والسنة، يقول نيكلسون:" لا يمكن أن يكون القرآن أساساً لأي مذهب صوفي، ومع ذلك استطاع الصوفية متبعين في ذلك الشيعة أن يبرهنوا بطريقة التأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلاً يلائم أغراضهم، على أن كل آية، بل كل كلمة في القرآن تخفي وراءها معنى باطناً لا يكشفه الله إلا للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعاني في قلوبهم أوقات وَجدِهِم.

ومن هنا نستطيع تصور كيف سهل على الصوفية بعد أن سلموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلاً لكل قول من أقوالهم، أو نظرية من نظرياتهم أياً كانت، وأن يقولوا إن التصوف ليس في الحقيقة إلا العلم الباطن الذي ورثه علي بن أبي طالب عن النبي، ويلزم هذا المبدأ أيضاً (مبدأ التأويل) أن تأويل الصوفية لتعاليم الإسلام قد يأتي على أنحاء وأشكال لا حصر لعددها، وربما أدى إلى تناقض في العبادات والمسائل العملية.

وكل ذلك مفروض صدقه في النوع لا في الدرجة، لأن معاني القرآن لا حصر لها، وهي تنكشف لكل صوفي بحسب ما منحه الله من الاستعداد الروحي.

ولهذا لم تتألف من الصوفية فرقة خاصة، ولا كان لهم مذهب محدد يصح أن نسميه مذهب التصوف، بل إن التعريفات العدة التي وضعت للفظ التصوف نفسه لتدل على تعدد وجوه النظر في فهم معناه.

كذلك الحال في موقف الصوفية من الشريعة فإن هذا الموقف يختلف بحسب حال كل صوفي. ولذلك تجد بعضهم قام بشعائر الدين بكل دقة بالرغم من أنهم يعتبرون أن صور العبادات ليس لها من القيمة ما لأعمال القلوب، وآخرون منهم قالوا برفع التكاليف الدينية وتحرروا من القيود الشرعية.."[1]. والحق أن حاجة الصوفية للتأويل

---

(١) ينظر قول نيكلسون في كتاب: -ظهير، إحسان إلهي، التصوف المنشأ والمصادر، ص٢٥١، ص٢٥٢.

الباطني لا تقتصر على حاجتهم لمستند لمذهبهم، بل تتعداه إلى الحاجة إلى تسويغ مصطلحاتهم الإلحادية؛ فإن رماهم الناس بالكفر بسببها قالوا بتأويلها تأويلاً باطنياً.

يشبه الصوفية في تأويلاتهم الباطنية الإسماعيلية، ومن أمثلة تأويلهم الباطني قول ابن عطاء الإسكندري نقلاً عن مشايخه في: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ (الشورى: ٤٩) الحسنات، ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ (الشورى: ٤٩) العلوم، ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ (الشورى: ٥٠) علوماً وحسنات، ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ (الشورى: ٥٠) لا علم له ولا حسنة.

وقوله في: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ (البقرة: ٦٧) بقرة كل إنسان نفسه والله أمر بذبحها.

وقال الجيلي مفسراً قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ١﴾ (الإنسان: ١) يعني قد أتى على الإنسان حين من الدهر، والدهر هو الله، والحين تجلي من تجلياته، ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا﴾ يعني أن الإنسان لم يكن شيئاً ﴿مَّذْكُورًا﴾، ولا وجود له في ذلك التجلي لا من حيث الوجود العيني ولا من حيث العلمي، لأنه لم يكن شيئاً مذكوراً فلم يكن معلوماً، وهذا التجلي هو أزل الحق الذي لنفسه"[1]. ويؤول الجيلي كذلك الصلاة والزكاة والصوم والحج تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان تشبه تأويلات الإسماعيلية؛ فالحج عنده هو استمرار القصد إلى الله تعالى، والإحرام ترك شهود المخلوقات، ومكة هي المرتبة الإلهية، والكعبة هي الذات، والحجر الأسود هو اللطيفة الإنسانية.

وإلحاد غلاة الصوفية في التأويل أكثر من أن نغطيه هنا لضيق المقام، وأبلغ ما قيل عن تأويلاتهم هو أنهم يحولون القرآن بمنهجهم الخطير في التأويل إلى قرآن جديد[2].

---

(١) مصدر سابق، ص٢٥٣

(٢) ظهير، التصوف المنشأ والمصادر، ص٢٥٥.

هذه الفردانية في الكشف عن المعاني القرآنية واعتماد الصوفية على الذوق والمواجيد جعلهم فرق كثيرة بعدد مشايخهم، ومن هذه الفرق في الوقت الحاضر: الرحمانية في الجزائر، البودشيشية في المغرب، المريدية في السنغال، الرفاعية، النقشبندية، الشاذلية، الختمية ، الملامتية، التيجانية، السنوسية، الديوبندية في الهند، والسمانية في السودان، وغيرها من الفرق الصوفية الكثيرة[1]، إلا أن هذا التعدد للفرق الصوفية لم يمنع من محاولات عدة لإدخال هذه الفرق مرحلة التنظيم الفعلي، مثل المجالس العليا للتصوف، لكن هذه المحاولات لم تحقق المأمول منها لارتباط الصوفية بالمشيخة؛ فما إن يموت الشيخ حتى تثار النزاعات على المشيخة وينتهي الأمر بشيخ جديد وطريقة جديدة.

انتهج الصوفية خطاً مسالماً بل هو أقرب إلى تسميته ممالئاً للسلطات السياسية في البلدان الإسلامية، وكانت للصوفية في الأعم الأغلب أدوار مشبوهة مع الاستعمار على مر العصور، هذا الوجه الاستسلامي للإسلام الصوفي أثار اهتمام أمريكا؛ فالصوفية شأنها شأن الفرق المنحرفة يمكن أن تكون أداة طيعة في يد الغرب لتفكيك الإسلام، وتستحق العلاقة بين الصوفية في العالم الإسلامي و أمريكا بحثاً مستقلاً للوقوف على أبعاد هذه العلاقة وآفاقها، سواء في مصر أو دول الخليج، أو المغرب، أو الجزائر، أو الأردن، أو غيرها من الدول، إلا أن النظر الأولي ينبئ عن دعم أمريكي للصوفية، ويمكننا القول أن هذا الدعم يخدم جملة من الأهداف السياسية لواشنطن ومن هذه الأهداف:

- رغبة واشنطن والغرب في إبراز وتعزيز الجانب السلبي الاستسلامي، الذي تمثله

---

(١) للمزيد عن طرق الصوفية في العصر الحاضر ينظر:

-موقع الصوفية، الطرق الصوفية، تاريخ الدخول ٢٦/ ٨/ ٢٠١٢:

http://www.alsoufia.com/main/articles.aspx?article_no=832

النزعة الصوفية، التي توهن من عضد الأمة، ورغبتها في كسر قيود الهيمنة الأمريكية والغربية على مقدراتها وثرواتها .

-تغريب الإسلام عن أصوله الصحيحة لإدراك الغرب أن الإسلام الصافي أو الخالي من الشوائب، هو القوة الوحيدة التي تعيق المشاريع الغربية الهادفة إلى الهيمنة على مقدرات الأمة، وليس أقدر من الصوفية على تأدية هذا الدور .

-الترويج للإسلام الصوفي عالميًا، بهدف إعطاء صورة سلبية عن الإسلام الصحيح، ومن ثم تشويه وجه الإسلام الحقيقي بخزعبلات وضلالات المتصوفة الأمر الذي ينفر غير المسلمين من اعتناق الدين الإسلامي .

- محاربة الأصولية السلفية "الوهابية"بالطرق الصوفية عبر تصوير الوهابية بأنها أصل التطرف والإرهاب، وتصوير الصوفية بأنها أصل التسامح وقبول الآخر وحوار الثقافات والأديان"(١).

واحتلت الردود على الصوفية حيزاً كبيراً في المكتبة الإسلامية.

---

(١) توبياس هيلمستروف، وياسمين سينر، وإيميت توهي، **فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية**، مركز نيكسون لدراسة السياسة العامة، واشنطن، (ترجمة: مازن مطبقاني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض)، مارس ٢٠٠٤

- موقع صوفية حضرموت، التصوف الخليجي ... الخصائص والسمات وخريطة الانتشار مصطفى شفيق علام. تاريخ الدخول ٢٦/ ٨/ ٢٠١٢.

http://www.soufia-h.net/showthread.php?t=12647

المبحث الثاني

أهم المطاعن والشبهات على القرآن في العصر الحاضر ومناهج دفعها:

بالرغم من أن العصر الحاضر هو بحر متلاطم الأمواج بالمناهج، وبالرغم من أن المعركة مع الطاعنين الآن هي معركة مناهج، إلا أن الشبهات المثارة لم تختلف عن شبهات القرون الأولى، ومهما كثرت وتعددت المطاعن إلا أنها لا تخرج عن ثلاث مطاعن رئيسة، يندرج تحتها عشرات الجزئيات أولها:

١-إنكار المصدر الإلهي للقرآن:

وإنكار المصدر الإلهي للقرآن عن طريقين:

أ-محاولة إثبات أن أسلوب القرآن ولغته وتعاليمه وأحكامه وتشريعاته وقصصه متأثرة بعوامل خارجية مثل المسيحية واليهودية أو الشعر الجاهلي وغيرها، ولغته متأثرة باللغات الأخرى مثل السريانية، إضافة إلى شبهة مخالفته للحقائق التاريخية.

وتتكفل العلوم التي أرسى دعائمها علماء المسلمين بدفع هذه المطاعن مثل علم مقارنة الأديان، إضافة إلى علم التاريخ الذي يثبت بما لا يدع مجالاً للشك التناقضات التاريخية التي حفلت بها كتب اليهود والنصارى، وعصمة كتاب الله وخلوه من هذه التناقضات، وقد كتب لإثبات عصمة القرآن الدكتور لؤي فتوحي والدكتورة شذى الدركزلي كتاباً باللغة الانجليزية في ١٩٩٩م بعنوان(**التاريخ يشهد بعصمة القرآن الكريم: تاريخ بني إسرائيل المبكر**) عن تاريخ بني إسرائيل المبكر أثبتا فيه عصمة كتاب الله من خلال المزاوجة بين علم مقارنة الأديان وعلم التاريخ، وقد صدرت النسخة العربية من الكتاب في ٢٠٠٢م. إضافة إلى الدراسات الأسلوبية واللغوية التي لا تدع مجالاً عند عاقل للشك أن هذا القرآن رباني المصدر ومعجز ومتفرد عن غيره من النصوص.

وقد شهد عصر العلم تصاعداً في شبهة تناقض كتاب الله مع الحقائق العلمية؛ ولا شك أن نظرة إلى الجهود المبذولة في التأصيل والتنظير والتطبيق للإعجاز العلمي، تنبئ عن الحيز الذي احتله هذا العلم في الانتصار لكتاب الله من هذا المطعن[1]، والمتبنون للإعجاز العلمي يعدونه من الوسائل المهمة لإثبات المصدر الرباني للقرآن، لا سيما في هذا العصر الذي شهد انفجاراً علمياً وتقنياً ومعرفياً، ولا يزال هذا العلم بحاجة إلى المزيد من التأصيل والضبط لحمايته من عبث العابثين، وتهور المفتونين بهذه القضية[2].

ب-الطعن في شخص النبي عليه الصلاة والسلام وإنكار الوحي:

وتتلخص المطاعن في شخص النبي عليه الصلاة والسلام في ثلاثة مطاعن رئيسة، وهي أنه عليه الصلاة والسلام كان مخادعاً كاذباً، أو كان واهماً مخدوعاً، أو مريضاً بمرض عصبي، ولم تتجاوز الردود على هذه المطاعن ما جاء به القرآن ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٦٩).

فدراسة متأنية لشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وتاريخ حياته منذ ولادته حتى البعثة وتاريخ حياته بعد البعثة يدحض هذه المزاعم، إضافة إلى إخضاع شخصية

---

(١) الجيوسي، عبد الله محمد، **الجهود المبذولة في دراسة الإعجاز قديماً وحديثاً: دراسة إحصائية تقويمية**، بحث مقدم لمؤتمر الإعجاز القرآني، جامعة الزرقاء الأهلية، ٢٠٠٥م.ينظر أيضاً كتاب:
-النجار، زغلول، **مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة**، تحدث الكاتب في الفصل السادس عن واقع وآفاق الإعجاز العلمي والجهود المؤسسية لخدمة هذا العلم ص١٥٩ وما بعدها.

(٢) المطيري، عبد المحسن، **دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها**، ينظر ص٣٧١ وما بعدها فقد أورد الكاتب بعض المطاعن على كتاب الله والشبهات التي تثار حول مخالفته لحقائق العلم التجريبي وردها، وذكر أن دعوى مخالفة القرآن للحقائق العلمية شبهة قديمة من القرون الأولى للإسلام، إلا أنها بلغت أوجها في عصر الانفجار العلمي في الغرب وسيادة المنطق المادي على العلوم الطبيعية والإنسانية.

النبي عليه الصلاة والسلام للدراسات والتحليلات النفسية التي أرساها العلم الحديث، كفيل برد كل ما يثار على شخصه الكريم من شبهات[1].

أما عن قضية التشكيك في الوحي الإلهي فقد ذكرنا سابقاً استحالة مقاربة ما هو غيبي بمنهج مادي، والوحي الإلهي أمر غيبي فكيف يمكن إثبات قضية غيبية بمناهج مادية؟؟ الحق أن هذا ضرب من المستحيل إلا أن إثبات الوحي الإلهي يمكن أن يتم عن طريق استبعاد أي تفسير مادي لظاهرة الوحي؛ هذا الاستبعاد يلزم الطرف المقابل بتفسير غير التفسير المادي، ثم نقوم بعد إقصاء التفسيرات المادية لظاهرة الوحي بإثبات الإمكان العقلي للتفسيرات الغيبية لهذه الظاهرة، فلا يبقى عند المشكك والطاعن سوى الاعتراف بأن ما يسمى الوحي هو شيء ممكن عقلاً، وموجود حقيقة، وهو خارج عن دائرة الإدراك المادي، وهذا الشيء هو ما يسميه المؤمنون الوحي الإلهي.

٢-الإلحاد في التأويل والتأويلات الباطنية للفرق المنحرفة:

ولا يختلف الإلحاد في التأويل والدعوة إلى التأويل الباطني في أهدافه عن إنكار المصدر الرباني للقرآن، فالهدف واحد وهو التحرر من سلطة النص القرآني.

وهذا الإلحاد في التأويل والدعوة إلى التأويل الباطني وفصل الاسم عن المسمى، أو الدال عن المدلول ليس وليد العصر الحاضر إذاً ما الجديد في هذا العصر؟ الجديد هو إعادة إنتاج آليات جديدة للإلحاد في التأويل، ومن هذه الآليات:

أ-أرخنة النص القرآني: وهذا يعني أن الآيات القرآنية متصلة بظروف وبيئة نزولها وبسياقها التاريخي، وهذا لا يقتصر عند الطاعنين بالقرآن على آيات الأحكام بل

---

(١) عوض، إبراهيم، مصدر القرآن: دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي، ينظر من ص١١ إلى ص١٨٣.

يتجاوزه إلى العقيدة، وترافق هذا مع الدعوة إلى تجديد فهم كتاب الله لاستخلاص أحكام جديدة تناسب كل عصر، وهذه الأرخنة أبقت على ربانية القرآن ظاهرياً وأوقفت العمل بأحكامه والاحتجاج به.

ب-**أنسنة النص القرآني**: أي فصل النص عن مصدره الإلهي، فالنص القرآني عند هؤلاء الملاحدة منذ لحظة نزوله انتقل من الوضع الإلهي إلى الوضع الإنساني، وانخرط في التاريخ البشري وخضع للتطورات التاريخية، وبهذا يدرس مثل نص عادي ويفقد قدسيته؛ فهو نص لغوي مثل أي نص يخضع للدراسات النقدية، وشأنه شأن أي نص أدبي لا يمكن فهمه إلا في سياقه الثقافي.

ج-**عقلنة النص القرآني**: وهذا يعني التعامل مع الآيات القرآنية بكل وسائل النظر والبحث التي توفرها المنهجيات والنظريات الحديثة الاجتماعية والنظريات النقدية والفلسفية والانثروبولوجية، وبرأي الطاعنين فإن هذا لا يتم إلا بالتوقف عن الاعتقاد بأن القرآن وحي من عالم الغيب.

ودفعت هذه العقلنة الطاعنين إلى نقد العلوم النقلية من تفسير وعلوم قرآن وغيرها، ومما ثلة القرآن بغيره من الكتب الدينية، مثل التوراة والإنجيل، وهذا أدى إلى مقاربته بالمناهج نفسها التي درست هذه الكتب[1].

٣-التشكيك في وثاقة نسخ المصحف وجمعه ونقله وسلامته من التحريف والزيادة والنقص:

وقد تصدى الباقلاني لهذه الشبهات في كتابه الانتصار، الذي ضمنه دراسات عن تناسب السور وتاريخ جمع القرآن والقراءات والأحرف السبعة، وما إلى ذلك مما هو

---

(١) للمزيد عن الاستراتيجيات التي اتبعها الطاعنون في تنفيذ آليات الإلحاد في التأويل ينظر كتاب:
-عبد الرحمن، طه، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ينظر ص١٧٧ وما بعدها.

عظيم النفع في الدفع عن كتاب الله، وفي العصر الحاضر أسهمت الدراسات الموضوعية والأسلوبية، والدراسات التي عنيت بالتناسب بين الآيات والسور وقضايا السياق القرآني، وتحقيق الروايات في دحض هذه المفتريات عن كتاب الله.

المبحث الثالث

الانتصار للقرآن في الوقت الحاضر لمحة عامة

لم تدخر الأمة وسعاً في الدفاع عن كتابها فلم يخرج طاعن ينعق إلا وتعقبته الأمة وعلماؤها بالرد والأخذ على فكره المنحرف، ولم يُؤلَّف كتاب يطعن في القرآن، إلا وأُلِّف عليه كتبٌ لدفع مطاعنه، ويُعَدُّ رصد وتقويم الجهود المبذولة في الانتصار لكتاب الله من الحاجات المرحلية المهمة.

-أسباب صعوبة رصد وتقويم المؤلفات في الانتصار للقرآن :

تحتاج عملية رصد وتقويم هذه الجهود في دفع المطاعن عن كتاب الله لجهد مؤسسي وذلك لعدة أسباب نجملها فيما يلي:

١-العدد الكبير لهذه المؤلفات.

٢-المؤلفات في أغلبها جهود فردية و يحتاج رصد وتقييم الجهود الفردية على امتداد قرن من الزمن إلى جهد مؤسسي.

٣-انتشار دفع المطاعن عن كتاب الله في بطون كتب لا يدل عنوانها على ما فيها .

٤-تشعب وتعدد الدراسات النقدية لجهات الطعن، فلم يقتصر دفع المطاعن على المتخصصين في الدراسات القرآنية، بل تعداها إلى متخصصي اللغة العربية والفلسفة وغيرهم من المفكرين الإسلاميين؛ مثل كتاب يوسف الصيداوي (**بيضة الديك : نقد لغوي لكتاب : الكتاب والقرآن**)، وكتاب طه عبد الرحمن(**روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية**) بل قامت دراسات نقدية بين الطاعنين أنفسهم مثل الدراسات التي قام بها أركون وطرابيشي وحنفي والجابري وغيرهم، والبعض يصنف هذه الدراسات وكأنها نقد لمناهج المستشرقين والمستغربين؛ وهي ليست

كذلك بل انصب أغلب الدراسات على نقد أحد المناهج المادية الإلحادية الغربية انتصاراً لمنهج غربي آخر، وهذا يشبه إلى حد ما السجالات الفكرية بين المناهج المادية نفسها، ونقدها في الغرب نفسه.

٥ -احتواء الكثير من أبحاث الدراسات القرآنية التأصيلية على دفع الشبهات عن القرآن، والانتصار له مما يتعذر حصره.

-الفئات التي استهدفها الانتصار للقرآن :

استهدف الانتصار للقرآن أربع فئات هي: اليهود والنصارى، المستشرقون، المستغربون، الفرق المنحرفة.

١ - الانتصار للقرآن من اليهود والنصارى:

ومن الأسماء التي برزت في دفع مطاعن أهل الكتاب:

- رحمت الله الهندي في كتابه (**إظهار الحق**)، ويظهر أثر هذا الكتاب جلياً في مناظرات الشيخ أحمد ديدات للنصارى.

-الدكتور منقذ السقار، الذي كتب (**تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين**)و(**شبهات النصارى حول الإسلام**) ، وقد دفع الدكتورعن كتاب الله، وانتصر له من شبهات النصارى[1].

-الدكتور صلاح الخالدي في كتابه (**القرآن ونقض مطاعن الرهبان**)؛ ذكر فيه أنه خصص هذا الكتاب للانتصار للقرآن والدفاع عنه أمام هجمات أعدائه الذين انتقصوه وخطؤوه، وأثاروا حوله الشبهات، ووجهوا له الاتهامات، وتعاملوا معه

---

(١) للإطلاع على مشروع الدكتور منقذ السقار ينظر موقعه (طريق المسيح)على الشبكة العنكبوتية، فقد حوى الموقع على جميع مناظرات الدكتور وتسجيلاته ومؤلفاته .http://www.tojesusway.com

بعداوة وتحامل.وذكر الكاتبُ الباعثَ على تأليف الكتاب، وهو الرد على كتاب (هل الكتاب معصوم)، وقد صدر الكتاب عن مؤسسة تنصيرية بالنمسا باسم (عبد الله فادي) وطبعته الأولى كانت في ١٩٩٤م، ويعتقد الدكتور صلاح أن هذا الاسم مزعوم وأن مؤلف الكتاب هم مجموعة .

ويقول الدكتور الخالدي إن الذي دفعه للرد، هو أن الكتاب يمثل خلاصة جهود النصارى فالرد عليه رد عليها.

٢-الانتصار للقرآن من مطاعن المستشرقين[١]:

أصدر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية حصراً وراقياً للدكتور علي النملة جمع فيه الدراسات النقدية للاستشراق بلغت قرابة الألفين وعاء، ويعتقد الدكتور أنه سيزيد فيها حتى تبلغ الثلاثة آلاف.

الأوعية التي اختصت فيها بالانتصار للقرآن بشكل خاص لم تتجاوز مئة وستة، والبحث الأولي يثبت أن مؤلفات الانتصار لكتاب الله من مطاعن المستشرقين أكثر من هذا، إذ يتعذر على الباحث معرفة الكتاب من عنوانه فقط فكتاب محمد قطب (دراسات قرآنية) وكتاب محمد عبدالله دراز (مدخل إلى القرآن الكريم :عرض تاريخي وتحليل مقارن)، كتب عنيت بالرد على المستشرقين وهدم دعواهم.

٣-الانتصار للقرآن من مطاعن المستغربين:

ومن الردود على المستغربين الأوائل ردود مصطفى صادق الرافعي على مطاعن طه حسين، ومن كتبه (**تحت راية القرآن**) وكتاب (**تاريخ آداب العرب**) نافح بهما عن كتاب الله واللغة العربية وله كتاب كذلك في الإعجاز.

---

(١) وقد فصلنا مطاعن أهل الكتاب عن المستشرقين تمشياً مع زعم المستشرقين علمانية وعلمية وموضوعية أبحاثهم مع مخالفة هذا الزعم للحقيقة .

والردود على المستغربين الجدد كثيرة جداً، منها ماتناول المطاعن عند مستغرب بعينه، مثل ردود منصور أبو شافعي الذي كتب (**العلمانيون ومركسة الإسلام: الرد على سيد القمني**)و(**العلمانيون وأنسنة القرآن:الرد على خليل عبد الكريم**)، ومنها ما تناول دراسة ظاهرة المستغربين ونقض أسسها، مثل كتاب الدكتور الجيلاني مفتاح (**الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم: دراسة نقدية**)، وسأذكر بعض هذه المؤلفات عند الحديث عن طرق التأليف في الانتصار لكتاب الله.

٤-الانتصار للقرآن من الفرق المنحرفة :

ومن هذا المؤلفات التي عنيت بالفرق والمذاهب المعاصرة، والتي حوت موقف هذه الفرق من القرآن وردوداً عليها.

ومن الأسماء التي لمعت في سماء الانتصار من مطاعن الفرق اسم إحسان إلهي ظهير ومن كتبه:

١-الشيعة والقرآن.

٢-القاديانية: دراسات وتحليل.

٣-الإسماعيلية: تاريخ وعقائد.

٤-البابية: عرض ونقد.

٥-البهائية: نقد وتحليل.

٦-التصوف: المنشأ والمصادر.

-طرق التأليف في الانتصار للقرآن في الوقت الحاضر[1]،

١-مؤلفات عنيت بالرد على إحدى جهات الطعن، وتفنيد مزاعمها، ونقض أسسها:

ومن ذلك :

أ-الرد على ظاهرة الاستشراق ومطاعنها عموماً مثل :

-**الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات القرآنية**،الدكتور ساسي سالم الحاج، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط١، ١٩٩١م، ٢مج،٤ج. غطت الدراسة ظاهرة الاستشراق أصلها ونشأتها، مراحلها ومدارسها، مناهجها وخصائصها، وخصص الكاتب أكثر من ١٤٠ صفحة، لدراسة مطاعن المستشرقين على القرآن، ورد عليهم بالحجج العقلية والنقلية.

-**آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**، عمر بن إبراهيم رضوان،دار طيبة،٩٧٢صفحة.وقد ناقش الكاتب شبهات المستشرقين حول مصدر القرآن و نصه، وشبهات حول جمع القرآن وإعجازه وأسلوبه، وشبهات حول القراءات، ورد الكاتب هذه الشبهات .

-**المستشرقون والقرآن**، د. إسماعيل سالم عبد العال، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة،١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

-**المستشرقون والقرآن**،عمر لطفي العالم، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، الطبعة الأولى ،١٩٩١م.

-**المستشرقون والدراسات القرآنية**، محمد حسين علي الصغير، ط١، دار المؤرخ

---

(١) اختيار الكتب دون غيرها ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو فقط على سبيل ضرب المثل ولا يعني أن المؤلفات التي ذكرناها هي أهم من غيرها .

العربي ، بيروت،١٩٩٩م،١٨٤صفحة.

- **مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم**، محمد مهر علي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،٢٠٠٠م (ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه).

-**القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي(دراسة نقدية تحليلية)**، محمد أبو ليلة، دار النشر للجامعات، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ٤٢٤صفحة. والكتاب جاء بتكليف من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكوISESCO)، واعتمد الكاتب في رصد مطاعن المستشرقين على دائرة المعارف البريطانية.

ب- الرد على ظاهرة المستغربين عموماً ومن هذه المؤلفات:

-**الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم دراسة نقدية**، الدكتور الجيلاني مفتاح، دار النهضة ،سورية،الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م، ٣١٧ص.

وهي دراسة نقدية جيدة للظاهرة الحداثية، قام فيها المؤلف برصد تاريخي للظاهرة الحداثية، وأوضح مراحلها التي مرت بها، وتناول المؤلف موقف المستغربين من القرآن وعلومه، وكشف عن عوار منهجهم في فهم القرآن، وجمع عدداً من تطبيقاتهم العقدية والفقهية، وأثبت الكاتب عن طريق النقض الداخلي غياب الدليل عندهم، والتناقض، والانتقائية، وتجاوز الحقائق التاريخية، ومخالفة قطعيات النصوص الشرعية. ويؤخذ على دراسة الدكتور الجيلاني بعض المآخذ، فمن أهداف الدراسة كما صرح الكاتب كشف العوامل الفكرية خلف ظهور الحداثيين، ولكن هذا لم يحصل، وتم فقط الكشف عن العوامل التاريخية والسياسية التي أسهمت في وجود هذه الظاهرة . الدراسة لم تموضع الظاهرة في سياقها الغربي، وإن كانت أشارت إلى أن المناهج التي استخدمها الحداثيون هي مناهج غربية، وبهذا أهملت الدراسة أصول الفلسفات والمناهج التي يستخدمها الحداثيون واكتفت بنقد الاستعمالات

والتطبيقات، مما جعلها تغفل التبعية المطلقة للغرب عند الفكر الحداثي، وجعلها تضخم أهمية العوامل المحلية الداخلية في بلورة الفكر الحداثي.

-**العلمانيون والقرآن الكريم:تاريخية النص**، د.أحمد إدريس الطعان ،ابن حزم، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ٨٨٦صفحة، وهي دراسة شاملة غطت ظاهرة الحداثة.

٢-مؤلفات اختصت بمدرسة استشراقية واحدة مثل:

-**آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم**، أحمد نصري، ط١، الرباط، ٢٠٠٩م، ٢٦٩ صفحة.

-**آثار مدرسة الاستشراق الألمانية في الدراسات القرآنية**، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،٢٠٠٩م، هذه الدراسة وإن كانت ليست في ردود الشبهات، إلا أنها عظيمة النفع فيه، فهي تلقي الضوء على حجم ما نشره المستشرقون الألمان حول القرآن الكريم وتفسيره وعلومه وتاريخه وأعلامه . وهي تمهد الطريق لدراسة نقدية علمية لما كتبوا وأنصفوا فيه القرآن الكريم وعلومه من جهة، وما تجاوزوا فيه وأخلوا بالمنهج العلمي أو قصرت أفهامهم أو لغتهم عن إدراكه من جهة أخرى.

-**موقف الاستشراق البريطاني من علم التفسير**، زكريا علي الخضر، رسالة دكتوراه (٢٠٠٧م)، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، قسم أصول الدين.

٣-مؤلفات اختصت بالرد على كتاب، أو طاعن بعينه، أو فرقة مخصوصة:

أ-الرد على مستشرق بعينه أو كتاب كتبه مستشرق مثل:

-**الآيات المبتدعة في قراءة جاك بيرك الاستشراقية للقرآن**، بو شعيب راغين، مجمع

الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٦م(ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية).

من معارك الاستشراق ضد المصحف الشريف...ترجمة جاك بيرك بين المادحين والقادحين، إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة، الكتاب صغير في حجمه كبير في قيمته ومحتواه، تناول فيه الدكتور إبراهيم عوض بالنقد ترجمة المستشرق الفرنسي الشهير جاك بيرك للقرآن الكريم التي صدرت في عام ١٩٩٠م، ذكر المؤلف في مقدمة كتابه أن الدراسة تدور حول ترجمة جاك بيرك للقرآن الكريم، وما فيها من محاسن ومآخذ مقارنة بغيرها من الترجمات.

-**الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي**، الدكتور عبد العظيم المطعني، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،مصر، المنصورة، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، والكتاب كتب رداً على كتاب (الباكورة الشهية) وهذا الكتاب لمجموعة مؤلفين وكتب الرد عليه الدكتور المطعني استجابة لطلب رسمي من جامعة الملك عبد العزيز التي تلقت طلباً من رابطة العالم الإسلامي بتشكيل لجنة للنظر في هذا الكتاب وكتاب آخر هو(المسيح مخلص العالم)، وارتأى الدكتور أن الكتاب الأخير لا يستحق الرد.

دفع كتاب المطعني الشبهات التي وردت في كتاب الباكورة الشهية، وهي في أغلبها تصب في التشكيك في مصدرية القرآن.

ب- الرد على مستغرب، أو كتاب كتبه مستغرب مثل:

-**تحت راية القرآن**، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م،٣٠٣صفحة، دفع فيه الكاتب مطاعن المستغرب طه حسين على القرآن.

-**افتراءات العشماوي في كتابه "الخلافة الإسلامية"** ،الدكتورأحمد عبد، وطبان

الجنابي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ٢٢٤صفحة، أفرد الكاتب فصلاً عن موقف العشماوي من القرآن الكريم ورد عليه الكاتب ورد على شبهاته.

-**القرآن الكريم والقراءة الحداثية:دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون**، الحسن العباقي، صفحات للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٩م،٣١٩صفحة.

-**العلمانيون وأنسنة القرآن:الرد على خليل عبد الكريم**، منصور أبو شافعي، مكتبة النافذة،مصر، الجيزة، ط١، ٢٠١٠م.

-**اليسار الإسلامي وتطاولاته المفضوحة على الله والرسول والصحابة**، إبراهيم عوض، قدم المؤلف فيه عرضاً نقدياً لمؤلفات خليل عبد الكريم.

-**رد افتراءات الجابري عن القرآن الكريم**،الدكتور محمد عمارة، دار السلام، القاهرة ،٢٠٠صفحة.

-**العلمانيون ومركسة الإسلام الرد على سيد القمني**، منصور أبو شافعي، تقديم محمد عمارة مكتبة النافذة، الجيزة .

ج-الرد على فرقة من الفرق المنحرفة:

-**حوار لإخواننا وأخواتنا الشيعة**، الدكتور عبد الله أبو عزة، ط١،عمان، الأردن، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، ٢١٦صفحة، رد فيه الكاتب إلحاد الشيعة في تأويل كتاب الله وناقش توظيفهم للنصوص والآيات القرآنية لتكريس عقائدهم الباطلة.

- **الشيعة والقرآن**، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

- **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة،لاهور

باكستان، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م. وللمؤلف كتب أخرى في الدفع عن كتاب الله مثل كتابه عن القاديانية باللغة الأوردية.

٤-مؤلفات اختصت بدفع شبهة معينة:

-**مصدر القرآن: دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي،** ابراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، ٣٤٣صفحة. استخدم المؤلف الأسلوب العلمي والدراسة المدققة لشخصية الرسول ولشخصية القرآن وروحه كما سماها ليثبت أن القرآن يستحيل أن يكون نتاج عقل محمد عليه الصلاة والسلام، وقرر الكاتب أن مثل هذه الدراسة تؤدي إلى الإيمان الجازم بالمصدر الإلهي للقرآن.

-**أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف،** الدكتور زيد عمر مصطفى، مطابع جامعة الملك سعود كلية التربية مركز البحوث التربوية، ١٤١٤هـ وهذه الشبهة من اختصاص الشيعة، وقد رد الكاتب مطاعنهم وبين عوار منهجهم وعلاقة هذه الشبهة بمعتقداتهم المنحرفة، والمثير للاهتمام في هذا الكتاب هو تقديم مدير مركز البحوث التربوية له، فقد جعل كشف دعاوى المبطلين من الفرق الضالة وإبطالها هو من صميم العملية التربوية التي تهدف لبناء جيل إسلامي قائم على الإنسان الذي سلمت عقيدته وتوحيده من الشوائب.

ما ذكر سابقاً غيض من فيض فهناك مئات الكتب، و الرسائل الجامعية، ومئات الأبحاث المنشورة والمقالات المتفرقة في الانتصار لكتاب الله، فالباحث في الانتصار لكتاب الله يجد أنه ما من شبهة ألقاها أعداء الإسلام في كتاب الله إلا وانبرى علماء الأمة بالذب والدفاع عن كتابهم ، وما من كتاب كتبه طاعن إلا و ردت عليه الأمة

بكتب، وكل مقال بمقالات، وكل خطاب بخطابات، فهذه الأمة حية ولن تعدم دفاعاً عن قرآنها، بقطع النظر عن مدى التوفيق الذي حققته هذه الردود.

و تفتقر هذه الردود إلى الرصد والجمع والتقييم والتقويم، وتحتاج هذه الدراسات إلى جهود مؤسسية لتتبع المنهجية لهذا الكم من المؤلفات، وما الذي حققته في الانتصار للقرآن؟ ويستتبع هذا الجهد المؤسسي جهداً إحصائياً على أرض الواقع لمعرفة أثر هذه الردود في تحقيق الأمن الفكري للمسلمين، وأثرها في الدعوة إلى الله.

-الجهود المؤسسية في الانتصار المتمثلة بالمؤسسات ومواقعها الإلكترونية والمجلات والدوريات:

- غلب على الأمة في دفاعها عن كتاب الله في العصر الحاضر الجهود الفردية، ومقارنة مع الغرب يعد المسلمون متأخرين في اعتماد العمل المؤسسي، والسبب في هذا أن قضية التخطيط والإدارة قضية حديثة نسبياً، ولم تكن حاضرة في الدراسات الإسلامية عموماً، وفي دفع الشبهات خصوصاً، إضافة إلى الخلط بين العمل الجماعي والمؤسسي عند الكثيرين وعدم وضوح مصطلح العمل المؤسسي، ومن أسباب تأخر ظهور الجهود المؤسسية الإسلامية كذلك أن الأمة رزئت بسقوط الخلافة، ثم رزحت تحت نير الاستعمار لعقود، ثم منيت بأنظمة وسياسات مضطرة للانسجام مع النظام العالمي الجديد، وإذا استحضرنا أن النظام العالمي هو الذي يرعى الطعن في كتاب الله، أمكننا تخيل صعوبة الجهود المؤسسية، فالمؤسسة ينبغي أن تحظى بغطاء قانوني لأعمالها ينبثق من الأنظمة التي تعمل في ظلها، ومع هذا لم يعدم المخلصون الوسيلة للعمل المؤسسي، وشهد النصف الثاني من القرن المنصرم بزوغ فجر عمل مؤسسي.

من الصعوبة بمكان قياس وتقويم جهود المؤسسات المعنية في الدفاع عن كتاب الله لصعوبة الحصول على الخطط الاستراتيجية لهذه المؤسسات، وصعوبة الوقوف على

منجزاتها كاملة في مجال الانتصار للقرآن، وصعوبة وضع مقاييس كمية لهذه المنجزات، إضافة إلى نسبية المعايير التي نقيس بها هذه الجهود، ونتيجة لكل هذه الصعوبات قد تبقى عملية القياس والتقويم لهذه الجهود تدور في دائرة الأبحاث التقويمية الشكلية، وعليه تعد عملية التقويم لجهود هذه المؤسسات عملية طويلة وتحتاج إلى دراسة مستقلة.

أولاً: الجهود المؤسسية في الانتصار للقرآن الكريم:

أمثلة عن مؤسسات عنيت بالانتصار لكتاب الله[1]:

أ-رابطة العالم الإسلامي :

انبثقت رابطة العالم الإسلامي عن توصيات مؤتمر انعقد في ١٣٨١هـ في رحاب بيت الله الحرام بعد انتهاء موسم الحج، دعت إليه المملكة العربية السعودية في عهد الملك الراحل سعود بن عبد العزيز رحمه الله، وحضر المؤتمر رؤساء وفود الحج وعلماء المسلمين الذين تصادف وجودهم ذاك العام، وكان من أهم قرارات هذا المؤتمر القرار القاضي بإنشاء الرابطة.

والمطلع على البيانات التأسيسية للرابطة يجد أن دحض الشبهات ومناهضة الأفكار الدخيلة على الإسلام من أهم أهداف الرابطة.

وقد كان للرابطة جهود مشكورة في الدفاع عن كتاب الله على أصعدة كثيرة منها:

١-ترتيب سور القرآن الكريم: فقد وقفت الرابطة في وجه من حاولوا تحريف القرآن أو إعادة ترتيبه حسب ترتيب النزول؛ مثل المصحف الجديد المنسوب إلى ميرزا

(١) عند التمثيل للجهود المؤسسية في الانتصار للقرآن اعتمدنا على الأهداف المعلنة للمؤسسة على الشبكة العنكبوتية.

باقر، وقامت الرابطة بالاتصال الفوري مع سماحة مفتي لبنان وطلبت إليه منع نشر المصحف.

وعندما نشرت شركة إيفنس بوكس الأمريكية كتاب (قرآن محمد) وهو يحتوي على ترجمة لبعض سور القرآن، مرتبة على غير ترتيب المصحف إضافة إلى أخطاء موضوعية كبيرة؛ قامت الرابطة بالتعميم على سفارات الدول الإسلامية كافة بجدة، تطالبهم فيه بالعمل لدى حكومات بلادهم للاحتجاج على الشركة التي قامت بنشر الكتاب؛ لأن فيه تهجماً على النبي ﷺ، وتطاولاً على القرآن، وخروجاً على إجماع الأمة الإسلامية في ترتيب سور المصحف العثماني.

كما أصدرت الرابطة قراراً بعدم السماح بدخول أية مصاحف مطبوعة لأي بلد إسلامي، إلا إذا عُرضت على لجنة علمية متخصصة في هذا البلد وأجازته، وقد قامت الرابطة بدراسات تهدف إلى إنشاء مؤسسة إسلامية عالمية لحماية القرآن الكريم.

٢-تفسير القرآن الكريم: تقوم الرابطة بإصدار تحذيرات للمسلمين في العالم من تداول الكتب التي تفسر القرآن تفسيراً مغلوطاً، مثل تحذيرها من كتاب سيد حسين ناصر عميد كلية الآداب بإيران، والكتاب باللغة الفرنسية وفيه افتراءات تفسيرية كثيرة.

٣-طباعة القرآن الكريم: للرابطة جهود كبيرة في الرقابة على طباعة المصحف الشريف وصيانته من التحريف، ومن أمثلة هذا القرار الذي أصدره المجلس التأسيسي للرابطة بعدم جواز كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية.

٤-ترجمة القرآن الكريم: منعت الرابطة توزيع ترجمة (محمد أسد) لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية؛ لأن هذه الترجمة مطعون فيها. وقامت الرابطة بإحالة ترجمة القادياني محمد علي إلى اللجنة الثقافية الفرعية، التي بدورها أعدت فيها تقريراً عرض

على المجلس التأسيسي[1].و كلف سماحة الشيخ حسنين محمد مخلوف بعمل تصدير تاريخي باسم الرابطة فيه رسائل ثلاث عن هذه الطائفة الملحدة، كتبها أصحاب الفضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي والشيخ أبو الأعلى المودودي، والشيخ محمد الخضر الحسين شيخ الجامع الأزهر السابق، وتم بيان حكم الشرع في هذه الترجمة، وتُرجم كل ذلك إلى عدة لغات في العالم الإسلامي ونُشر بمختلف وسائل النشر[2].

٥-على صعيد الكتب المثيرة للشبهات حول القرآن الكريم: على سبيل المثال طلبت الرابطة من جامعة الملك عبد العزيز تكوين لجنة للاطلاع على كتاب الباكورة الشهية (لمجموعة مؤلفين) والرد عليه، وهو كتاب يطعن في القرآن، فاستكتبت الجامعة الدكتور عبد العظيم المطعني، فكتب (الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي)، رداً على (الباكورة الشهية) وقد نشر الكاتب في مقدمة كتابه رسالة الرابطة إلى الجامعة، وهذه الرسالة تدل على الجهد المشكور الذي تقوم به الرابطة في رصد التنصير ودفع مطاعن المستشرقين.

وجاء الدفاع عن كتاب الله عبر أربع من هيئات الرابطة وهي:

١-المجمع الفقهي الإسلامي: ومن أهداف المجمع على موقع الرابطة التصدي لما يثار من شبهات وما يَرِد من إشكالات على أحكام الشريعة الإسلامية.

٢-الهيئة الإسلامية العالمية للإعلام: ومن أهدافها التصدي عبر وسائل الإعلام للحملات المناوئة للإسلام، وإحباط أهدافها والدفاع عن القضايا الإسلامية.

٣-الملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين: جاء في البند السادس وما بعده من

---

(١) الجعبري، محمد نجيب كمال(١٤٠٠هـ)، **دور رابطة العالم الإسلامي في الدعوة إلى الإسلام**، رسالة ماجستير مقدمة للمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض.

(٢) **القاديانية**، رابطة العالم الإسلامي، ص١٦.

أهداف الملتقى ما يلي:

-مواجهة التيارات والمواقف المعادية للإسلام والمسلمين.

-مواجهة التيارات المنحرفة والأفكار الخاطئة في المجتمعات المسلمة.

-دراسة قضايا الأمة ومشكلاتها وتقديم نماذج لمعالجتها.

-الدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين وما يهدد مجتمعاتهم وهويتهم الدينية.

٤-الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام: جاء في أهدافها: الذب عن الإسلام والدفاع عنه في جميع الميادين.

ومما لا شك فيه أن الدفاع عن القرآن يندرج تحت هذه الأهداف، وهو ما فعلته الرابطة بالتعاون مع المؤسسات الجامعية السعودية، وغيرها من المؤسسات في العالم الإسلامي .

ب-الأزهر:

ومن هيئاته المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية : ويعد هذا المجلس نموذجاً من نماذج الجهد المؤسسي في الدفاع عن كتاب الله، وقد قام المجلس بنشر كتب مثل (حقائق إسلامية في مواجهة (حملات التشكيك : أسئلة وإجابة)و(القرآن وأباطيل خصومه) (شبهات وإجابات حول القرآن الكريم) (حقائق الإسلام في مواجهة المشككين)وغيرها من الكتب، وقد حوى الموقع الإلكتروني الرسمي لهذه المنظمة [1] الكثير من هذه الشبهات والردود عليها تحت عنوان (شبهات المشككين)، وتحت عنوان فرعي (حقائق حول القرآن الكريم).

---

(1) http://elazhar.com/qadaiaux/def1.aspl,ru الموقع الرسمي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

ج-المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) (ISESCO):

وهي منظمة تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، تعنى بميادين التربية والعلوم والثقافة والاتصال في البلدان الإسلامية، مقرها الرباط. وكان القرار الأعلى الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمكة المكرمة في ٢٥-٢٨/ ١/ ١٩٨١ م قد أكد على إنشاء جهاز إسلامي دولي جديد ضمن أجهزة العمل الإسلامي المشترك في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، يحمل اسم : (المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة).

جاء في موقع المنظمة الرسمي أن موضوع التصدي للحملة العدائية ضد الإسلام والمسلمين، شكل هدفاً استراتيجياً رئيساً لخطة عمل المنظمة المنتهية، ومحور عملها خلال هذه الفترة، وقد حشدت لهذه الأهداف الموارد المادية والبشرية، ونفذت لبلوغ غاياته مجموعة مهمة من الأنشطة والبرامج والمشاريع، تم تحليل نتائجها كاملة في تقرير المدير العام بشأن تقييم عمل المنظمة خلال الفترة الثلاثية المنتهية ضمن جدول أعمال المجلس التنفيذي في دورته الثلاثين والمؤتمر العام العاشر للمنظمة في ٢٠٠٩م.

وتؤكد النتائج الأولية بهذا الخصوص الحاجة إلى مواصلة العمل في هذا المجال، وربما اعتبار التصدي للحملة العدائية ضد الإسلام والمسلمين هدفاً استراتيجياً ثابتاً في خطط عمل المنظمة، ولا شك أن الجهود التي بذلتها المنظمة، ولازالت تبذلها لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين، ضمن خطة عملها المنتهية، والشراكة الواسعة التي اعتمدتها مع المنظمات الإقليمية والدولية في هذا المجال وخاصة المنظمات والهيئات الغربية، قد حققت نتائج ملموسة، إلا أن حجم هذه الحملات المغرضة، وتنوع أساليبها ووسائلها، وضخامة الإمكانات المالية والبشرية والإعلامية المسخرة لها، تستوجب منا مضاعفة الجهود وحشد الطاقات لفترة ثلاثية جديدة، وهو ما تطمح إلى تحقيقه خطة العمل القادمة بحول الله.

وقد عملت المنظمة بطريقة مؤسسية لإصدار كتب بجهود جماعية مخططة ومنظمة مثل كتاب (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية)، وقد أصدر الكتاب بالتعاون مع مكتب التربية العربي لدول الخليج ، و(القرآن الكريم: دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن تأليف الإيسيسكو .مراجعة الدكتور محمد توفيق أبو علي) وهو جزء من سلسلة تصدرها الإيسيسكو لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة.

د- مركز الدراسات القرآنية في الرابطة المحمدية للعلماء في المملكة المغربية:

عقد المؤتمر التأسيسي للرابطة في ١٩٦٠م، وللرابطة مراكز عدة، ويعد مركز الرابطة للدراسات القرآنية أنموذجاً في الانتصار لكتاب الله بطريقتي الهدم والبناء، أما الهدم فهو دفع الشبهات، وأما البناء فهو التأصيل العلمي أو ما أسميناه سابقاً الإجراءات الاحترازية لحماية كتاب الله، وهذا يبدو جلياً في رسالة المركز وأهدافه التي جاء فيها:

..منذ أواسط القرن الماضي عرفت موجة القراءات المعاصرة للقرآن الكريم امتدادات متزايدة في الساحة الثقافية والعلمية، وانخرط فيها كتاب مسلمون ومستشرقون، يشتركون في إثارة قضايا مرتبطة بالقرآن الكريم من خلال توظيف مناهج لسانية، وسوسيولوجية، وتاريخية، وأنثروبولوجية. وقد اختلفت منطلقات وأهداف هذه القراءات، كما تعددت المناهج التي اعتمدتها في مقاربة الكتاب الخاتم، إلى درجة أن بعضها في غفلة عن طبيعة القرآن المجيد رام استنطاقه بالآليات والأدوات المنهاجية نفسها التي تستخدم مع النصوص البشرية ذات الارتباطات النفسية والأنثربولوجية والسياسية بسياقاتها التي تنشأ فيها، مما لا يتواءم مع حقيقة النص القرآني.

ولا يمكن بحال تجاوز هذه الاختلالات إلا بفهم وإدراك للمناهج التي اعتمدها كل هؤلاء، كما أن هذا التجاوز لا يمكن تحقيقه دون الرصد الدقيق للنتائج والآثار التي خلفتها هذه القراءات، وشرط ذلك كله، القيام بقراءات وكشوف منهجية علمية، تراعي خصائص القرآن الكريم وقيمه الحاكمة.

من هنا نحن اليوم في حاجة ماسة، أكثر من أي وقت مضى، إلى القيام "بالكدح التدبري" للقرآن المجيد وألا نقتصر على منهج الخطف والنتف والعثور العشوائي البعيد كل البعد عن مواصفات البحث العلمي الجاد.

ومن أجل استئناف البحث المنهاجي التدبري للقرآن المجيد، تَم التفكير في إنشاء مركز للدراسات القرآنية، يقوم على تحقيق الأهداف المذكورة أدناه.

أهداف المركز:

سيعمل المركز لإنماء الاهتمام البحثي بالدراسات القرآنية المنهجية، مستهدفاًعلى وجه الخصوص ما يأتي:

ـ إبراز كونية القرآن الكريم، وأنه كتاب هداية، ومصدر كوني يهدي للتي هي أقوم، وفيه القدرة على ترشيد الحضارة والعمران والفكر الإنساني.

ـ تشجيع الدراسات العلمية التي تعنى بالمفاهيم والمصطلحات القرآنية، رسائل وأطروحات جامعية، ودراسات مستقلة.

ـ تعميق البحث في المحددات القرآنية المنهجية من جمع بين القراءتين، وحاكمية القرآن، ووحدته البنائية، وعربية القرآن، وختم النبوة، وعالمية الرسالة، وشرعة التخفيف والرحمة ورفع الحرج، والتصديق والهيمنة القرآنيين، والاستيعاب والتجاوز... مع الحرص على إخراجها من دائرة الفضائل إلى دائرة المحددات المنهجية

المولدة والموجهة والمقومة للمعرفة الإنسانية، وكذا الحرص على تشغيلها وتفعيلها للإسهام في ترشيد الإنسانية بالقرآن المجيد.

- إنماء العقل الإنساني وخاصة العقل المسلم، وتمكينه من تحقيق الاستيعاب التنافسي على البرّ والتقوى للمدارس العالمية الأخرى، وصياغة خطاب عالمي يحقق وسطية الأمة وقطبيتها، وخيريتها، وشهادتها على الناس.

- إعادة المركزية للنص المرجعي؛ قرآنا وسنة صحيحة، وإعمال النظر فيهما في سبيل استيعاب الإشكالات الجديدة التي استجدت في سياقات جديدة.

- التعاون مع الجامعات العالمية خصوصاً أقسام الدراسات الإسلامية، ومراكز البحوث العلمية، على تدريس مقررات تتناول الدراسات القرآنية في أبعادها المنهجية والمعرفية.

- إعادة اكتشاف قيم الوحي التي كانت بمنزلة المنطلق الأساسي لإبداعات وإنتاجات المسلمين، وكذلك اكتشاف المنهج الذي ينتظم مفردات وجزئيات التراث كافة.

- المناقشة العلمية الرصينة لمختلف دعاوى القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، وبيان قيمتها المعرفية من خلال عرضها على خصوصيات القرآن الكريم وقيمه الحاكمة.

- الإسهام في استكمال المناهج العلمية المسعفة في مجالات تمكين المسلمين في العصر الحديث من فهم القرآن الكريم بشكل صحيح.

- العمل على إعداد موسوعة علمية تعنى بالدراسات القرآنية، وُفق مقاربة منهجية معرفية"[1].

---

(١) http://www.alquran.ma/article.aspx?C=583 الرابطة المحمدية للعلماء، مركز الدراسات القرآنية، المملكة المغربية.

هـ-المؤسسات التعليمية الجامعية والكراسي البحثية:

ويعد كرسي القرآن الكريم وعلومه من الكراسي البحثية التي أسست مؤخراً في جامعة الملك سعود، والتي تهدف إلى خدمة كتاب الله بطريقة مؤسسية وخطط استراتيجية، ومن الأهداف الجزئية لكرسي القرآن وعلومه كما جاء على الموقع الرسمي للكرسي: كشف الشبهات المعاصرة والمثارة حول القرآن الكريم والتصدي لها بالبحوث والدراسات والوسائل المناسبة، وتأهيل الباحثين لذلك.

وينوي الكرسي عقد مؤتمر دولي لتطوير الدراسات القرآنية في ٢٠١٣م، وأول محاور المؤتمر المحور العلمي والمعرفي، وقد جاء الانتصار للقرآن ضمن أقسام هذا المحور .

ثانياً: مظاهر العمل المؤسسي :

١-المقالات على صفحات المجلات والصحف:

تعد المجلات من مظاهر الجهد المؤسسي، فقد كان لكل مؤسسة عنيت بالانتصار لكتاب الله منبرها الإعلامي المتمثل بالمجلات والدوريات، ومن هذه المجلات المجلة التي أصدرها الأزهر (صحيفة المؤتمر الإسلامي) ، **لكنها لم تستمرّ طويلاً وتوقّفت بعد صدور خمسة أعداد منها.**

وفي عام ١٩٣٠م أصدَر الأزهر صحيفة (نور الإسلام) ، و رَأس تحريرها الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله.

قادت المجلة معارك فكرية ضارية ضد التيار الإلحادي العلماني، وفضحت أنشطة التنصير في العالم الإسلامي، وقامت المجلة بعرض الشبهات التي يسوقها المنصّرون والمستشرقون في مؤلفاتهم بغية زعزعة الدين، وتولّت الردّ عليها بأساليب منهجية علمية.

و ممن تولّى الردّ " محمد فريد وجدي "، فقد ردّ على "أندريه هارفيه " ما كتبه في جريدة كوكب الشرق المصرية من شبهات كاذبة على الإسلام .

و كذلك تولّى (وجدي) الردّ على المستشرق " فرنك فوستر " الذي كتب سلسلة عن تاريخ الإسلام ضمنها الكثير من المطاعن والأكاذيب، وفي عام ١٩٣٥ تغير اسم المجلة إلى مجلة الأزهر[١].

ومن المجلات الرائدة في هذا المجال كذلك مجلة (الوعي الإسلامي) وهي مجلة حكومية غير ربحية تابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، وقد أسست المجلة في عام ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م وجاء من ضمن أهدافها: تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والرد على الشبهات بالدليل العلمي[٢].

٢-المرئيات والقنوات الفضائية الإسلامية:

من المرئيات على الشبكة العنكبوتية موقع تلفزيون الحقيقة، يحوي الموقع تسجيلات مرئية للدفاع عن القرآن الكريم للدكتور منقذ السقار، والدكتور جمال بدوي، والشيخ أحمد ديدات، والدكتور ذاكر نايك[٣].

ومن القنوات الفضائية: قناة المجد، اقرأ، الرسالة، الناس، الفجر، الأمة ، الرسالة ، طيبة، الرحمن الأندونيسية وغيرها.

والسؤال هنا ما هي فاعلية هذه القنوات وأهليتها للدفاع عن القرآن الكريم؟ وهل أدت دوراً حقيقياً في الانتصار لكتاب الله؟

---

(١) القحطاني، مبارك، مجلة الأزهر، تاريخ إضافة المقال ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٦م، موقع الألوكة الثقافية، تاريخ الدخول٢٦/ ٧/ ٢٠١٢م http://www.alukah.net/Culture/0/60

(٢) موقع المجلة الرسمي: http://www.alwaei.com/site/index.php/about_us

(٣) موقع تلفزيون الحقيقة، تاريخ الدخول ٢٩/ ٨/ ٢٠١٢م:
http://arabic.truthway.tv/monqith/index.html

يبدو للناظر أن الدور الذي تؤديه هذه القنوات في الانتصار لكتاب الله ما زال بعيداً جداً عن المأمول، وذلك لمعوقات عدة تحد من مسيرة هذه القنوات من هذه المعوقات:

أ-التعثر الذي تواجهه هذه القنوات في محاولة الوجود وفي تأمين الغطاء القانوني لها قبل البدء في عملية الانتصار للقرآن الكريم.

ب-صعوبة تأمين الكادر المؤهل للرد على الشبهات والدفاع عن القرآن الكريم.

ج-الجمود والرتابة التي تتصف بها هذه القنوات، مما يجعلها تقف عند أهداف محددة لا تتجاوزها، مثل قضايا الأسرة المسلمة، والطفل المسلم، والأخلاق وغيرها.

د-نقص التمويل والحضور القوي للجانب الربحي للقنوات الفضائية مما يؤثر على المضمون[١].

٣-المواقع الالكترونية:

ومن هذه المواقع:

أ- موقع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع للأوقاف المصرية، وفي الموقع أيقونة فرعية بعنوان شبهات المشككين[٢].

ب- موقع (منتدى التوحيد)[٣]: وهو موقع متخصص بدفع الشبهات، ومن أهدافه: التصدي للمذاهب الفكرية الإلحادية والعلمانية، والدعوة إلى الإسلام؛

---

(١) عسكر، هبة، **هل تستطيع الفضائيات الإسلامية مواجهة الهجمات الشرسة على الإسلام؟**، تاريخ المقال١٦/ ٤/ ١٤٢٩هـ موقع المسلم، قسم التربوي.تاريخ الدخول ٢٦/ ٧/ ٢٠١٢م.

http://almoslim.net/node/92282

(٢) موقع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية، تاريخ الدخول ٢٩/ ٨/ ٢٠١٢م.

http://www.islamic-council.com/Qadaia/Default.asp?Lang=a&Doc=Doc1&n=3

(٣) منتدى التوحيد، تاريخ الدخول ٢٩/ ٨/ ٢٠١٢:

http://www.eltwhed.com/vb/forum.php

ونقض الشبهات حول عقائد وتشريعات الإسلام، وإثبات عظمة الإسلام، وقد أسلم عدد من الملحدين في هذا المنتدى، وعاد إلى الإسلام بعض من تركه.

ج-**موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**[1]: احتوى الموقع على أيقونة فرعية بعنوان(شبهات حول القرآن) جاء فيها عدد من الشبهات والردود عليها، و يزور الموقع حوالي سبعة آلاف زائر يومياً، أسلم عدد منهم من جنسيات مختلفة، ويحتوي الموقع منتدى للحوار والدعوة، والرد على الشبهات، بلغاتٍ مختلفة[2].

د-**مواقع متخصصة بحوار الأديان وتحديداً الحوار الإسلامي المسيحي، ودفع** الشبهات عن القرآن الكريم، مثل شبكة ابن مريم الإسلامية، وتحوي الشبكة ردوداً على الشبهات، ومكتبة للمرئيات والمسموعات، إضافة إلى مجموعة مقالات الدكتورة زينب عبد العزيز، ومقالات الدكتور محمد جلال القصاص[3].

---

(١) موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، تاريخ الدخول ٢٩/ ٨/ ٢٠١٢م.
http://quran-m.com/index.php

(٢) الشريف، عبد الرحيم(٢٠٠٦م)، القرآن الكريم في مواقع الإنترنت العربية، رسالة دكتوراه، (نسخة إلكترونية ص١٣)

(٣) شبكة ابن مريم الإسلامية، تاريخ الدخول ٢٩/ ٨/ ٢٠١٢م:
http://www.ebnmaryam.com/web /

الفصل الثالث

أصول وقواعد الانتصار للقرآن الكريم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الأصول والقواعد وأهميتها في الانتصار للقرآن الكريم.

المبحث الثاني: أصول الانتصار للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: قواعد الانتصار للقرآن الكريم.

المبحث الرابع: معايير تحديد الشبه المقصودة بالرد.

الفصل الثالث

أصول وقواعد الانتصار للقرآن الكريم

المبحث الأول

تعريف الأصول والقواعد وأهميتها في الانتصار للقرآن الكريم

-تعريف الأصول والقواعد والفرق بينها فيما اصطلحت عليه هذه الدراسة:

الأصول جمع أصل، وهو في اللغة: أسفل الشيء[1]، والأصل يُفتقر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره، وأَصُلَ وتَأَصَّل: صار ذا أصل، أو ثبت ورسخ أصله.

والأصل في الاصطلاح عند الجرجاني: هو ما يبنى عليه غيره[2].

والقواعد جمع قاعدة، وهي في اللغة: الأساس والأصل لما فوقها، والقعود خلاف الجلوس لما فيه من طول المكث، ويقعد أي يمكث سواء كان قائماً أو جالساً[3].

والقاعدة في الاصطلاح عند الجرجاني: هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها[4].

وكثير من الدارسين يجعل الأصول والقواعد بمعنى واحد، ويجوز التفريق بينهما.

وقد ارتأيت التفريق بين الأصول والقواعد في هذا الكتاب؛ فجعلت **الأصول** بمعنى أعم من القواعد وأشمل ولا تفتقر لها، والقواعد مفتقرة إلى الأصول معتمدة عليها وهي أخص منها.

---

(١) الفيروزأبادي(ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، ص١٢٤٢.

(٢)الجرجاني(ت٨١٦هـ)، الشريف، **التعريفات**، ص٣٠.

(٣) الكفوي(ت١٠٩٤هـ١٦٨٣م)، أبو البقاء، **الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ج٤، ص٤٨.

(٤) الجرجاني، **التعريفات**، ص١٥١.

- **أهمية الأصول والقواعد في الانتصار للقرآن الكريم:**

للأصول والقواعد في كل علم أهمية بالغة، وما هذا إلا لأن جمع".... الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة هو أوعى لحفظها وأدعى لضبطها"[1]، وكان سلف الأمة كلما حزبهم أمر في علومهم فزعوا إلى التقعيد والتأصيل، إما باستقراء كلي للجزئيات على طريقة الأصوليين الفقهاء، أو بالاستدلالات العقلية القطعية التي لا تقبل الظن على طريقة المتكلمين.

وللأصول والقواعد في الانتصار فوائد عديدة نذكر منها:

- تثبيت علم الانتصار للقرآن الكريم بين العلوم.

- فهم عملية الانتصار، وبناؤها على أسس قوية، ودعائم راسخة وقد قيل: " من حرم الأصول حرم الوصول"[2].

-التفريق بين المسائل المشتبهة؛ بحيث لا يبقى الانتصار للقرآن فضفاضاً واسعاً، فيدخل فيه ما ليس منه، ويخرج منه ما هو في صميم مدلولاته.

- ضبط عملية الانتصار؛ فالاحتكام إلى قواعد عامة يضبط الانتصار للقرآن، ويقومه ويصحح مساره، و يعصم المنتصر للقرآن من الزلل، ويحميه من الفهم الفاسد، والتطبيق الخاطئ.

-بيان حكم الجزئيات، فالأصول والقواعد كالأساس للبنيان، ولا يُعرف حكم الجزئيات إلا بالقواعد، ولا تقوم للقواعد قائمة دون جزئياتها[3].

---

(١) الزركشي، بدر الدين، **المنثور في القواعد**،، ١/ ٦٥.

(٢) ابن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، شرح ابن عثيمين، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٢٥.

(٣) السعدي، **طريق الوصول إلى العلم المأمول: بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، مختار من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية**، ص٤.

-تسهيل تقويم الجهود المبذولة في الانتصار، فالقواعد والأصول تصلح لرد المخالفين إليها وخصوصاً إن حصل اتفاق بين أهل التخصص على هذه الأصول والقواعد.

-جمع الأشباه والنظائر في الموضوع الواحد من جمال العلم.

المبحث الثاني

أصول الانتصار للقرآن الكريم

أصول الانتصار للقرآن الكريم:

أولاً: الإيمان المطلق بأنه لا مطعن على كتاب الله تعالى، وأن كل الشبهات المثارة حوله إنما هي في أذهان الطاعنين، و مخيلة الجاهلين:

وهذا الإيمان هو نتيجة التسليم بالحقائق التالية:

أ- القرآن أنزله الله على رسوله، و أنزله بعلمه، قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ (النساء: ١٦٦)

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الأعراف: ٥٢).

ولأن القرآن من لدن حكيم خبير، ولأن الله أنزله بعلمه فهو منزه عن التعارض والتناقض والاختلاف ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢) وكل ما قد يظهر بأنه كذلك في كتاب الله فهو وهم من جهة المتلقي؛ ولهذا أطلق العلماء على البحث في هذا الموضوع (موهم الاختلاف)، وعرفه العلماء بأنه ما "يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً وليس به، فاحتيج لإزالته..."[1].

ب- مقصد الله من كتابه أن يفهمه الناس، وأن يسترشدوا بهداياته، ويتعظوا بأخباره، ويعملوا بأحكامه، ويأتمروا بأوامره، ويجتنبوا نواهيه.

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، معرفة موهم المختلف، مج٢، ص٤٣.

وأنزله الله بلغة العرب، وعلى معهودهم في الخطاب، وقد جاء تأكيد على هذه القضية في مواطن عدة من كتاب الله قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (يوسف:٢).

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (طه: ١١٣)

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الزمر: ٢٨)

﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (فصلت: ٣)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ (الشورى: ٧)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الزخرف: ٣)

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الأحقاف: ١٢).

هذا التركيز في الآيات السابقة على عربية القرآن إن دل على شيء فإنه يدل على أنه لا يوجد في القرآن آيات مقصور علمها على الله، و هذا لا ينفي الحاجة للتفسير لتفاوت الأذهان في الفهم، ولتفاوت الآيات في درجة وضوح الدلالة، فبعض الآيات لا تعرف دقائقها إلا بعلم راسخ، وبحث ونظر، وهي ما سماها الله المتشابهات، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ٧).

فإن استشكل على المؤمن شيء من هذه المتشابهات، علم في نفسه أن لها معنى يليق

بجلال الله يعلمه الراسخون في العلم، ولا يعلمه هو لقصور علمه أو فهمه[1].

ج-القرآن محفوظ، ومنقول بالتواتر واستفاض أمر نقله حتى أصبح في حكم البديهيات، و تكفل الله بحفظه من مطاعن الكافرين، وكيد المكذبين، وتحريف المبطلين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) وهذا يقتضي أن الطعن عليه بالزيادة والنقصان والتحريف والتبديل مخالف للوعد الرباني.

د-جاء القرآن الكريم مصدقاً للكتب السماوية ومهيمناً عليها يقول تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة: ٤٨) ويقول تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٢).

وعليه فكل"من صدَّق محمداً -ﷺ- فقد صدَّق كل نبي، ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي، ومن كذبه فقد كذب كل نبي، ومن عصاه فقد عصى كل نبي"[2]، ومن لوازم هذا القول أن ما وقع به الاختلاف بين القرآن والكتب السماوية في أصول العقائد، مرده إلى تحريف أتباع هذه الكتب، وما وقع به الاختلاف في الأحكام فمرده إلى أحد أمرين، إما كمال القرآن وهيمنته على الكتب السابقة وصلاحية تشريعاته لكل زمان ومكان، أو تحريف اليهود والنصارى لكتبهم.

---

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ينظر ص٧٢، أورد ابن قتيبة الأدلة على أن المتشابه من القرآن يعلمه الراسخون في العلم، ومن زعم غير هذا فقد غلط على اللغة والمعنى، وفتح الباب على مصراعيه لإثارة الشبهات على كتاب الله.

(٢) السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ص٣١.

هـ-القرآن معجز، وهو آية صدق النبي عليه الصلاة والسلام، ولا مطعن عليه في نظمه، ولا في أخباره، ولا في أحكامه، ولا في أي من وجوه إعجازه التي ذكرها العلماء.

ثانياً: الاعتصام بالكتاب والسنة:

من أهم أصول الانتصار الاعتصام بالكتاب والسنة، فالانتصار لكتاب الله هو خوض في بحر من الشبهات، تتقاذف المتصدي له أمواج من المذاهب والأفكار، وقد تعصف به رياح الشك والحيرة، والناجي منه من نجاه الله، والمعصوم فيه من عصمه الله، والإمام الغزالي الذي أطلق عليه أهل عصره حجة الإسلام داخل قلبه الشك، وسكنه زمناً ليس بالقليل، ولولا أن تداركه فضل من ربه ومِنَّة لقضى على هذه الحال فالأمر جِد خطير.

والاعتصام بالكتاب والسنة سبب النظر السديد، وسبب الهداية، ولا يتأتى الاعتصام إلا بالعيش في كنف القرآن والسنة أزمنة؛ فهماً، وتدبراً، وتطبيقاً، وتنزيلاً.

ويندرج تحت هذا الأصل؛ الاسترشاد بما كان عليه الصحابة والسلف الصالح، والاستئناس بمنهجهم في الاحتكام للكتاب والسنة، ومنهجهم في الانتصار، ودليل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :(خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)(١).

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٥/ ٣٢٤) حديث رقم (٢٦٥١ و٢٦٥٢)، وكتاب: أصحاب النبي ﷺ، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ (٧/ ٣) حديث رقم (٣٦٥٠ و ٣٦٥١)، وكتاب: الرقاق، باب: ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (١١/ ٢٩٣) حديث رقم (٦٤٢٨ و ٦٤٢٩)، وكتاب: الأيمان والنذور، باب: إذا قال أشهد بالله، أو شهدت بالله (١١/ ٦٦٦) حديث رقم (٦٦٥٨)، وباب: إثم من لا يفي بالنذر (١١/ ٧١٠) (٦٦٩٥)، ينظر (متن فتح الباري).

ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، حديث رقم (٢٥٣٣-٢٥٣٥)، ص٦٦، ص٦٩، (متن شرح النووي).

وما يحمل على القول بضرورة موافقة الأولين ما أثبتته المشاهدة من أن اعتبار ظاهر الأدلة بعيداً عن فهم السلف مفضٍ في أغلب الأحيان إلى التعارض والاختلاف، وتعارض الظواهر كثير مع القطع بأن الشريعة لا اختلاف فيها، وقد جعل الشاطبي مخالفة عمل الأولين موكولاً لنظر المجتهدين هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فقد ذكر الشاطبي أنه قلما يخالف أهل الاجتهاد عمل الأولين، وتقع مخالفة السلف عادة ممن أقحم نفسه بين المجتهدين، وهو دونهم في المرتبة[1].

ثالثاً: الانطلاق في الانتصار لكتاب الله من قاعدة التسليم لا من قاعدة الشك :

من المعلوم بالدين بالضرورة وجوب التصديق والتسليم بما أخبر به الرسول-ﷺ، وإن لم نعلم ثبوته بالعقل، " ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ (الأنعام: ١٢٤)، ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمناً بالرسول ولا متلقياً عنه .."[2]، ولا يعني هذا بحال إهمال الأدلة العقلية، فكتاب الله وسنة نبيه جمعا بين الطريقين السمعي والعقلي.

والانطلاق من قاعدة التسليم للنصوص منهج مضطرد أرساه لنا صحابة رسول الله ﷺ، ولا أدل على هذا المنهج من الأثر الذي روي عن أبي بكر في تعقيبه على حادثة الإسراء؛ روى الحاكم في مستدركه أن أبا بكر عندما سمع لغط الناس في قصة الإسراء والمعراج أجاب بثبات وهدوء: (........لئن كان قال ذلك لقد صدق..) ولهذا سمي بالصديق، فقد قدم التسليم والتصديق على الاستدلال العقلي، لكنه لم يلغه بل استخدمه قريناً للتسليم إذ قال: (..إني لأصدقه في أبعد من ذلك؛ أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة..) .

---

(١) الشاطبي، الموافقات، مج٣/ ص٢٨٦.

(٢) السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ص٣٧.

وعليه فهذا التعاضد بين النقل والعقل على المسائل الشرعية مشروط بتقدم النقل فيكون متبوعاً، وتأخر العقل فيكون تابعاً، " فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرِّحه النقل، (لأنه) لو جاز تخطّي مأخذ النقل لم يكن للحد الذي حده النقل فائدة لأن الفرض أنه حد له حداً، فإذا جاز تعديه، صار الحد غير مفيد، وذلك في الشريعة باطل، فما أدى إليه مثله، ولو جاز هذا لجاز إبطال الشريعة بالعقل، وهذا محال باطل "(1).

رابعاً: النظر إلى الجزئيات في ضوء الكليات دون قطع النظر عن الجزئيات

وهذه من الأصول المهمة التي ينبغي ألّا تغيب عن المنتصر لكتاب الله؛ فالكليات قواعد مطردة لا تنهض لمعارضتها الجزئيات، إضافة إلى سهولة تناول الكليات عند الدفاع عن القرآن مما يؤدي إلى سرعة تبكيت الطاعن، ورد شبهاته، وانقطاع خصامه، يقول الشاطبي في هذا المقام: "ومثال هذا ما وقع في بعض المجالس، وقد ورد على غرناطة بعض طلبة العدوة الأفريقية، فأورد على مسألة العصمة الإشكال المورد في قتل موسى للقبطي، وأن ظاهر القرآن يقضي بوقوع المعصية منه عليه السلام بقوله: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (القصص: 15) وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ (القصص، 16)، فأخذ معه في تفصيل ألفاظ الآية بمجردها، وما يذكر فيها من التأويلات بإخراج الآيات عن ظواهرها، وهذا المأخذ لا يتخلص، وربما وقع الانفصال على غير وفاق؛ فكان مما ذاكرت به بعض الأصحاب في ذلك: أن المسألة سهلة في النظر إذا روجع بها الأصل، وهي مسألة عصمة الأنبياء عليهم السلام؛ فيقال له: الأنبياء معصومون من الكبائر باتفاق أهل السنة، وعن الصغائر باختلاف، وقد قام البرهان على ذلك في علم الكلام؛ فمحال أن يكون هذا الفعل من موسى كبيرة، وإن قيل إنهم معصومون أيضاً عن الصغائر، فمحال أن يكون ذلك الفعل منه ذنباً، فلم يبق إلا أن يقال: إنه ليس

(1) الشاطبي، الموافقات، مج1، ص125+ص131.

بذنب، ولك في التأويل السعة بكل ما يليق بأهل النبوة ولا ينبو عنه ظاهر الآيات فاستحسن ذلك، ورأى ذلك مأخذاً علمياً في المناظرات، وكثيراً ما يبني عليه النظار، وهو حسن والله أعلم"[1].

والنظر في الكليات لا يعني بحال قطع النظر عن الجزئيات، إذ إن الكليات لا تقوم لها قائمة إلا بجزئياتها، والوجود الحقيقي في الواقع للجزئيات، أما القواعد الكلية فوجودها نظري، ومع هذا فإن مخالفة الجزئي للكلي لا يجعله ينخرم، بل يُقدم الأهم من الجزئيات بحسب قواعد الترجيح والنظر، وتعد هذه الجزئيات مخصصة للقواعد الكلية، أو مقيدة لمطلقها، وما أشبه ذلك بحيث لا يكون إخلالاً بالقاعدة العامة ولا إهمالاً لجزئها المتخلف عنها، هذه الحركة المكوكية بين الجزئيات والكليات هي ما ينبغي أن تكون الأبرز في قضية الانتصار لكتاب الله، والتي وصفها الشاطبي بأنها:"منتهى نظر المجتهدين بإطلاق، وإليه ينتهي طلَقهم، في مرامي الاجتهاد" [2].

هذه الأهمية للكليات توجب على المتصدي للانتصار للقرآن توجيه عنايته لها، وضبط المتفق عليه والمختلف فيه منها في أصول العلوم؛ ومثال هذا قواعد التفسير ودورها في الحد من التأويلات المنحرفة، وأصول الفقه ودورها في دفع الشبهات المثارة على الأحكام التكليفية، ومقاصد التشريع التي ينبغي اعتبارها عند الاستدلال في معرض الحجاج، وغير هذا من الكليات التي يحسن استعمالها في موطن الحجاج.

خامساً: اتباع منهج القرآن في الانتصار للقرآن، فهو صالح لكل زمان ومكان:

لأن الأعلم بالخلق هو رب الخلق جاء منهج القرآن في الانتصار على أكمل وجه وأتمه، وحوى كتاب الله من الأدلة والبراهين ما فيه الغناء عن غيره، لكنه جاء على

---

(١) الشاطبي، الموافقات، مج٤ ص١٢+ص١٣.

(٢) الشاطبي، الموافقات، مج٣، ص١٨٠.

عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين، وقد جعل ابن الحنبلي(٦٣٤هـ) عدد الأدلة على مصدر القرآن ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام في كتاب الله مئة وأربعة عشر دليلاً بعدد سوره، ومن هذه الأدلة التحدي بالمعجز منه، والإخبار بالغيب، وغيرها.

ومن "تأمل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية، وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق أمور عظيمة لا يقاربها بيان ولا تحقيق"(١).

وقد استنبط المتكلمون بدقيق فكر، وإجالة نظر البراهين العقلية من كتاب الله على طرقهم في الحجاج والاستدلال من منع ونقض ومعارضة وقياس وغيرها؛ فأمثلة القرآن هي أقيسة عقلية سواء أكانت قياس شمول أو قياس تمثيل، ومن ضمن ذلك ما يسمى البراهين، وهي القياسات الشمولية المؤلفة من المقدمات اليقينية، ومن صور النقض في القرآن التي ذكرها المتكلمون قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (القصص: ٤٨) وهنا ذكر القرآن اعتراضهم على النبي -ﷺ- بأنه لم يؤت ما أوتي موسى ولهذا لم ولن يؤمنوا برسالته، فجاء النقض(٢) بأنهم كفروا بما أوتي موسى ابتداءً ودليل كفرهم أنهم قالوا (ساحران تظاهرا)(٣).

إن هذا المنهج المتفرد للقرآن في دفع الشبهات والرد على الطاعنين جعله الغزالي مثل الغذاء الذي ينتفع به كل إنسان، و" أدلة المتكلمين كالدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون، بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل

---

(١) السعدي، **طريق الوصول إلى العلم المأمول**، ص٣٨.

(٢) والنقض هو إبطال الشبهة بدليل وجاء القرآن بدليل كفرهم بأن ساق قولهم:(ساحران تظاهرا).

(٣) ابن الحنبلي، ناصح الدين، أبو الفرج عبد الرحمن الأنصاري(ت٦٣٤هـ)، **استخراج الجدل من القرآن الكريم**، ينظر ص٤٢ وما بعدها.

القوي، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة، ويمرضون بها أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلاً؛ ولهذا قلنا أدلة القرآن أيضاً ينبغي أن يصغي إليها إصغاء إلى كلام جلي، ولا يماري فيه إلا مراء ظاهراً، ولا يكلف نفسه تدقيق الفكر، وتحقيق النظر.."(١).

والناظر المدقق في منهج الانتصار للقرآن في القرآن يجده صالحاً لكل زمان ومكان، وغيره من المناهج تتغير بتغير الواقع الذي أنتجها، ولهذا لا ينبغي أن يعدل عن منهج كتاب الله في الانتصار إلى غيره، ولا مانع أن يضم له غيره من المناهج إذا استدعت الضرورة بحسب طبيعة المرحلة التي انتشرت فيها المطاعن، وطبيعة منهج الطاعن، وهذا ما قصده ابن خلدون بقوله: إن علم الكلام في زمنه غير ضروري على طالب العلم، لأن الملاحدة والمبتدعة قد انقرضوا في عهده، ومدونات أهل السنة كفتنا شأنهم "..والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا، وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه البارئ عن الكثير من إيهاماته و إطلاقاته. ولقد سئل الجنيد رحمه الله عن قوم مر بهم من المتكلمين يفيضون فيه فقال: ما هؤلاء؟ فقيل: قوم ينزهون الله بالأدلة عن صفات الحدوث وسمات النقص، فقال: (نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب). لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية .."(٢)، وكلام ابن خلدون دقيق في بابه؛ حيث جعل مناهج المتكلمين والمنطقيين مفيدة لآحاد الناس وطلبة العلم، وعد من غير اللائق أن يجهل حامل لواء السنة، والمدافع عن القرآن وسائل عصره، ولغته الفكرية، ومناهجه العلمية.

وما قيل عن الانتصار للقرآن في القرآن يقال عن الانتصار للقرآن في السنة، فهذا

---

(١) الغزالي، أبو حامد، إلجام العوام عن علم الكلام، ص٨١.
(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٦١.

المنهج النبوي الذي سبق وذكرناه في موضع سابق من الكتاب، هو منهج صالح للتطبيق في كل زمان ومكان، ولا يعدل عنه إلى غيره؛ ولكن يمكن ضمه إلى غيره من المناهج بحسب ما تقتضيه الحاجة؛ ولهذا نعده أصلاً من الأصول الرئيسة للانتصار.

سادساً: العلم باللغة العربية:

يعد العلم باللغة العربية ودقائقها من أهم الأدوات المعرفية لمن يتعامل مع كتاب الله، ولمن يندب نفسه للانتصار له؛ فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، وجاء التحدي بمعارضته لأهل الفصاحة والبيان فوقع منهم العجز وهم أهل اللغة العربية وأبناء بجدتها، ولا يفهم القرآن إلا باللغة؛ فإذا ثبت هذا فلا يحق أن يتكلم أحد في أصول الشريعة وفروعها حتى يكون عربياً متقناً، أو يكون بالغاً مبلغ العرب في علمه بلغتهم، فإن أشكل عليه أمر من الكتاب لفظاً أو معنى فلا يقدم على القول فيه دون الرجوع إلى من له علم بالعربية، يقول الشافعي :"...لزم كل من أراد أن ينظر في الكتاب والسنة أن يتعلم الكلام الذي به أديت، وأن لا يحسن الظن بنفسه قبل الشهادة له من أهل علم العربية بأنه ممن يستحق النظر، وأن لا يستقل بنفسه في المسائل المشكلة التي لم يحط بها علمه دون أن يسأل عنها من هو من أهلها، فإذا ثبت على هذه الوصاة كان-إن شاء الله-موافقاً لما كان عليه رسول الله ﷺ"[1].

وقد استخدم العلماء طريق اللغة في الانتصار لربانية مصدر القرآن، وظهرت المؤلفات في إعجاز القرآن، يقول الخطابي:"واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أحسن المعاني"[2]، ويقرر الخطابي حقيقة ما يمكن أن يجره الجهل باللغة على كتاب الله من مطاعن بقوله:"..من لم يقف على هذه الأسباب[3] ثم قاس ما جمعه من تلاد الكلام الأول، واعتبره بها وجد عليه

---

(١) نقلاً عن كتاب: الشاطبي(ت٧٩٠هـ)، الاعتصام، مج٣، ص٣٦٨.

(٢) الخطابي، ثلاث رسائل في الإعجاز، ص٢٧.

(٣) يقصد بالأسباب أسباب ما دخل الكلام في الزمان المتأخر من الخلل والاستحالة عن رسمه الأول.

كلام الإنشاء من المتأخرين عيّ بشيء كثير من الكلام وأنكره، وأما من تبحر في كلام العرب، وعرف أساليبه الواسعة، ووقف على مذاهبه القديمة فإنه إذا ورد عليه منها ما يخالف المعهود من لغة أهل زمانه، لم يسرع إلى النكير فيه والتلحين"[١].

ثم ساق الخطابي مثلاً لأهمية اللغة في دفع المطاعن عن كتاب الله قال:" ....عن أبي العباس بن سريج قال: سأل رجل بعض العلماء عن قول الله عز وجل: (لا أقسم بهذا البلد) فأخبر أنه لا يقسم ثم أقسم به في قوله: (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) ، قال ابن سريج: أي الأمرين أحب إليك، أجيبك ثم أقطعك، أو أقطعك ثم أجيبك؟ قال: لا بل اقطعني ثم أجبني. فقال له: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهراني قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزاً، وعليه مطعناً فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم عملوا وجهلت، فلم ينكروا منه ما أنكرت، ثم قال له إن العرب قد تدخل (لا) في أثناء كلامها وتلغي معناها.......(وقد تحذف حروف في أماكن وتثبت معناها)...ثم صار المتأخرون إلى ترك هذه الاستعمالات في كلامهم"[٢].

و قرر الخطابي أن السبيل لاطمئنان القلب، وإزالة ريب الصدر، والتخلص من شغَب الخصم هو العلم باللغة العربية وفنونها وأساليب المتقدمين والمتأخرين فيها.

وكثرت المؤلفات في لغة القرآن، من مجاز ومشكل وغريب وغيرها رداً على الشبهات المثارة على كتاب الله، ودفعاً للتأويلات المنحرفة، ويعد مشروع ابن قتيبة مثالاً لأهمية اللغة في الانتصار للقرآن الكريم، مثل كتاب تأويل مشكل القرآن، وكتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، وذكر ابن قتيبة في مقدمة هذا الكتاب أنه لم يتجاوز جانب اللغة في أكثر الرد على ما تأولته الجهمية من القرآن

---

(١) الخطابي، ثلاث رسائل في الإعجاز، ص٤٦+٤٧.

(٢) الخطابي، ثلاث رسائل في الإعجاز، ص٤٧+٤٨.

والحديث.

ومن أمثلة ما تأوله الطاعنون من القرآن والرد عليهم من زعم منهم، أن الله أباح "للرجل نكاح تسع من الحرائر مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ (النساء:٣)؛ لأن أربعاً إلى ثلاث إلى اثنتين تسع، ولم يشعر بمعنى فُعَال ومَفعل في كلام العرب، وأن معنى الآية: فانكحوا إن شئتم اثنتين اثنتين، أو ثلاثاً ثلاثاً، أو أربعاً أربعاً؛ على التفصيل، لا على ما قالوا"[1].

وتساعد قواعد تفسير القرآن المتعلقة باللغة على استنباط قواعد انتصار متعلقة باللغة، مثل:

-كل حمل لنصوص القرآن على غير معهود العرب في الخطاب مردود، ومثله كل حمل لألفاظ كتاب الله على اصطلاح حادث.

-كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء وفي هذه القاعدة رد على التأويلات الباطنية والإشارية والإلحادية والتكهنات المستقبلية التي يدعي البعض استنباطها من كتاب الله بحساب الجمل والحروف، وفي ما سبق رد على كل من حاول لَيّ أعناق النصوص في سبيل إسقاطاته الفكرية والعقدية.

-القرآن عربي؛ وعليه فكل مسلك في الاستنباط والاستدلال يخالف مسلك العرب في تقرير معانيه مردود[2].

وقد أثيرت في العصر الحاضر شبهة عدم إمكانية حصر الدلالة بسبب التطور الدلالي، وهذا يعني أن تفسير القرآن من المتغيرات في كل زمان ومكان، فالنص كائن

(١) الشاطبي، **الاعتصام**، مج٣، ص٣٧١، ووقد ذكر الشاطبي أمثلة أخرى.
(٢) للإطلاع على مزيد من الأمثلة التطبيقية ينظر:
-السبت، خالد بن عثمان، **قواعد التفسير جمعاً ودراسة**، مج١، ص٢١٣ وما بعدها.

حي ينمو بنمو قارئه ولهذا أفلت من قيود علم التفسير، والاحتكام إلى القواعد العامة للغة العربية كفيل بدفع هذه الشبهة؛ حيث لم يثبت في قواعد اللغة العربية أو فقهها:" أن الصياغة العربية المعبرة عن المعنى يمكن أن تتجاوز نفسها إلى معنى جديد...فمعنى جديد كلما تقادم عصر وجد عصر، مهما كانت الصياغة مطلقة عن حدود الزمان والمكان والأشخاص، ومن ثم يجب إخضاع كل عصر لقراءة جديدة أي لفهم ومعنى جديدين" [1].

فهل يمكن فيما تقرره اللغة أن يكون أكثر من معنى لجملة (حاصل ضرب ثلاثة في ثلاثة يساوي تسعة) أو (مجموع زوايا المثلث تساوي ١٨٠ درجة)؟ وهل يمكن أن يخضع المعنى السابق للتغير مع التطور الدلالي؟ والحق أن مثير هذه الشبهة إما أن يكون جاهلاً بقوانين اللغة أو مدعياً عليها، "فالصيغ المطلقة عن قيود الزمان والمكان والأحوال والأشخاص لا تصلح للدلالة على أكثر من المعنى الذي وضعت له، ولا سلطان للعصور أو الظروف في تغيير شيء من قانون هذه الدلالة أو تضييق شيء من عمومها"[2].

- بالرغم من هذه المركزية للغة فهناك ألفاظ لا حاجة فيها للاستدلال اللغوي: فكل لفظ من ألفاظ القرآن عرف تفسيره وما أريد به من جهة الشرع "لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم، ولهذا قال الفقهاء الأسماء ثلاثة أنواع: نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة، ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر، ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض، والمعروف في قوله: وعاشروهن بالمعروف"[3]، وعلى هذا الأصل دارت دراسات الأشباه والنظائر قديماً ودراسات المصطلح القرآني الحديثة.

---

(١) البوطي، محمد سعيد، هذه مشكلاتهم، ينظر(الخلفية اليهودية لشعار قراءة معاصرة)، ص٢٤٧+٢٤٨.
(٢) البوطي، مصدر سابق، ص٢٤٨.
(٣) السعدي، ، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ص١٧.

هذه المكانة المركزية للغة العربية في الاحتجاج لمصدر القرآن، وفهمه الفهم القويم، والانتصار له من التأويلات المنحرفة جعل منها هدفاً للطعن شأنها شأن القرآن، وخرجت دعوات مشبوهة لطرح العربية قديماً وحديثاً، يقول الزمخشري:" ولعل الذين يغضون من العربية، ويضعون من مقدارها، ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها؛ حيث لم يجعل خيرة رسله، وخير كتبه في عجم خلقه، ولكن في عربه، لا يبعدون عن الشعوبية، منابذة للحق الأبلج، وزيغاً عن سوء المنهج"(1). وما زالت اللغة العربية تتعرض لهجمة شرسة من المتأخرين، وما لم ينتهِ الفصام النكد بين تخصص اللغة العربية والعلوم الشرعية، فلن يؤتي الدفاع عن كليهما أُكله.

سابعاً: الإلمام بآحاد المسائل في كل ما يتعلق بالقرآن من علوم:

بالرغم من أن الاستدلالات النظرية العقلية، وقواعد المنطق تجزئ في نقض الشبهة وإثبات تهافتها لمن ليس عنده علم بآحاد المسائل؛ إلا أن الانتصار لكتاب الله أوسع من هذا، فهو يتضمن إثبات الحق فيما يتعلق بموضوع الطعن، والاحتجاج له بالأدلة والبراهين، وهذا لا يتأتى للمنتصر إلا بما أسميناه (الإلمام بآحاد المسائل).

وقد جعل البعض إيراد الحجج أولى من دفع الشبه، فعلى سبيل المثال يعد من أوجب الواجبات للمتصدي لدفع الشبهات المثارة حول حفظ الله لكتابه من الزيادة والنقص والتحريف، أن يكون عنده علم بتاريخ تدوين القرآن وجمعه من لدن عصر النبي عليه الصلاة والسلام، مروراً بأبي بكر رضي الله عنه، وصولاً إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وما طرأ بعده من أوجه العناية بكتاب الله من نقط وشكل وغيره. وفي قضية الشبهات المثارة في قضية النسخ ينبغي على المتصدي لها أن يعلم أصل هذا

---

(1) نقلاً عن شرح المفصل، ينظر:

-عباس، فضل حسن، **البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية**، ص151، وقد ذكر الدكتور تاريخ الدعوة إلى العامية وذكر مواقف للطاعنين في العصر الحاضر من اللغة العربية.

العلم، وتاريخه، وأدلة وقوعه في كتاب الله وسنة نبيه، وأن يعلم الفرق بين اصطلاح المتقدمين والمتأخرين فيه، وقد أودى عدم العلم بتفاصيل هذه المسائل عند البعض في معرض دفعه عن كتاب الله إلى إنكار النسخ بالكلية، وقس على هذا الشبهات المثارة حول القراءات والتفسير وأسباب النزول وغيرها.

ومما يثير الفخر والاعتزاز ما يسمى علوم الآلة؛ وهي نتاج الجهود التي بذلها المسلمون لخدمة النص القرآني من علوم قرآن وغيرها، والتي غدت من الأدوات المهمة للانتصار، وعليه فالدارس لهذه العلوم يتسلح: " .....بسلاح قوي حاد ضد غارات أعداء الإسلام التي شنوها على (القرآن الكريم) زوراً وبهتاناً، واختلقوا عليه ما شاء لهم هواهم أن يختلقوا. ولا شك أن الدفاع عن القرآن الذي هو أصل الإسلام من أوجب الواجبات على الأمة الإسلامية ولا سيما علماؤها وأهل الرأي فيها، وإنه لشرف عظيم وفضل كبير أن يكون المسلم منافحاً عن الكتاب الجليل "[1].

(١) أبو شهبة، محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص٢٥+٢٦.

المبحث الثالث

قواعد الانتصار للقرآن الكريم

ارتأيت تقسيم قواعد الانتصار إلى ثلاثة أقسام ليسهل النظر فيها والإفادة منها، وهذه الأقسام هي: قسم يختص بالشبهات، وقسم يتعلق بالمنتصر لكتاب الله، وقسم يختص بعملية الانتصار.

أولاً: قواعد تتعلق بالشبهة:

من قواعد الانتصار المتعلقة بالشبهة:

أ-فهم الشبهة فهماً تاماً والوقوف على مراد صاحبها وتحرير محل النزاع قبل التصدي للرد عليها:

لا ينبغي للمتصدي للدفاع عن القرآن الكريم أن يشرع في عملية الانتصار قبل فهم الشبهة فهماً دقيقاً، ولفهم الشبهة ينبغي أولاً فهم نص الطاعن، والوقوف على مقاصده، وهذا الفهم يتأتى من خلال عمليتين بحثيتين؛ الأولى هي الفهم المصطلحي، والثانية هي الفهم المنهجي للطاعنين في كتاب الله.

١-الفهم المصطلحي:

تعد دراسة المصطلحات، والعلم بحقلها المعرفي الذي تنتمي إليه، وتحرير العوائق المصطلحية الخطوة الأهم في تحرير محل النزاع .

والحق أن عملية البحث المصطلحي هي الأصعب والأخطر في عملية الانتصار لكتاب الله، وتمتد عبر ثلاثة محاور رئيسة :

١-**محور تأصيلي**: يهدف إلى ضبط مصطلحات العلوم القرآنية للوقوف على مفاهيمها ومقاصدها، ومعرفة الفرق بين المتقدمين والمتأخرين في استعمالات المصطلح.

هذه الأهمية للتأصيل المصطلحي تنبع من أن المصطلحات في أي حقل معرفي هي التي تحدد معالمه، وأسسه، وتطبيقاته التاريخية.

٢-**محور تأسيسي**: يهدف إلى متابعة مستجدات علوم القرآن، واستحداث مصطلحات تواكب ما جد من العلوم والمعارف "بناء على قوانين الاشتقاق ومقاصد الاستعمال للكلام عرفاً وشرعاً". ذلك أنه قد "غلب على الباحثين العرب في وضع مصطلحاتهم العلمية، وبناء أجهزتهم الوصفية والتفسيرية، الاشتغال بقوالب ومعايير اللغات الأجنبية: الفرنسية والإنجليزية، فلا نكاد نجد عند معظمهم من المعاني العلمية إلا ما كان نقلاً حرفياً عن مصطلحات أجنبية من غير وعي بأصولها النسبية، وفائدتها المحدودة (وأصبحت) ألفاظهم أشكالاً منقطعة الصلة بدلالاتها اللغوية"(١).

ويعد المحور التأسيسي عاصماً من محاولات حشر دلالات مصطلحات جديدة في مصطلحات تراثية بدعوى الحفاظ على الأصل، ويعتقد أصحاب هذه المحاولات أنها تكفيهم مؤونة الاستحداث المصطلحي، لكن النتيجة تكون إفساد المفهوم القديم والحديث لاشتراك المفهومين في مصطلح واحد مما يؤدي "..إلى مشترك لفظي غير مرغوب فيه، بالإضافة إلى سوء الفهم"(٢) .

٣-**محور هدمي**: يهدف إلى إثبات التهافت المصطلحي عند الطاعنين في نصوصهم، وما وقعوا فيه من فوضى واضطراب تأباه العلوم النظرية.

ومن أمثلة الاضطراب المصطلحي الذي وقع فيها الطاعنون تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد، ومثاله الخلط بين القرآن والمصحف في التعبير عن كلام الله، وتعدد المفاهيم للمصطلح الواحد، ومثاله إطلاق مصطلح (أسباب النزول) على السياق

---

(١) عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص٢٩.

(٢) بارة، عبد الغني، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر: مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، ص٢٩٤.

التاريخي لنزول القرآن، وعلى سبب النزول.

ومن أمثلة الاضطراب كذلك وقوع الطاعنين في ذاتية المصطلحات وهذا أدى إلى فوضى مصطلحية عارمة أفقدت كل علم قوة مصطلحاته، فمصطلح كل علم يكتسب قوته من تواضع أهل التخصص عليه فأي قوة للمصطلح تبقى إن أصبح ذاتياً يحق لكل فرد محاسبة الآخرين على ما اصطلح هو عليه؟

وقد أدت هذه الذاتية المصطلحية عند الطاعنين في بعض الأحيان إلى خلط بين المعنى الاصطلاحي العلمي للمفردة ومعناها اللغوي.

وأنا في هذا المقام أقر بحقيقة أن الضبط المصطلحي ما هو إلا وسيلة لضبط المفاهيم، ومن هنا جاءت مقولة (لا مشاحة في الاصطلاح)، وللخصم أن يصطلح ما شاء ولا يعاب عليه ما دام المصطلح منضبطاً بشروط ثلاثة : ألّا يخالف حقيقة شرعية، وألّا يخالف حقيقة لغوية، وأن لا ينتج عن الاصطلاح الحادث مشترك لفظي في حقل معرفي واحد مما يؤدي إلى خلط في المفاهيم.

٢-الفهم المنهجي:

يتكون المنهج العلمي من قسمين:

١-**القسم الإجرائي**: ولنا أن نسميه الجانب المرئي من المنهج وهو عبارة عن الخطوات العلمية الملتزمة بقواعد ومقاييس، و تساعد في الوصول إلى الحقيقة والتدليل عليها.

٢-**القسم النظري**: وهذا القسم يمثل الجانب الذهني في المنهج، وهو الرؤية التي أنتجت المنهج.

والفهم المنهجي يعني الإلمام بجانبي المنهج، ومحاولة تصور البناء النظري القابع

خلف المطاعن في كتاب الله؛ وقد يكون هذا البناء فلسفة متكاملة تبناها الطاعن[1]، أو تلفيقاً بين المذاهب والفلسفات[2]، أو اجتزاء لفلسفة ما[3]، ولا يمكن الانتصار لكتاب الله دون هذا الفهم؛ إذ كيف يمكن دفع الانحرافات التأويلية عند القاضي عبد الجبار و الزمخشري و أمالي الشريف المرتضى دون العلم بالأصول الخمسة للمعتزلة؟ وإذا كان الجابري هو النسخة العربية لميشيل فوكو فكيف يمكن كتابة الردود على الجابري دون العلم بفلسفة فوكو؟ وكيف نرد مطاعن ماركسي حتى النخاع مثل الجابري دون فهم المنهج المادي الماركسي؟ أو نرد على شبهات أركون دون الإلمام بالتفكيكية أو البنيوية؟

ب- العلم بالقضية القرآنية التي تدور حولها الشبهة:

وجوب العلم بالقضية القرآنية مرده إلى أنه لما كان لا يجوز القول في كتاب الله إلا على بينة، فكذلك لا يجوز الانتصار لكتاب الله إلا على بينة.

ونعني بالقضية القرآنية، القضية التي عليها مدار الشبهة من أسباب نزول، أو جمع القرآن، أو القراءات، أو التأويل، أو تشكيك في مصدر القرآن أو أخباره.

وبين هذه القاعدة والأصل الذي ذكرناه سابقاً(الإلمام بآحاد المسائل)عموم وخصوص، وإجمال وتفصيل.

ومن لوازم العلم بالقضية القرآنية ما يلي:

١-الاهتمام بتاريخ هذه القضية، وفهم مصطلحاتها، ومستندها الشرعي.

٢-الاطلاع على آراء المتقدمين والمتأخرين في القضية القرآنية، ومناهجهم في

---

(١) مثل الفلسفة المادية التاريخية و الوجودية والتفكيكية من الفلسفات الحديثة، أو الاعتزال والتشيع من الفلسفات القديمة.

(٢) البعض لفق بين البنيوية والتفكيكية وآخرون لفقوا بين الاعتزال والتشيع.

(٣) مثل اجتزاء التطور من الداروينية.

البحث فيها، وفهم اختلافاتهم، للاسترشاد لا للاستسلام والانقياد، فالعقل المسلم واع، وناقد، وليس للمتقدم على المتأخر سلطان إلا سلطان الدليل.

٣-استقراء النصوص المتعلقة بالقضية الواحدة دون التعويل على اختلاف بعينه، ودون انتصار لمذهب معين أو تشقيق.

٤-جمع آراء الفرق المنحرفة والمبتدعة والمذاهب المتفرقة وأدلتهم في القضية مثار الشبهة والردود عليها، فقد يجد المنتصر من التشابه في المطاعن والردود ما يختزل عليه الأوقات ويكفيه مؤونة الرد على الطاعنين في عصره.

وفوائد العلم بالقضية القرآنية التي عليها مدار الشبهة كثيرة منها:

١-انتقال المنتصر لكتاب الله من الشك إلى اليقين، ومعلوم أن العلم اليقيني يترسخ بمذاكرة المسائل، وينتهي النظر والتحقيق إلى البرهان الشرعي في العلوم، فتصبح كل الشكوك التي ترد على هذه المسألة القرآنية كالبراهين الدالة على صحة ما لدى المنتصر"... فهو يتعجب من المتشكك في محصوله كما يتعجب من ذي عينين لا يرى ضوء النهار.."[(١)].

٢-التفريق بين الظني والقطعي، وبين ما يعد طعناً في كتاب الله وما يعد خلافاً معتبراً عند علماء الأمة؛ فقد يعتقد المنتصر كلام أحدهم من الشبهات، وهو في الحقيقة من الخلاف المعتبر بين العلماء، مما يوقعه في مغالطة كبيرة تؤدي إلى تهافت دفاعه عن كتاب الله، وسقوطه بالكلية.

٣-وضع اليد على موضع الخطأ في الشبهة، فقد يخلط الطاعن الحق بالباطل، والخطأ بالصواب في شبهاته، فيلتبس الأمر على المنتصر فيرد الكل، ويخسر ثقة المتابع له، ولا يلتفت أحد إلى ردوده.

---

(١) الشاطبي، الموافقات، ٥/ ٢٢٥،

ج-تصنيف الشبهة:

ونعني بتصنيف الشبهة أمرين:

١-هل الشبهة من قبيل التصورات أم التصديقات؟

٢-هل الشبهة دعوى من الطاعن أم نقلها عن غيره؟

وسأتناول التصنيفين بشيء من التفصيل:

١-هل الشبهة من قبيل التصورات أم التصديقات[1]؟ :

تنقسم المدركات الذهنية إلى مدركات ضرورية ومدركات نظرية؛ والمدركات الضرورية هي التي لا تحتاج إلى استدلال وبرهنة، ومن هذه المدركات الضرورية وجود الإنسان، وما يستطيع إدراكه بحواسه....، أما المدركات النظرية فهي تحتاج إلى النظر والاستدلال؛ ومن هذه المدركات النظرية كل الحقائق العلمية التي توصل إليها الإنسان في العلوم الطبيعية أو الإنسانية، وقد تنقلب القضايا النظرية بعد تمكنها في النفس إلى ما يشبه الضروري.

ومما لا شك فيه أن شبهات الطاعنين لا تدور حول البديهيات التي تدرك بالحواس والأدلة المادية، بل هي تدور في الأعم الأغلب حول المدركات الذهنية النظرية، وهذه المدركات النظرية لا تخرج عن كونها تصورات أو تصديقات.

والتصور: هو اللفظ المفرد الذي يقع في الذهن صورته، أو هو المصطلح الذي يحيل إلى مفهوم ذهني، أو هو الحد كما سماه المنطقيون و بنوا على تعريفه مباحث الحد،

---

(١) قد يعتقد القارئ أن هناك تداخلاً بين ما أسميناه الفهم المصطلحي لنصوص الطاعنين وبين تصنيف الشبهة، والحق أن الفهم المصطلحي مرحلة نظرية بحتة سابقة على تصنيف الشبهة، وتصنيف الشبهة قضية نظرية تطبيقية تهدف إلى اختيار نوع الردود التي سيعتمدها المنتصر في معرض دفاعه عن كتاب الله، والفرق بينهما دقيق ويحتاج إلى نظر سديد.

وإن كان ما اشترطوه يتعذر الإتيان به[1].

ويكفي أن نقول إن التصور ما يتوقف عليه معرفة المعنى المطلوب من اللفظ وتمييزه عن غيره بطريق تقريبي يليق بجمهور الناس؛ فالطاولة تحيل إلى شيء مصنوع من الخشب له أربعة أقدام، والصلاة مفردة تحيل إلى ذلك الفعل التعبدي الذي فرضه الله ومن أركانه الركوع والسجود، والقرآن مفردة تحيل إلى كلام الله المنزل على رسوله المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور والسطور، المنقول بالتواتر.

وقد أولى علماء المسلمين عنايتهم لمباحث الحد، والتعريف المنطقي، الذي هو تعريف الألفاظ و تحديد معانيها تحديداً دقيقاً، فالتواصل بين الناس ومراكمة العلوم قائم على فهم مدلولات الألفاظ. ولأن المفردات لا تحتاج إلى الحكم بالإثبات والنفي على علاقاتها مع صورها الذهنية، فإن الطريق للضبط المصطلحي هو التواضع بين أهل اللغة الواحدة، أو الاصطلاح بين أهل علم بعينه، أو النص الشرعي من كتاب وسنة.

واستخدم سقراط قضية التعريف بالمفردات في محاولة منه لقطع الطريق على (السفسطائيين)[2] و"منعهم من التلاعب بالألفاظ، فكان إذا تحدث أحدهم عن الشجاعة أو الشرف أو الاعتدال أو العفة مثلاً، يسأله سقراط بإلحاح: ما معنى الشجاعة؟ فكان بذلك يطلب حقائق الأشياء، أو جوهرها، وقد تمكن بمنهجه المعروف بمنهج (التهكم والتوليد) من وضع أسس مبحث(التعريف) أو فلسفة (التصور)"[3].

---

(١) ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ينظر تفنيده لمباحث الحد عند المناطقة.

(٢) مذهب فكري فلسفي نشا في اليونان في نهاية القرن السادس وبداية الخامس قبل الميلاد، وهذا المذهب قام على الجدل وفصل الدال عن المدلول.(Wikipedia)

(٣) المهدي، محمد بن حسن، بهجة المجالسة حول آداب البحث والمناظرة، ص١١١، ص١١٢.

أما التصديق: فهو إدراك العلاقة بين مفردتين، أو ما يُسمى النسبة بين مفردتين، وهذه العلاقة تحتاج أن يحكم الذهن بإثباتها أو نفيها، بقطع النظر عن صحة هذا الحكم؛ فعلى سبيل المثال اللغة العربية تصور، والتفسير تصور، وإدراك العقل للعلاقة أو النسبة الموجبة بينهما هو الإدراك التصديقي[1]، والشمس تحيلنا إلى مفهوم الكوكب الحارق فهي إدراك تصوري(تصور) وكذا الحرارة، والعلاقة الموجبة بينهما هي تصديق، ويتبين لنا هنا أن الإدراك التصوري يأتي أولاً ويليه رتبة الإدراك التصديقي.

وتقوم عملية الانتصار للقرآن الكريم على ركنين: الأول فهم المدركات الذهنية النظرية التي في ذهن الطاعن سواء ما كان منها تصورات أو تصديقات، ثم تصحيحها بنقل المدركات الذهنية الموجودة عندنا للطاعن ولغيره، حتى يدركها الناس كما ندركها.

وعدم وجود وسائل حسية مادية تفيدنا في إلزام الطاعنين بهذا الإدراك النظري يجعل المنتصر مضطراً لتصنيف الشبهة أولاً؛ فإن كانت من قبيل التصورات، جعل التعريفات طريقه لردها.

والتعريف هو القول الشارح للمفردة التي يتحصل به صورتها في الذهن، وليس بالضرورة أن يكون التعريف مصطلحياً حدياً، فقد تكون بعض المفردات عصية على التعريف المصطلحي، فلا مانع من تصحيح التصورات بتعاريف وصفية إجرائية مفاهيمية[2].

---

(١) ونعني بالعلاقة الموجبة أن اللغة العربية ركن من أركان التفسير، أو من قواعد التفسير الإلمام باللغة العربية، أما العلاقة السالبة فهي على سبيل المثال: الإسرائيليات ليست تفسيراً لكتاب الله، أو الشاهد الشعري ليس تفسيراً، فالنسبة بين الإسرائيليات والتفسير نسبة سالبة، والذي دل على السلب هو (ليس) فهي أداة السلب.

(٢) وهذا يشبه ما سماه المناطقة بالرسم أو التعريف بالوصف.

أما إن كانت الشبهة من قبيل التصديقات، فالمنتصر يقنع الآخرين بتصديقاته بالأدلة والحجج، ويلزمهم جدلياً بقبولها والتسليم بها.

ويعد التعريف أو ما أسميناه الضبط المصطلحي أو المفاهيمي خطوة سابقة قبل تصحيح ما هو متعلق بالتصديقات، والقفز إلى التصديقات في عملية الانتصار قبل تصحيح التصورات، يجعل من عملية الانتصار عملية مبتورة جزئية لا تؤدي المطلوب.

على سبيل المثال: شبهة (لا يوجد في القرآن نسخ):

يحمل الطاعن والمنتصر تصوراً لكلمة (نسخ)، وقد يكون تصور المنتصر للنسخ: هو رفع حكم شرعي بدليل شرعي في الإسلام، وتصور الطاعن للنسخ هو: نسخ القرآن للكتب والشرائع السابقة، وهو ما أطلق عليه العلماء النسخ الكلي، وقد يتسرع المنتصر وينظر للشبهة على أنها من باب التصديقات، فيقطع نظره عن التصورات، ويصبح ما يعنيه في دفعها والرد عليها، هو عرض الأدلة والحجج العقلية و النقلية على وجود النسخ في الإسلام، وعلى نسخ القرآن بالقرآن، ونسخ القرآن بالسنة، ويسوق كلام المتقدمين والمتأخرين وآراءهم وخلافاتهم ويناقشها، ولا ينسى أن يسوق كلام أبي مسلم المعتزلي الذي يعد من أول من أنكر وجود النسخ في كتاب الله.

وعدم اعتبار التصورات أدى بالمنتصر إلى رد ما هو ليس بمقصود الطاعن وترك ما هو بمقصوده، وبهذا لم يلتق الحوار على مورد واحد.

وكان حرياً بالمنتصر أن ينظر في التصورات قبل الشروع في رد الشبهة، ثم يسوق الأدلة والبراهين لتصحيح التصديقات بأن يثبت أنه لا خلاف في النسخ الكلي عند المسلمين، ولا يوجد من أنكره، يستوي في هذا من أثبت النسخ الجزئي[1] ومن

---

(١) أي النسخ في الإسلام نفسه.

أنكره[1]، ويوضح أنها شبهة قديمة وكانت مقتصرة على اليهود والنصارى الذين أنكروا النسخ؛ لأنه يستلزم البداء[2] برأيهم ولا شك أن في إنكارهم حفظ لديانتهم، ثم يورد أدلة العلماء وحججهم وردودهم على إنكار النسخ الكلي واستلزامه البداء[3].

والأمثلة كثيرة منها المطاعن التي أثارها العلمانيون الجدد حول كتاب الله، ومن هذه المطاعن:

١-النسخ دليل على تاريخية القرآن.

٢-لكل آية في كتاب الله سبب نزول، ويختص حكم الآية بسبب نزولها.

٣-مقاصد القرآن هي الطريق الوحيد لتفعيل القرآن، حتى لا يصبح كتاباً تاريخياً، لأن الأحكام تاريخية ومرتبطة بسياقاتها الزمانية والمكانية[4].

فإذا استحضرنا أن الطاعنين عندهم معانٍ في أذهانهم لمفردات أسباب النزول، والمقاصد، والنسخ، لا علاقة لها بما اصطلح عليه علماء المسلمين، لم يجز للمنتصر أن يسوق الأدلة والحجج والبراهين التي تدفع الشبهات السابقة قبل أن يصحح التصورات الخاطئة المغلوطة عند الطاعن عن طريق التعريف بأسباب النزول، تاريخية القرآن، مقاصد القرآن، وغيرها من المفردات التي تحتاج إلى ضبط قبل الشروع في رد الشبهة، بمعنى آخر الوقوف على حد المصطلح في ذهن الطاعن وفي ذهن المنتصر قبل

---

(١) أي النسخ في أحكام الإسلام، ينظر كتاب:الجبري، **النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه**، ص٥.وكتاب:

-زيد، مصطفى، **النسخ في القرآن الكريم**، ص٢٧٧، ينظر إثبات أبي مسلم المعتزلي للنسخ الكلي.

(٢) والبداء هو ظهور بعد خفاء، أو نشوء رأي جديد لله لم يكن موجوداً.

(٣) ندا، محمد، محمود، **النسخ في القرآن بين المؤيدين والمعارضين**، ينظر ص٢٢ وما بعدها، ينظر أيضاً:

-الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ينظر ص٤٦٣ وما بعده.

(٤) قنبر، سهاد، **قضايا قرآنية عند النساء الحداثيات**، رسالة ماجستير(غير منشورة)، الجامعة الأردنية، قسم التفسير وعلومه، احتوت الدراسة على ردود على هذه الشبهات.

الانتصار.

وقد وضع المناطقة والمتكلمون شروطاً لتعريف المفردات حتى تجعله مقبولاً، واستفاضوا في مباحث حدود الألفاظ، واختلفوا فيها أحياناً، وأخرى اتفقوا، وتحدثوا في أنواع الأدلة والبراهين والحجج العقلية في التصديقات، ووضعوا قواعدَ و أصولاً لها لتكون مقبولة، وتحدثوا عن أدلة النقض والمنع والمعارضة وغيرها من الاستدلالات العقلية والنظرية، ومن المفيد للمنتصر أن يلم بهذه الشروط والمباحث فهي من الأسلحة المفيدة في عملية الانتصار[1].

والخلاصة مما سبق أن الشبهة إن تم تصنيفها أنها من ناحية التصور يرد عليها بمباحث الحد، وإن كانت من ناحية التصديق يرد عليها بالحجة والدليل، ومن الشبهات ما جمع بين التصورات والتصديقات.

ومن الشبهات التي تردد أمرها بين التصور والتصديق تلك المرتبطة بالتأويلات المنحرفة؛ فمن ذهب إلى أن التفسير من قبيل التصورات ألحق به التأويلات الباطلة؛ لأن المقصود من التفسير تصور معاني ألفاظ القرآن، ومن ذهب إلى أن التفسير من قبيل التصديقات جعل الشبهات التأويلية كذلك؛ وذلك لأن التفسير يتضمن الحكم على الألفاظ بأنها مفيدة لهذه المعاني[2]، والحق أن كل شبهة ينظر لها منفردة، ويتم تصنيفها بحسب سياقاتها في نص الطاعن.

---

(١) ينظر شروط التعريفات وقواعد الحجاج في التصديقات وما هو مقبول من الأدلة وما هو مردود في كتب المنطق والحجاج والمناظرة مثل كتاب ابن تيمية الرد على المنطقيين الذي اعترض فيه على مباحث الحد والتصورات والتصديقات عند المناطقة، والكافية في الجدل للجويني، والمنهاج في تطبيق الحجاج للباجي، ومن الكتب الحديثة كتاب عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ضوابط المعرفة.

(٢) نقل الذهبي الخلاف في كون التفسير من التصورات أم من التصديقات ولم يجزم بأحد الأمرين، ولعل السبب في عدم حسمه أنه ارتأى جواز كليهما بحسب زاوية النظر للتفسير، ينظر:
- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج١، ص٢٢.

٢-هل الشبهة دعوى من الطاعن أم نقلها عن غيره:

كل شبهة تثار على كتاب الله لا تخرج عن كونها دعوى من الطاعن، أو نقلها عن غيره.

-الشبهة دعوى من الطاعن: فإن كانت من الطاعن وبلا أدلة لا يلتفت إليها في قانون المنطق، ولا يرد عليها باتفاق العلماء، ويطالب صاحبها بالدليل، وهذا منهج قرآني يقول تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (النمل: ٦٤)

أما إن كانت الدعوى بدليل، فينظر المنتصر في الأدلة التي ساقها الطاعن، ثم يقوم بتفنيدها والرد عليها بما يعود عليها بالإبطال باستخدام الأدلة الشرعية. والأدلة الشرعية نوعان: عقلية و نقلية:

-الأدلة العقلية: وهي البراهين والاستدلالات المنطقية، وقد ساق القرآن الكريم لنا هذا النوع من الاستدلال العقلي، ليبين لنا أنه من طرق الاستدلال الشرعي؛ كقوله تعالى:

-﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

-﴿ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

-﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (النحل: ١٠٣).

والأدلة العقلية مفيدة للموافق في الإسلام وللمخالف؛ لأن الاستدلالات العقلية لا يختلف فيها من له عقل، وإن كان مخالفاً.

-الأدلة النقلية: وهي كتاب الله، وأحكامه التكليفية، وما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام، ويعضد هذه الأدلة ما صح عن الصحابة وتابعيهم؛ وهذا النوع من الأدلة لا يستدل به إلا للموافق في الإسلام، الذي إن ثبت عنده صدق الدليل النقلي

عده من المسلمات، لفهمه لمقتضاه بأنه إلزامي وينبغي الالتزام به[1].

-الشبهة التي نقلها الطاعن عن غيره:

وهي كل مسألة أو قول يأتي به الطاعن عن لسان غيره مع عزوه لناقله، وتكون الخطوة الأولى لردها هي إثبات صحة النقل أوعدم صحته وفق طرائق إثبات المرويات وتحقيق الروايات. ولعل ما سبق ينسجم مع المنهج العلمي للمسلمين في علم المناظرة والجدل (إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل).

ثانياً: قواعد تتعلق بالمنتصر لكتاب الله:

للمنتصر لكتاب الله شروط يجب عليه لزومها، وصفات ينبغي عليه التحلي بها عند التصدي للانتصار لكتاب الله، ومن هذه الشروط والصفات:

أ-الإيمان بالله تعالى والإخلاص له، فمدار كل عمل يعمله المسلم على أمرين؛ إخلاص النية لله، وصواب العمل، وبهذا تخرج ردود المستشرقين والحداثيين على بعضهم، وردود القاديانيين على النصارى من دائرة الانتصار للقرآن، فالإيمان الصحيح شرط في عملية الانتصار.

ومن لوازم إخلاص المنتصر للقرآن الكريم:

١-**الاستسلام لله**[2]: على من يتصدى للانتصار لكتاب الله أن ينطلق من قاعدة الاستسلام، لا من قاعدة الشك، يقول تعالى:

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ (آل عمران: ٢٠)

---

(١) الشاطبي، الموافقات، ٣/ ٢٤٧.

(٢) وهذه من أصول الانتصار أعدت ذكرها هنا لصلتها بالمنتصر وللتذكير بها.

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: ٧).

٢-العلم بأن ما وفق الله به المنتصر من الدفاع عن كتاب الله، وما أعطاه من قوة حجة وإدراك إنما أجراه الله على لسانه وقلمه ببركة إخلاصه وتقواه، فلا يقول:(إنما أوتيته على علم)، ولا يركن إلى ما عنده من علم، ويبقى في حالة من الترقب والدعاء، وما ذاك إلا لعلمه بأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

٣-الدفاع عن كتاب الله بقصد الحق لا الغلبة أو الشهرة، ولهذا كان جماعة من السلف يستحبون أن يأتي الحق على لسان الخصم.

٤-ترك التعصب الأعمى، والبعد عن الهوى، ومجانبة التعنت؛ فالذي يتعنت ويقطع أن الحق لا يكون إلا عنده، يفوته معان كثيرة عند غيره، والحكمة ضالة المؤمن وقد يقع عند الطاعن من معان صحيحة اختلطت بباطله فتفوت على المنتصر المتعنت، وقد يقع عند الطاعن من عرض لأدلة شبهته ما يحتاج إلى تفنيد فتفوت المنتصر بسبب تعنته، فيبدو انتصاره هزيلاً متهافتاً.

٥-فراغ القلب، وبذل الوسع، وهما من لوازم الإخلاص، ويعينا المنتصر على إدراك المطاعن، وكمال الانتصار.

٦-التخلق بخلق القرآن، فلا يتحدث المنتصر بسفيه الكلام، ولا فاحشه، ولا بذيئه، فإن وجده عند الطاعن أخذه بالرفق استحضاراً للمقصد الإرشادي الهدائي؛ فما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه، والله يحب الرفق في الأمر كله، وإنه ليعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.

٧-التقوى والبعد عن السفسطة، و التفيقه، والتشدق والتقعر في الكلام، مما يحمل في طياته حب الظهور والعجب.

٨- **الأمانة**، وهذه الأمانة هي من لوازم الإخلاص؛ فلا يتحرج المنتصر من الخوض في الشبهة، والتحقق منها، ولا يصده تعاظم بطلانها من عرض أدلتها بصورة تفصيلية ومعمقة ودراستها.

ومن الأمانة كذلك ألّا يضير المنتصر الاعتراف بأنه لم يصل إلى نتيجة مطمئنة بشأن الشبهة، إما بسبب عدم كفاية الأدلة، أو أن القضية التي عليها الشبهة ليست محسومة، أو لقصوره الشخصي في البحث، أو أن الشبهة أصلاً ليست بشبهة[1].

ب- الموضوعية العلمية:

أصبحت الموضوعية العلمية شرطاً رئيسياً لقبول نتائج الأبحاث العلمية، والموضوعية العلمية هذه بحسب المنطق البحثي الغربي ليست تجرد الباحث عن داعية هواه، بل تجرده عن ذاته الإنسانية وقيمه الأخلاقية.

والموضوعية العلمية بهذا المعنى هي نتاج عصر الأنوار المظلم الذي فصل الذات عن الموضوع، والمادة عن الفكر، والواقع عن الإنسان، وجعل اليد العليا للمادة، وقدس المناهج المادية التجريبية، وأعلن فردانيتها في مجال العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء[2]، وبعيداً عن الكوارث الأخلاقية والإنسانية التي نتجت عن هذا الفصل في الأبحاث العلمية[3]، فإن الجدل الدائر حول الموضوعية العلمية تبلور في

---

(١) ذكر الباجي والجويني بعضاً من هذه القواعد ينظر:
- الباجي، أبو الوليد(ت٤٧٤هـ)، **المنهاج في ترتيب الحجاج**، ينظر ص١٧ وما بعدها، باب ذكر ما يتأدب به المناظر. ينظر أيضاً:
-الجويني، أبو المعالي(ت٤٧٨هـ)، **الكافية في الجدل**، وضع حواشيه خليل منصور، ص٣٢١، فصل في آداب الجدل.

(٢) قياس الكيفي بالمقاييس الكمية.

(٣) هذا الفصل أدى إلى غياب الأصل الأخلاقي عن الأبحاث العلمية، وإلحاد مناهج هذه الأبحاث أدى إلى اختراع قنابل نووية تم تجريبها على البشر، وأُجريت تجارب على الأسرى في معسكرات الاعتقال،=

تيارين متطرفين؛ الأول: يشترط تجرد الباحث من كل شيء، واستهلاله لبحثه وهو خالي الذهن تماماً، وهذه قاعدة أساسية في نظرية المعرفة عند ديكارت، والثاني: أن هذا التجرد ليس ممكناً وعليه لا يمكن الوثوق بالعلوم حتى التجريبية منها لخضوعها لنسبية العقل الإنساني وقيمه، ولذلك فلا يوجد نتائج بحثية حتمية، والكلام هذا مردود على أهل التيار الثاني بواقع حال العلوم، لأن الاعتراف بهذه النسبية يجعل العلم هلامياً ضبابياً لا يمكن الإمساك به، ويفقد الإنسان قدرته على مراكمة المعرفة.

أما أصحاب التيار الأول فقد ناقشهم محمود شاكر، وعد موضوعيتهم العلمية بهذا المعنى"..شيء لا أصل له، ويكاد يكون بهذه الصياغة، كذباً مصفى لا يشوبه ذَرو[1] من الصدق، بل هو بهذه الصورة خارج عن طوق البشر، هب(أن الباحث) يستطيع أن يخلي ذهنه خلواً تاماً مما قيل، وأن يتجرد من كل شيء كان يعلمه من قبل، أفمستطيع هو أيضاً أن يتجرد من سلطان اللغة التي غذي بها صغيراً، وبها صار إنساناً ناطقاً بعد أن كان في المهد وليداً لا ينطق؟ أفمستطيع هو أن يتجرد من سطوة الثقافة

=وخسرت البشرية قرابة تسعين مليون إنسان في الحروب العالمية ، وهذه الحرب أدت إلى تجاوزات بحثية لا يتسع المقام هنا للوقوف عندها، فسارع المجتمع الدولي لوضع وثائق تحد من هذه المخاطر، وأصدرت المحكمة الدولية العسكرية في نورمبرغ في ألمانيا في عام ١٩٤٦م أحكاماً تحدد الشروط المطلوبة لإجراء التجارب العلمية على البشر بعدما خضع أسرى الحرب في معسكري الحلفاء والمحور لتجارب طبية، واختبرت فيهم الأسلحة البيولوجية.

وتنص تلك الشروط على إبداء المشارك في التجربة الموافقة الواعية، وحفظ حقه الحر بالتوقف عن المشاركة متى يشاء، وبإحلال التوازن بين المخاطر والمنافع.

وفي عام ١٩٤٨م صدر (الإعلان العالمي العام لحقوق الإنسان) عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهي الحقوق ذاتها التي ركز عليها إعلان هلسنكي الصادرعام ١٩٤٦م، وتعديلاته الصادرة ١٩٧٥، ١٩٨٩، ١٩٩٦، ٢٠٠٠م، وفي كل مناسبة وكل حدث يثبت فشل هذه الإعلانات العالمية الحقوقية، وعلى كل محك يتم تعرية النظام العالمي الجديد من كل أخلاق علمية ومن كل موضوعية وعدل، وأحداث سورية الأخيرة تثبت فشل كل محاولة تقنينية حقوقية لأخلاقيات البحث العلمي ما دام الأصل الأخلاقي غائباً عن ضمير العالم.

(١) الذرو: دقيق التراب.

التي جرت منه مجرى لبان الأم من وليدها؟ أفمستطيع هو أن يتجرد كل التجرد من بطشة الأهواء التي تستكين ضارعة في أغوار النفس وفي كهوفها، حتى تمرق من مكمنها لتستبد بالقهر وتتسلط؟ كلام يجري على اللسان بلا زمام يضبطه أو يكبحه، محصوله أنه يتطلب إنساناً فارغاً خاوياً مكوناً من عظام كسيت جلداً، لا أكثر"[1].

ولعل قائلاً يقول لي: ما هي الموضوعية العلمية التي ينبغي أن تكون من قواعد الانتصار بعد أن عقّدتِ بها ذكرته سابقاً البسيط، وصعَّبت السهل، وجعلتِ من الموضوعية ضرباً من المستحيل، ومن عائق الذاتية شراً محضاً ينبغي التخلص منه، حتى لا تصبح العلوم بجملتها في خبر كان، وبهذا جمعتِ بين النقيضين؟

والحق أن الأمر أبسط من هذا، فالموضوعية العلمية أرسى دعائمها كتاب الله، وأرشدت الشريعة لسبلها، وهي قائمة على ترك الهوى؛ ويعد من لوازم اجتناب هوى النفس العدل، وقد لخصتها الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٣٥) والشواهد التي تحث على اجتناب الهوى والعدل في كتاب الله كثيرة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨).

ولهذا كانت قضية الموضوعية العلمية عند المسلمين محسومة ديانة فهي نتيجة طبيعية لاستجابتهم لأوامر الله، ولما سئل أبو داود السجستاني عن ابنه العالم عبد الله أجاب: إن ابني كذاب، ومن البلاء أن يطلب للقضاء[2].

---

(١) شاكر، محمود، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص٣٠.

(٢) الأنصاري، فريد، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ص٥٣.

وإذا كانت الموضوعية العلمية ضرورة في كل العلوم فهي في الانتصار لكتاب الله أوجب، لأن في الانتصار لكتاب الله قضيتين الشبهة ودفعها، وفيه جهتان الطاعن والمنتصر، وهذا يزيد احتمال غلبة الهوى عند المنتصر، مما قد يصرف نظره عن الحق انتصاراً لنفسه، أو لفكرته.

والحق أن التحكم في الأهواء والمشاعر من الصعوبة بمكان، وقد لا يفي الضابط التعبدي الإيماني في ترسيخ الموضوعية العلمية، ولهذا فقد خطّت الشريعة الإسلامية منهجاً متفرداً للحد من الذاتية، وقد استثمر هذا المنهج الأصوليون بطريقة فذة، وهذا المنهج يمكن تعديته ليكفل الموضوعية العلمية في كل قضايا الفكر الإسلامي والإنساني.

يقوم المنهج الإسلامي الذي يكفل الموضوعية العلمية على ركنين رئيسين:

١-الإيمان والامتثال لله الذي أمر باجتناب الهوى في الأحكام والتزام العدل حتى مع وجود الكراهية.

٢-مقاصد التشريع، وتسهم مقاصد التشريع في تخلص المنتصر من ذاتيته في الانتصار لكتاب الله، و يعد العلم بمقاصد التشريع ضرورة للمنتصر، وهذه المقاصد وافية بمصالح العباد الدنيوية والأخروية، وفيها من الخصائص والضوابط ما يميزها عن مصالح الأهواء.

وقواعد المقاصد التي تعين على الموضوعية العلمية وتعين المنتصر على التخلص من الذاتية كثيرة، منها: النظر في المآلات؛ وهذا الأصل إن أهمل أفضى بالانتصار إلى نقيض مقصوده، ومن قواعد المقاصد أيضاً تحقيق المناط؛ و المناط هو الوصف الذي نيط به الحكم، وتحقيق المناط هو النظر في معرفة وجود هذا الوصف في آحاد الصور، فإن انتفى الوصف أو العلة انتفى الحكم، وقد ذهب الشاطبي إلى أبعد من هذا وهو

تحقيق المناط الخاص بكل مكلف، وهو النظر في كل مكلف وما يصلح له[1]، فإن تخلص المنتصر من هواه وتوخى الموضوعية العلمية وراعى قواعد المقاصد وفلسفة التشريع، وصل إلى الرتبة التي أطلق عليها الشاطبي مرتبة:" الرباني، والحكيم، والراسخ في العلم، والعالم، والفقيه، والعاقل؛ لأنه يربي بصغار العلم قبل كباره، ويوفي كل أحد حقه حسبما يليق به، وقد تحقق بالعلم وصار له كالوصف المجبول عليه، وفهم عن الله مراده في شريعته. ومن خاصيته أمران:

أحدهما: أنه يجيب السائل على ما يليق به في حالته على الخصوص إن كان له في المسألة حكم خاص، بخلاف صاحب الرتبة الثانية؛ فإنه إنما يجيب من رأس الكلية من غير اعتبار بخاص. والثاني أنه ناظر في المآلات قبل الجواب عن السؤالات"[2].

وقد أضاف الدكتور الأنصاري أمرين آخرين يسهمان في تحقق الموضوعية العلمية والتخلص من عائق الذاتية وهما: الضبط المصطلحي، وعدم القياس الكمي لما هو كيفي أي الموازنة بين الاستقراء والاستدلال[3]، وملاءمة المنهج للموضوع، وقد بحثت هذا في غير موضع من الكتاب فلا يلزم إعادة الكلام فيه.

ج-**التوسط والاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط**، وهذا التوسط مطلوب حتى لا يقع المنتصر فيما يقع فيه الطاعن؛ فإذا كانت مطاعن الطاعنين ما هي إلا من التفريط في فهم كتاب الله، وحمل البعض له على غير ما تقتضيه اللغة العربية كالباطنية وأشباههم، فإن المنتصر لا ينبغي له دفع هذه المطاعن بالإفراط في جلب مباحث اللغة فيحمل النص القرآني زيادة عما يقصده العرب، من محسنات لفظية وغيرها.

وقد جاءت بعض المطاعن من أصحاب الرأي لأنهم جردوا المعاني ونظروا

---

(١) الشاطبي، **الموافقات**، ٣/ ٢٣٢،٢٣١.

(٢) الشاطبي، **الموافقات**، ٥/ ٢٣٣.

(٣) الأنصاري، فريد، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، ينظر ص٥٩ وما بعدها.

للشريعة بها، وهذا دفع بهم إلى إهمال خصوصية الألفاظ والأحكام فقالوا: الشريعة كلها ترجع إلى حفظ مصالح العباد ودرء مفاسدهم، مما أودى إلى طرح الجزئيات، ورد كل حكم خاص يخالف هذه الكلية، هذا الخلل لا يعالجه المنتصر بتجريد مقتضيات الألفاظ من مقاصدها المعتبرة، وإهمال المعاني القياسية، والقول برأي أهل الظاهر وهو أن الشريعة :"..إنما جاءت لابتلاء المكلفين أيهم أحسن عملاً، ومصالحهم تجري على حسب ما أجراها الشارع، لا على حسب أنظارهم، فنحن من أتباع مقتضى النصوص على يقين من الإصابة، من حيث إن الشارع تعبدنا بذلك، و اتباع المعاني رأي؛ فكل ما خالف النصوص منه غير معتبر لأنه أمر خاص مخالف لعام الشريعة، والخاص الظني لا يعارض العام القطعي"[1].

والتوسط يفضي للعدل، والعدل مطلوب من المنتصر. ولعل سائلاً يسألنا ما هو التوسط وكيف يدركه المنتصر، وما هو ضابطه الذي نعول عليه؟؟ والحق أن التوسط يدركه المنتصر من الرؤية الشمولية للأمور، ومن علمه بالمقاصد ونظره في المآلات.

وضابط التوسط هنا الواقعية؛ وتتحقق الواقعية من الخبرة بأحوال الناس وأعرافهم، والعلم بأحداث العصر ومشكلاته، فلا يكون المنتصر بحال من الأحوال مبتوت الصلة عن عالمه، مغرقاً في التجريد والتنظير، ويكون دائم النظر في السياقات؛ سياق الحال والمقام والزمان والخطاب.

د-العلم بأن الانتصار في حق من يمتلك أدواته واجب عليه ولا يحق له التأخر عنه؛ لأن الانتصار من البيان، ولا خلاف في وجوب البيان على العلماء، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٠)

---

(١) الشاطبي، الموافقات، ٥/ ٢٣٠.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (البقرة: ١٥٩).

وإذا كان الأمر بالمحاججة والمنافحة عن الدين، جاء الأمر به في كتاب الله للمقتدر عليه ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل: ١٢٥)، فقد جاء كذلك النهي عنه لمن لا يملك الأدوات ولمن ليس عنده علم ولا تحقيق، يقول تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٦).

هـ-تعميق الصلة بالتراث الإسلامي: ينبغي على المتصدي للدفاع عن كتاب الله توثيق صلته بالتراث الإسلامي، فتراث المسلمين بجملته هو نتيجة عمليات عقلية معقدة وطويلة كان مصدرها القرآن؛ إما خدمة له، أو دفاعاً عنه، أو استهداء بهديه.

ومما لا شك فيه أن تعميق الصلة بالتراث تعين على تنقيحه.

و-الإيجاز: على المنتصر مراعاة الإيجاز، فلا يزيد المنتصر في دفاعه عن كتاب الله على القدر اللازم؛ سواء في دفع الشبه، أو إيراد الحجج على الحق الذي يعتقده، فالتطويل يشتت القارئ، ويفتح باب شبه أخرى، مما يحوج المنتصر إلى مزيد من الأدلة لقضايا لا متعلق لها بالشبهة هو في غنى عنها.

ز-الملَكة: والملَكة التي ينبغي أن يحوزها المنتصر قسمان طَبعي وكَسبي، و الطَبعي لا يد للإنسان فيه وهو موهبة يرزقها الله للعبد، ومستندها المنطق العالي والقدرة على التجريد، وأما الكَسبي فيتأتى من العلم الذي يولد القدرة على الإقناع، والدربة على دفع الشبهات، فإن تعاضد الطَبعي مع الكَسبي ظهر للمرء ما نسميه الملكة الراسخة في النفس، وإن انفكا ضعُف حال المنتصر، وهزُل دفاعه عن كتاب الله.

ثالثاً: قواعد متعلقها عملية الانتصار لكتاب الله:

وهي القواعد المتعلقة بالخطوات الإجرائية للانتصار للقرآن الكريم ومن هذه القواعد:

أ- عرض الشبهة عرضاً تفصيلياً منصفاً قبل ردها:

ونعني بالعرض المنصف، العرض الذي يظهر الشبهة في أقوى صورها، ويفي بمقصود الطاعن، ويتضمن أدلته، ولا يُلتفت لقول من قال إن التفصيل في عرض الشبهة يقويها، بل بالعكس فتحرير أدلة الشبهة من أقوى المعينات على تفنيدها، فهو يكشف البناء النظري المعرفي للطاعن، ويدل على فهم المنتصر وقدرته على الرد.

وقد ذكر الغزالي إنكار بعض الناس عليه مبالغته في عرض الشبهة، فقال : "...أنكر علي بعض أهل الحق مبالغتي في تقرير حجتهم[1]"، وقال هذا سعي لهم، فإنهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك إياها.

وهذا الإنكار من وجه حق، فقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي رحمهما الله تصنيفه في الرد على المعتزلة، فقال الحارث: والرد على البدعة فرض، فقال أحمد: نعم ولكن حكيت شبهتهم أولاً ثم أجبت عنهم. فبم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب، أو ينظر إلى الجواب ولا يفهم كنهه؟.

وما ذكره أحمد حق، ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر، فأما إذا انتشرت، فالجواب عنها واجب، ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية ، نعم ينبغي ألا يتكلف إيرادها، ولم أتكلف أنا ذلك، بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من واحد من أصحابي

(١) يعني الفلاسفة.

المختلفين إلي بعد أن كان قد التحق بهم، وانتحل مذهبهم، وحكى أنهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم، فإنهم لم يفهموا بعد حجتهم، وذكر تلك الحجة وحكاها عنهم. فلم أرض أن يظن في الغفلة عن أصل حجتهم، فلذلك أوردتها، ولا أن يظن بي أني وإن سمعتها لم أفهمها، فلذلك قررتها.

والمقصود أني قررت شبهتهم إلى أقصى الإمكان، ثم أظهرت فسادها بغاية البرهان"[1].

وقد عد المسلمون إقامة الحجة وإبطال دعوى الطاعن قبل التفصيل في شبهته وعرض أدلته من الممنوعات في قواعد الحجاج والمناظرة، وأطلقوا عليه مصطلح الغصب، لأن المنتصر يعد غاصباً لحق الخصم[2].

ولا يغيب عن ذهن المنتصر أن الرد على الطاعن ليس مقصوداً لذاته، بل مقصوده الرد على الشبهة، والانتصار لكتاب الله؛ وهذا يعني الإحاطة بالشبهة من كل جوانبها، وإيراد أدلتها، وترتيبها سواء فعل الطاعن هذا أم لم يفعل، وقد نقل عن الإمام الرازي أنه قال بعد أن حرّر شبهة للإمامية على وجوب عصمة الإمام (وهذه الشبهة كانوا يرتبونها على وجوه سخيفة، ونحن رتبناها لهم على هذا الوجه) ولهذا قيل عن الرازي إنه يورد الشبهة نقداً ويردها نسيئة، وأدنى تأمل في ردود الرازي يجد أن هذا الاتهام له غير صحيح، فالرازي يبني الشبهة بناء يظنه الناظر محكماً، ثم يجعله يتهاوى، وقد لا يكلفه هذا سطراً واحداً لتصبح الشبهة خاوية على عروشها، ولا يشك عاقل أن هذا أقوى في الانتصار، وهذا منهج في الأخذ قرره القرآن، وقصة قارون أبلغ مثال؛ فقد أخذه الله عند خروجه في زينته على قومه، وهذا أقوى وقعاً من

(١) الغزالي(ت٥٠٥هـ)، أبو حامد، **المنقذ من الضلال**، ص٣٧، ص٣٨.
(٢) حبنكة، **ضوابط المعرفة**، ص٤٥٢، ينظر أيضاً:
-سجاقلي زاده، **الرسالة الولدية في آداب البحث والمناظرة**، ص٨.

أخذه وهو في عقر داره.

وقد نحا الباقلاني في كتابه الانتصار منحى (الفنقلات) في سبيل سد كل منافذ الشبهات وأدلتها، والفنقلات عنده هي تصور أدلة للطاعن وإن لم يكن أدرجها في شبهته، وهي بصيغة (فإن قالوا) أو(فإن قيل)؛ وهي أقرب ما تكون إلى أدلة افتراضية للشبهة، ثم يرد عليها بقوله: قلنا، على طريقة المناظرة، فلا يبقى بعدها دليل للشبهة يخطر على بال إلا وقد تم تفنيده، فيقضي على الشبهة وهي في أقوى صورها، وهذا من أتم صور الانتصار.

بقيت قضية أخيرة، وهي أن العرض المنصف للشبهة لا يعني بالضرورة استيفاء أدلة الطاعن، بل يمكن الاقتصار على أقوى أدلة الطاعن وتجاهل أضعفها، لأن الرد على أقوى الأدلة وإثبات بطلانها هو من باب أولى رد على الأضعف، يقول الغزالي في معرض رده على الفلاسفة وإثبات تهافتهم: " لو ذهبت أصف ما نُقل عنهم في معرض الأدلة، وذُكر في الاعتراض عليهم، لسودت في هذه المسألة أوراقاً، ولكن لا خير في التطويل.

فلنحذف من أدلتهم ما يجري مجرى التحكم أو التخيل الضعيف الذي يهون على كل ناظر حله. ولنقتصر على ماله وقع في النفس مما يجوز أن ينهض مشككاً لفحول النظار، فإن تشكيك الضعفاء بأدنى خبال ممكن"[1].

والأمر للمنتصر إن شاء عرض أدلة الطاعن وفندها؛ قويها وضعيفها، وإن شاء اقتصر على أقوى الأدلة.

---

(١) الغزالي، أبو حامد، ص١٧.

ب-التأكد من وثاقة الأدلة المستخدمة في عملية الانتصار، وقوتها، وكفايتها قبل الشروع في عملية الانتصار:

تحتل الأدلة مكانة مركزية في عملية الانتصار، لأن عملية الانتصار للقرآن تعتمد في أصلها على إقامة الأدلة على بطلان المطاعن، وصحة كلام المنتصر.

وثبوت الحق إنما يكون بالأدلة، فقد تظهر الشبهة الضعيفة وتتقوى بقوة أدلتها، وقد يضعف الحق ويخبو نوره بضعف الاستدلال عليه.

وعليه، فلا ينبغي للمنتصر أن يستدل إلا بأدلة موثوقة، فالاستدلال بأدلة غير صحيحة يقوي الشبهة، يقول الباجي: " ولا يستدل(المناظر) إلا بدليل قد وقف عليه وخبره وامتحنه قبل ذلك وعرف صحته وسلامته، لأنه ربما يستدل بما لم يمعن في تأمله ولا تصحيحه، فيظفر به خصمه..."[1].

وينبغي في عملية الانتصار ترتيب الأدلة بحسب قوتها، فلا يستدل في دحض الشبهة إلا بأقواها، أو يبدأ بأقواها ثم يثني بالأضعف فالأضعف، فهذا أدعى إلى دحض الشبهات وإظهار الحق، يقول الجويني في معرض حديثه عن آداب الجدل شارحاً أهمية البدء بأقوى الأدلة في عملية الانتصار: " وإياك أن تتعلق عند الاستدلال إلا بأقوى ما في المسألة. ولا يغرنك ضعف السائل ....فقد يتضح للخصم الضعيف عند التعلق بالشيء الذي لا يقوى في الاحتجاج ما يصعب عليك الخروج منه، ولأنك إذا تعلقت بأقوى ما في المسألة، راح بعده ما هو أضعف منه، وإذا تعلقت بالضعيف احتجت بعده إلى وضع القوي موضع الضعيف ؛ فيذهب عند ذلك رونق نضرة الحق وبهاؤها، ولأنك إذا قدمت الضعيف استرذل الحاضرون كلامك فيضعف خاطرك بعده عن إيراد ما هو أقوى منه إذا لم يستحوذوا في الأول كلامك، فتترك جميع ما

---

(١) الباجي، أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج، ص١٩.

تقوله عندهم، فلا تظهر نضرة الحق.

ولأنك إذا بدهت الخصم بأقوى شيء في المسألة هابك في الاحتجاج، فتؤثر هيبته تلك في تجنبه شبهته وتقوية بدعته"[1].

بقياس عملية الانتصار على الجدل، وبتحليل كلام الجويني نجد أنه ذكر أموراً مهمة نلخصها في الآتي:

-الاستدلال بالدليل الأضعف في عملية الانتصار للقرآن يقوي حجة الطاعن بدل أن يدحضها.

-الاستدلال بالدليل الأضعف لا يجزئ عن الاستدلال بالأقوى، لكن العكس صحيح.

-الاستدلال بالدليل الأضعف قد يدخل المنتصر في سلسلة من الاستدلالات الضعيفة، فلا يستطيع الخروج منها والانتقال للدليل القوي.

- الاستدلال بالدليل الأضعف أولاً ثم بالدليل الأقوى يضع الدليل القوي في منزلة الضعيف.

-الاستدلال بالدليل الأضعف يذهب رونق وجمال قوة الحق، وإظهار قوة الحق هدف مهم في عملية الانتصار، أما الاستدلال بالدليل الأقوى فيحد من غلواء الطاعن ويجعله يهاب المنتصر مما قد يجعله يعود عن شبهته، ومما لاشك فيه أن استثمار العوامل النفسية في عملية الانتصار مهم في تحقيق أهداف المنتصر.

ج- مناسبة المنهج المستخدم في عملية الانتصار لموضوع الشبهة:

على المنتصر للقرآن الكريم أن يعلم أن الشبه التاريخية يلائمها المنهج التاريخي في

(١) الجويني، أبو المعالي، الكافية في الجدل، ص٣٢١، ص٣٢٢.

دفعها، والشبه العقلية يناسبها المنهج الاستدلالي العقلي، والشبه القائمة على الاستقراء يُرد عليها بالمنهج الاستقرائي، وللمنتصر أن يزاوج بين المناهج بحسب ما يمليه عليه النظر.

وقد عدّ طه عبد الرحمن الاتساق المنهجي عند مقاربة أي موضوع شرطاً أساسياً للوقوف على آلياته الداخلية، مع العلم أن هذه الآليات هي التي تؤهل لتمام المعرفة بالموضوع، وأطلق طه عبد الرحمن على الملاءمة (شرط المجانسة)[1]، وإذا كان هذا الشرط ضرورياً في الموضوعات عموماً فهو في موضوع رد الشبه أشد لزوماً وضرورة، لما سبق وذكرنا من وجود أطراف متنازعة في موضوع الانتصار، مما يجعل مطلوب المنتصر تمام المعرفة وليس المعرفة وحدها.

ومن الوفاء بشرط المجانسة ألّا يرد على الشبه المثارة في قضايا الغيبيات بالمناهج المادية، ويقتصر على النقل فيما يتعلق بالغيب.

-الاقتصار على الأدلة النقلية فيما يتعلق بالغيبيات:

الشبهات المتعلقة بالأمور الغيبية لا قدرة للعقل في دفعها، وهذا ليس تقليلاً من شأن العقل، ولا تحجيماً لدوره، ولكن اعترافاً بأن الغيبيات فوق إدراكه، وأوسع من نطاقه، وهذه حقيقة يقررها ابن خلدون في مقدمته قائلاً:" وليس ذلك قادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، وأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال.

ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن للعقل حد يقف عنده، ولا يتعدى

(١) عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص٢٣.

طوره، حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه"[١].

ويقرر ابن خلدون حقيقة قصور فهم واضمحلال رأي من يقدم العقل على السمع في هذه الأمور.

ما سبق يضعنا أمام إشكالية حقيقية، وهي أن الأدلة النقلية لا تستخدم إلا مع من يؤمن بالمصدر الإلهي للقرآن، فكيف يرد على الشبهات المتعلقة بهذا الموضوع دون الأدلة العقلية؟

من طرق الرد على الشبهات المتعلقة بالغيبيات مطالبة الطاعن بالدليل، وهذا مستحيل أن يأتي به الطاعن؛ فلا يستدل على الغيبي بالمادي، فتبطل الشبهة لافتقارها للدليل، وهذا يسمى في عرف المتكلمين دليل المنع[٢]، ودليل المنع استخدمه القرآن في مواضع كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الطور: ٣٨)، وفي الآية طالبهم بدليل صدقهم على دعوى رقيهم إلى السماء واستماعهم، بأن يخبر مستمعهم بما سمع ويدلل على سماعه هذا.

ومن طرق دفع الشبهات في الغيبيات كذلك استخدام قضية النقيض من التناقض؛ والتناقض معناه أن" صدق إحدى القضيتين ينقض احتمال صدق الأخرى ويجعلها كاذبة حتماً، وأن كذب إحداهما ينقض احتمال كذب الأخرى، ويجعلها صادقة حتماً، فهما على هذا لا يصدقان معاً بحال من الأحوال"[٣].

---

(١) ابن خلدون، **المقدمة**، ص٥٥٣،ص٥٥٤.

(٢) سجاقلي زاده، **الرسالة الولدية في آداب البحث والمناظرة**، ص٧.

(٣) حبنكة، **ضوابط المعرفة**، ص١٥٦.

وإبطال النقيض منهج قرآني في الاستدلال؛ مثل إثبات وحدانية الله، القضية هي: الله لا شريك له، ونقيضها: الله له شريك، فإبطال النقيض يثبت الوحدانية لا محالة ومنها قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

وقال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (المؤمنون: ٩١).

والناظر في ردود المتقدمين والمتأخرين يجد أنهم استخدموا في انتصارهم لكتاب الله قضية النقيض، لعلمهم أن هناك من المعارف الغيبية ما لا يدل البرهان المادي عليها، وإنما يدل عليها إبطال نقيضها المنتسب إلى عالم المادة، ومن هذه المعارف مصدر القرآن.

والقضية هنا هي: القرآن من الله، ونقيضها: القرآن ليس من الله، فإثبات كذب دعوى بشرية القرآن يثبت إلهيته لا محالة.

ويعد كتاب دراز رحمه الله مثالاً لإثبات المصدر الرباني للقرآن عن طريق إبطال دعوى بشريته، فقد قام مسترشداً بالوقائع التاريخية بافتراض وجود مصدر بشري للقرآن، وبحث عن هذا المصدر في شخصية الرسول وإمكان أن يكون هو من كتب القرآن، ثم بحث عن المصدر البشري في الفترة المكية، ثم بحث عنه في الفترة المدنية، وبعد بحث بالغ في الدقة وصل بنا دراز إلى كذب الإدعاء ببشرية القرآن، فأثبت بهذا نقيض هذه القضية، وهو أن القرآن وحي من الله تعالى ولا يمكن أن يكون إلا كذلك[1].

---

(١) دراز، محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليل مقارن، ينظر الكتاب كاملاً.

د-مناسبة عملية الانتصار للعصر الحاضر موضوعاً ومنهجاً ولغة وأدلة:

والعصرنة لعملية الانتصارتدخل تحت قول الله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل: ١٢٥)، فالذي هو أحسن هو الذي أدعى للإقناع، ولا شك أن مخاطبة الخصم بلغة العصر أدعى لإقناعه، وأدعى لتبكيته إن تعنت.

ونحن وإن كنا قد قررنا سابقاً، أن شبهات أول الزمان هي نفسها شبهات هذا الزمان ، إلا أنها أعيد إنتاجها بلغة العصر فلا بد من إعادة إنتاج الردود، وتحديث الانتصار للقرآن.

هـ-الاحتكام إلى قوانين مشتركة في عملية الانتصار بين مثير الشبهة والمنتصر لكتاب الله:

-لا يمكن رد الشبهة إلا بالاحتكام إلى قوانين تصادق عليها الأطراف كافة، ومن هذه القوانين:

١-قواعد العلوم:

فالعلوم لها "أصول معروفة وقوانين مضبوطة قد اشترك الناس في العلم بها، واتفقوا على أن البناء عليها، والرد إليها إذا أخطأ فيها المخطئ ..."[1]، وهذه القواعد تختلف في درجة قطعيتها، ولا يحتكم إلا للقطعي منها، الذي ثبت باستقراء الجزئيات، أو بالاستدلالات العقلية اليقينية.

٢-المنطق الداخلي لمثير الشبهة:

والوصول للمنطق الداخلي للطاعن يعد من أقوى المعينات في عملية الانتصار.

---

(١) الجرجاني(ت٤٧١هـ)، عبد القاهر، الرسالة الشافية، من كتاب: ثلاث رسائل في الإعجاز، ص١٥٧.

ويتضمن المنطق الداخلي معتقدات الطاعن، ومنهجه، ومصطلحاته، والنقض الداخلي من أقوى الردود، ويعد إثبات عدم الاتساق والتناقض عند الطاعن، وإثبات أنه لم يلتزم بما ألزم نفسه به من الضربات القاصمة التي تهدم الشبهة، وتأتي بنيان الطاعن من قواعده فيخر عليه السقف.

وقد دعا القرآن اليهود ليحتكموا إلى كتابهم يقول تعالى:

- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٣).

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (النساء: ٤٧).

وقوله:(يدعون إلى كتاب الله)(١)، وقوله: (مما كنتم تخفون من الكتاب) رد لهم إلى معتقداتهم.

وقد رد الباقلاني الشيعة إلى معتقدهم في عصمة علي-رضي الله عنه-وذلك في معرض انتصاره لسلامة المصحف من الزيادة والنقص والتحريف، يقول:" ومما يدل أيضاً على صحة نقل القرآن وأنه المرسوم في مصاحفنا على وجهه وترتيبه الذي رتبه الله جل وعز عليه، اتفاقنا والشيعة على أن علياً عليه السلام كان يقرأه ويقرئ به، وأنه حكمه أيام التحكيم من فاتحته إلى خاتمته، وأقر من حكمه بإحياء ما أحيا وإماتة ما أماته، وأنه كان يحتج ويستدل به ورجع إليه، هذا مالا خلاف بيننا وبينهم فيه"(٢)، وبهذا دفع الباقلاني شبهتهم باستخدام ما يؤمنون به.

---

(١) هو التوراة على قول أكثر المفسرين.

(٢) الباقلاني(ت٤٠٣هـ)،أبو بكر، الانتصار للقرآن، تحقيق محمد عصام القضاة، ١/ ١٣٠.

ومن أمثلة رد الطاعنين إلى منهجهم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (البقرة: ٩١).

قرر اليهود في الآية السابقة منهجاً لهم وهو الإيمان بالتوراة، والكفر بما أنزل بعدها، فحاكمهم القرآن إلى ما جعلوه أصلاً لهم، بإثبات تناقضهم إذ كيف يؤمنون بالتوراة ويقتلون الأنبياء؛ لأن التوراة دلت على أن المعجزة تدل على الصدق، ودلت على أن من كان صادقاً في ادعاء النبوة فإن قتله كفر، وإذا كان الأمر كذلك، كان السعي في قتل يحيى وزكريا وعيسى عليهم السلام كفراً فلم سعوا في ذلك إن صدقوا في ادعائهم كونهم مؤمنين(١)؟ فهم يدعون إيمانهم بالتوراة وأفعالهم تناقض ادعاءهم.
ومن أمثلة محاكمة الخصم إلى منهجه احتجاج الشيعي في مسألة ما بالإجماع، فيقول المنتصر وكيف للشيعي أن يحتج بالإجماع ومن منهج الشيعة أن لا قطع بصحة الإجماع، وصواب أهله إلا بدخول الإمام المعصوم في الإجماع؟ ولا يُعرف مذهب الإمام في هذه المسألة، وبهذا يسقط دليل الخصم بالاحتكام إلى منهجه.

وقد استخدم ابن تيمية الاحتكام إلى منهج النصارى لإثبات تحريف شريعتهم وعصمة القرآن، وأثبت أن النصارى في أصل منهجهم "يجوزون لأكابر أهل العلم والدين أن يغيروا ما رأوه من الشرائع ويضعوا شرعاً جديداً، فلهذا كان شرعهم مبتدعاً، لم ينزل به كتاب ولا شرعة نبي".(٢)

أما الاحتكام إلى مصطلحات الطاعن، فقد بين الغزالي فوائد دفع شبهة الخصم بلغته؛ ومن هذه الفوائد كشف اللبس عن الغر الضعيف الذي يظن أن ما يأتي به الطاعن عِلمٌ لا قِبل له به، وفن غريب لا يستطيعه، يقول الغزالي: " ..ونحن لندفع

(١) الرازي، التفسير الكبير، مج١، ص٦٠٣.
(٢) ابن تيمية(ت٧٢٨هـ)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٢، ص١٥.

هذا الخبال، واستئصال هذه الحيلة من الضلال نرى.......أن نقتفي آثارهم لفظاً لفظاً، ونناظرهم بلغتهم، أعني بعباراتهم في المنطق.."[1].

وقد اشترط ابن تيمية شرطين لمخاطبة الطاعن بمصطلحاته؛ الحاجة، وصحة المعاني يقول: " ....وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه"[2]، والحق أن الشرط الأول من باب تحصيل الحاصل؛ كأن يقول: يحل شرب الماء إذا احتيج إليه، وهو محتاج إليه في كل وقت في عملية الانتصار.

والشرط الثاني وهو صحة المعاني، وهذا الشرط معتبر في غير موضع الانتصار، أما في الدفاع عن القرآن فلا نُسَلِّم له به، لأنه يجوز في موطن دفع الشبهات مالا يجوز في غيره، وهو من باب مجاراة الطاعن ليعثر.

وقد رجعت إلى الشرطين الذين اشترطهما ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل، فوجدت أن شرطه صحة المعاني علته صعوبة تحرير المصطلح عند الطاعنين أنفسهم؛ فالمصطلح نفسه يختلف بين طاعن وآخر، وهذا مما يمكن الاحتراز والتنبه منه في عملية الانتصار[3].

على سبيل المثال من المصطلحات التي نستخدمها: عصر الأنوار، التنويريون، النهضويون، الليبراليون، الحداثيون، وهذه كلها مصطلحات غير صحيحة المعنى في سياقنا الحضاري والثقافي، لكننا نستخدمها مخاطبة للخصم بلغته.

وقضية الاحتكام إلى منطق الطاعن قد تضطر المنتصر لمخاطبة خصمه بمصطلحاته

(١) الغزالي، أبو حامد، تهافت الفلاسفة، ص١٤.
(٢) السعدي، قواعد الوصول إلى العلم المأمول، ص٤٣.
(٣) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل،ج١، ص٤٥.

وإن كانت المعاني غير صحيحة، وقد تجعل المنتصر يبدو واقعاً في محاذير شرعية، فهو يجاري خصمه ويسلم بمقدماته من حيث يريد تبكيته وإلزامه، ويرد شبهاته من كلامه، كقوله تعالى حكاية عن المكذبين : ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ (ابراهيم: ١٠– ١١)، وقد سمى السيوطي هذه الطريقة(مجاراة الخصم ليعثر)، وعد السيوطي رد الرسل في الآية السابقة اعترافاً".. بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم سلموا بانتفاء الرسالة عنهم، وليس مراداً، بل هو من مجاراة الخصم ليعثر؛ فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي أن يمن الله تعالى علينا بالرسالة"[1]، ومن مجاراة الخصم كذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ (الزخرف: ٨١).

وعليه نقول يجوز في معرض دفع الشبهات والانتصار للقرآن ما لا يجوز في غيره، ويصبح مقياس المحاذير الشرعية مختلف في موضع الحجاج عن غيره، وذلك لاضطرار المنتصر لمجاراة خصمه، فيجيز لنفسه استعمال مصطلحاته، والتسليم بمقدماته، وهذا يبقى من الضرورات التي تقدر بقدرها.

٣-البديهيات المادية والمعنوية:

من القوانين المشتركة التي يرد لها الطاعن؛ المسلمات والبديهيات الحسية والعقلية، ومن هذه البديهيات ما ندركه بحواسنا، أو ما ندركه بالشعور كشعور الجوع والعطش وما إلى ذلك، والمسلمات المبنية على الموازين العقلية مثل : الجزء أصغر من الكل، و١+١=٢، ويعد ما نقل لنا نقلاً متواتراً في منزلة المسلمات البديهية، مثل الحقائق التاريخية التي نقلت نقلاً متواتراً، مما لا يختلف فيه اثنان، كأن نقول دمشق أقدم مدينة

(١) السيوطي(ت٩١١هـ)، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، ص٦٨٢.

في العالم، وتعد قضية وثاقة نقل القرآن من البديهيات العقلية للتواتر.

وقد رد ابن تيمية الطاعنين من النصارى الذين قاسوا كتبهم على القرآن في قضية: (جواز تحريف القرآن إن جاز هذا على كتبهم) إلى البديهيات العقلية، وهي النقل المتواتر للقرآن.

ومن البديهيات العقلية التي عرض لها ابن تيمية حفظ القرآن في الصدور؛ فالقرآن " ما زال محفوظاً في الصدور نقلاً متواتراً، حتى لو أراد مريد أن يغير شيئاً من المصاحف، وعرض ذلك على صبيان المسلمين لعرفوا أنه قد غير في المصحف؛ لحفظهم للقرآن من غير أن يقابلوه بمصحف وأنكروا ذلك"(١)

٤ -التجريب القائم على استقراء الجزئيات:

فالمنهج الاستقرائي من أوثق المناهج البحثية، ويصلح أن يكون قاعدة للاحتكام إليها في دفع الشبهات؛ مثل شبهة أن سلطة عثمان رضي الله عنه السياسية، جعلته يفرض مصحفه على المجتمع المسلم ويقمع كل صوت معارض، وسمى الطاعنون مصحفه(المصحف الرسمي) إيهاماً منهم للقارئ بأن هناك مصاحف غير رسمية، فيحتكم المنتصر في مشروع رده إلى الاستقراء التام لكل الأحداث التاريخية المحققة المتزامنة مع جمع عثمان، ويقف على محاولات المعارضة لجمع عثمان، ويثبت بالوقائع التاريخية أنه لا يوجد صوت صحابي واحد يصلح أن يطلق عليه معارضة، ويثبت أن عثمان لم يقدم على هذا الجمع إلا بدعم ومباركة من الصحابة لمشروعه، ولم يكن قراره تسلطاً سياسياً.

وقد أرشد القرآن إلى المنهج الاستقرائي بأن حث على السير في الأرض، والنظر في الوقائع التاريخية الماضية، ودراسة أحوال الأمم السابقة لاستنباط سنن إلهية كونية

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٢، ص٧.

وشرعية لا تتبدل ولا تُخرم يقول تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الأنعام: ١١)

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (النمل: ٦٩).

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

هذه الآيات وغيرها ترشد إلى وثاقة المنهج الاستقرائي في الوقوف على الحقائق.

وبالرغم من أن الاستقراء التام هو أوثق الطرق المؤدية إلى نتائج قطعية، إلا أن المنتصر والطاعن على حد سواء يستطيعان ترتيب النتائج على الاستقراء الناقص، وهذه النتائج هي من الظن الراجح، ويستطيع المنتصر إلزام الطاعن بنتائج الاستقراء الناقص، ما لم يثبت تخلف بعض جزئياته[1]، ويسهم قانون الاطراد، وقانون السببية[2] في أن ترقى نتائج الاستقراء الناقص إلى القطعية.

٥- الاستدلالات العقلية المعتبرة[3]:

لأن العقل ميزان معتبر ليس فقط في الشرع، وإنما عند الناس أجمعين، فيصلح أن

(١) حبنكة، ضوابط المعرفة، ينظر ص١٨٧ وما بعدها.

(٢) قانون الاطراد يعني أن الأسباب والعلل المتشابهة ينتج عنها مسببات ومعلولات متشابهة، على سبيل المثال حبس النَفس لمدة معينة عن الإنسان يؤدي إلى وفاته، وضمن هذا القانون يقوم الناس بأعمالهم وصناعاتهم وكل شؤون حياتهم ويعتقدون أن الأسباب ستؤدي إلى النتائج المعروفة لها، فإن تخلفت النتائج يعود الإنسان ويحاسب نفسه على الأسباب.
أما قانون السببية (العلية): وهذا القانون صاغه الإنسان من تجاربه الكثيرة والمتكررة في الحياة، وكشفت هذه الخبرات والتجارب للإنسان أن كل حادثة وكل ظاهرة هي أثر لسبب من الأسباب أو علة من العلل، ينظر كتاب: حبنكة، ضوابط المعرفة، ص١٩٦ وما بعدها.

(٣) ونعني بالمعتبرة كل دليل عقلي رد به القرآن على الطاعنين، وبهذا نخرج من تشقيقات المنطقيين والمتكلمين في قطعية الأدلة العقلية و ظنيتها.

يكون أرضية نجر لها الطاعن عند دفع شبهته، وبعيداً عن خلافات المناطقة والمتكلمين في قضية الاستدلالات العقلية، والفروق بينها، وتفاوت درجة قطعيتها، فإننا نؤمن بجدوى جميع الأدلة العقلية التي جاء بها القرآن؛ وما هذا إلا لأن الله هو خالق العقل الإنساني، وهو أدرى بمداخله.

ومن الأدلة التي استخدمها القرآن، القياس بأنواعه؛ وهو استنتاج النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة، والسبر والتقسيم، وأمثال القرآن.

١- القياس في القرآن :

من القياس في القرآن قياس إعادة الخلق على بدئه أول مرة، يقول تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٩)، وقوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (ق: ١٥).

ومنه قياس إعادة الخلق على خلق السماوات والأرض، فمن قدر على هذا فمن باب أولى أن يقدر على بعث من في القبور، يقول تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ (يس: ٨١).

ومنه قياس إعادة الخلق على إحياء الأرض بعد موتها، ومنه قياس البعث على إخراج النار من الشجر الأخضر يقول تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (يس: ٨٠)، يقول السيوطي: " وهذه في غاية البيان في رد الشيء إلى نظيره، والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليهما"(١).

٢- السبر والتقسيم:

والسبر والتقسيم من الاستدلالات العقلية المهمة للوقوف على فساد ما يدعيه

---

(١) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ص٦٨٠.

الطاعن؛ وهو حصر الأوصاف التي تصلح أن تكون علة لطعن الطاعن، ثم إبطالها جميعها، فيظهر أن كل ما أتى به الطاعن كذب وافتراء، ومن أمثلة السبر والتقسيم في القرآن: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الأنعام: ١٤٣)، فالله سبحانه وتعالى قابَلَ تحريم الكفار تارة لذكور الأنعام وتارة لإناثها بأن أثبت أن الخلق لله، خلق من كل زوج من الأنعام الإناث والذكور، فبم جاء تحريم ما ذكر الكفار؟؟ هذا التحريم لا يخلو من أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة أو اشتمال الرحم الشامل للنوعين، أو لا يدرى له علة، وهو التعبدي، الذي أمر به الله عن طريق وحيه فهذه وجوه التحريم ولا تخرج عنها، والأول يلزم تحريم جميع الذكور، والثاني يلزم تحريم جميع الإناث، والثالث يلزم تحريم الصنفين، والرابع هو تحريم بعضها في حالة والبعض الآخر في حالة أخرى، وهذا ادعاؤهم لا يكون إلا بوحي ولم يوح إليهم قبل الرسول، فبطل ادعاؤهم ببطلان جميع الاحتمالات، وثبت افتراؤهم على الله وضلالهم.

٣- ضرب المثل:

وضرب المثل من العمليات العقلية التي استعملها القرآن بكثرة، وقد جعلها السيوطي في كتابه (النوع السادس والستون من علوم القرآن)، وقد عدد العلماء فوائد كثيرة لضرب المثل، و يعنينا من هذه الفوائد ما له صلة برد المطاعن، ونقل السيوطي عن الأصبهاني أنه قال: "...في ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسَورة الجامح الأبي؛ فإنه يؤثر في القلوب مالا يؤثر وصف الشيء في نفسه؛ ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال، ومن سور الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال، وفشت في كلام النبي -ﷺ- وكلام الأنبياء والحكماء"[1].

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص٦٧٢.

وضرب المثل في القرآن كثير، وهو من منن الله الكبرى، ونعمه العظمى على عباده، يقول تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر: ٢١)، ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الزمر، ٢٧).

وبالرغم من خلافات المناطقة والمتكلمين في قطعية دليل التمثيل(١)، إلا أنه يمكن جر الطاعن إلى التسليم بما يريده المنتصر عن طريق ضرب المثل، فالطاعن مسلم بالشاهد، والعملية الفكرية المدعوة التمثيل تجعله يسلم بالغائب، إلا أن هذا التسليم عند الطاعن يختلف قوة وضعفاً بحسب قوة المماثلة بين مضرب المثل ومورده.

مثال تطبيقي على بعض القواعد النظرية السابقة من كتاب الباقلاني (الانتصار):

في كتاب الانتصار للباقلاني ذكر المؤلف شبهة أهل الإلحاد وهي:" تخطئة الخلف والسلف في نقل القرآن ، وتضييعه وإهمال أمره وذهابهم عن علم صحيحه من فاسده، وعملهم في ترتيبه ونظمه والحرف الذي يقرأ به على آرائهم وظنونهم، من غير عملٍ على توقيفٍ وخبر، ولا حفظٍ لرواية وأثر"(٢) .

وفصل الباقلاني في شبهتهم، وعرضها عرضاً مفصلاً، واستوفى أدلة الطاعنين، ثم بدأ رحلة الرد عليهم:

-قرر الباقلاني حقيقة بطلان الشبهة بقوله: " فليس الأمرُ في ذلك على ما ادعيتم، ولا مما يذهب تخليطكم فيه على ذي تحصيل".

---

(١) لا يعد المناطقة ضرب المثل من الأدلة العقلية التي تفيد اليقين، بل يعدونه في أحسن أحواله من الأدلة التي تفيد الظن الراجح، ينظر كتاب:
-حبنكة، **ضوابط المعرفة**، ص٢٨٨.

(٢) الباقلاني(ت٤٠٣هـ)،أبو بكر، **الانتصار للقرآن**، تحقيق محمد عصام القضاة، (نسخة تم تحميلها عن الشاملة غير موافقة للمطبوع)، ص١/ ٧٣.

-رد الباقلاني الطاعنين إلى البديهيات، ومن هذه البديهيات التواتر؛ فكان يستخدم تعابير مثل: (تظاهرت الأخبار)أو(فيه جحد للضرورات)أو(يثبت بنقل الكافة الذين ببعضهم يثبت التواتر)أو قوله(نعلم باضطرار) أو قوله(علم ضرورة ثبوته) وغيرها من العبارات الكثيرة في إشارة منه إلى التواتر.

-قام الباقلاني بعملية سبر وتقسيم ضمنية لم يصرح بها، حاول فيها الوقوف على ما يمكن أن يكون في عرف الطاعنين سبباً في عدم حفظ الصحابة لكتاب الله؛ فإما أن الله ورسوله لم يأمر الصحابة بالحفاظ على كتاب الله، أو أن الصحابة أُمروا بالحفاظ على كتاب الله لكنهم فرطوا في هذا الأمر؛ استهتاراً بمكانة القرآن، أو لضعف حفظهم، أو لعدم توفر دواعي حفظ القرآن عندهم، أو لقصور همتهم وبلادتهم، أو لضعفهم في اللغة العربية.

-استخدم الباقلاني المنهج الاستقرائي في تتبع النصوص القرآنية التي أمر فيها الله ورسوله بالحفاظ على كتاب الله، والنصوص التي ذكرت فضل القرآن وفضل حفظه وتدارسه وتدبره، والحق أن الباقلاني أكثر واستفاض في ذكر هذه النصوص، ليستبعد الاحتمال الأول، وهو أن الصحابة لم يؤمروا بالحفاظ على كتاب الله.

وعلل الباقلاني اقتصاره على الاستقراء الناقص في تتبع النصوص بكثرتها، فالاستقراء الكامل فيه من الإطالة ما يخرج الكتاب عن مقصوده، يقول:" ولو قُصد بالتقصّي جميعُ ما روي عن النبي - ﷺ - وعن الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين من فضائل القرآن وقراءته ، وما خصّ الله به أهله ، لأخرَجَنا كثرةُ ما رُوي فيه عن غرض الكتاب"[1].

-في عملية الاستقراء استخدم الباقلاني الوقائع التاريخية لإثبات حرص الصحابة

---

(١) الباقلاني، الانتصار للقرآن، ١/ ٩٤

على الدين، وبذلهم الأرواح والأموال للدفاع عنه، ومفارقتهم للأوطان، وهم يعلمون أن القرآن هو أساس هذا الدين، فاستبعد الباقلاني بهذه الإحالة إلى التاريخ احتمال استهتار الصحابة بحفظ القرآن. ثم استبعد الباقلاني أن يكون عند الصحابة ذاكرة ضعيفة أو سوء حفظ، أو ضعف باللغة العربية، وما علمناه من حال الصحابة هو من البديهيات المعنوية التي نقلت لنا نقلاً متواتراً، فلا مجال لطاعن أن ينكرها.

وبعدها يقرر الباقلاني نتائجه التي لا يمكن لعاقل أن ينازعه فيها بقوله:" وهم مع هذه الحالة التي ذكرناها من حياطة الدين، وبذل النفوس والأموال، ومفارقة الأوطان في نصرة الرسول، من ذرابة الألسن، وجودة القرائح، وثاقب الأفهام، وسهولة الحفظ عليهم، ولصوق الكلام بقلوبهم على حال لم يكن عليها أحدٌ قبلهم، ولا ساواهم فيها أحدٌ بعدهم، فإذا لم يكن بهم من قلَّة الدين والتهاون بأمر رب العالمين، وشأن رسوله - ﷺ- ما يحملهم على ترك الإحفال بالقرآن ، والتصغير لشأنه، ولم يكونوا من سوء الإفهام وجلافة الطباع ، وقلة الحفظ وتعدد الكلام ، والعيّ واللّكنة ، بحيث يصدهم ذلك عن حفظ كتاب ربّهم ، ومدار شريعتهم ، فأيُّ سبب يقتضي جواز توافي هممهم ودواعيهم على ترك تحفظ القرآن وضبطه ، والتشاغل بغيره عنه"(١).

وبعملية السبر والتقسيم السابقة التي قام بها الباقلاني رد على الطاعنين ادعاءهم بأن الصحابة ضيعوا شيئاً من كتاب الله.

-استعمل الباقلاني (قياس الأولى) في الرد على شبهة أن الغنم والداجن أكل كثيراً من القرآن لهذا لم يصل إلينا ما أُكل منه، وقال إذا كان هذا يستحيل على أصول العلوم الدنيوية فمن باب أولى استحالته على كتاب الله، يقول:" فإنه لو ظن ظان أن الغنم

---

(١) الباقلاني، الانتصار للقرآن، ١/ ٧٥.

والداجن أكل كثيراً من كتاب إقليدس أو (المجسطي) لبطليموس، الذي كان عند علمائهم وأصول هذا العلم منهم، فضاع ودرس لكان جاهلاً غبياً أو متجاهلاً، وكذلك لو توهم متوهم أن نصف(قفا نبك) ،(وألا هبي)، وثلثي شعر الأعشى والنابغة، وشطر كتاب سيبويه، وثلثي كتاب الأم للشافعي، ومعظم موطأ مالك قد ضاع وذهب وأكلته الغنم والدواجن من عند كل عالم بهذا الباب، وأنه لم يكن بقي منه إلا نسخة واحدة عند رجل واحد، ولم يكن حفظ تلك النسخة عند غيره بعد أن استفاض ذلك العلم وانتشر، وسمع من قائله وحفظ ودون، لكان من الجهل والتخلف والذهاب عن معرفة عادات الناس في حفظ هذه الأبواب من العلوم بمحل من لا يستحق الكلام.

إذا كان ذلك كذلك وكانت الصحابة أشد في دينها من كل أحد، وفي حياطته وحراسته من جميع ما ذكرنا، وكانوا قد مكثوا نيفاً وعشرين سنة ينزل فيهم القرآن على النبي -ﷺ- ويسمعونه ويتلقونه عنه، ويعملون بمحكمه، ويسألون متشابهه وغامضه، ويتعظون بمواعظه، ويصيرون إلى موجبه، ويعرفون أسبابه، والأحوال التي نزل عليها، وهو آية نبيهم وأعظم حجة له"[1].

ويمكن استخراج تطبيقات كثيرة من كتاب الباقلاني على ما قمنا بالتنظير له في القاعدة التي أسميناها (الاحتكام إلى قوانين مشتركة بين مثير الشبهة والمنتصر لكتاب الله).

و-الوقوف على مآل الشبهة وأثرها:

يعد الوقوف على أثر الشبهة، وما تؤول إليه من المعينات على ردها، لأن فيه العلم بعظيم مفسدتها، وفيه كشف للجاهل، وتبكيت للطاعن، وإقناع للناظر.

---

(١) الباقلاني، الانتصار للقرآن، ١/ ٧٧.

والنظر في المفسدة، والثمرة والغاية أصل من الأصول ليس فقط في الانتصار بل في كل حكم يشكل على المرء، فينظر إن كان مشتملاً على مفسدة ظاهرة راجحة، فيستحيل أن يكون أمر به الله أو أباحه، بل يقطع بحرمته، ولا سيما إن كان مفضياً إلى ما يبغضه الله ورسوله[1].

والوقوف على أثر الشبهة يكون باستحضار نظائرها عبر التاريخ أو الوقوف على لازم الشبهة، وهذا منهج أقره القرآن في عملية الانتصار يقول تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾ (النساء: ١٥٣).

فعندما طعن أهل الكتاب في تنزل القرآن، استحضرت الآيات نظائر هؤلاء الطاعنين عبر التاريخ الذين تعنتوا بطلب معجزات حسية أكبر من هذه، ووقع عليهم العذاب ولم يصلح حالهم.

مثال على استحضار نظائر الشبهة للوقوف على أثرها:

من الشبهات المثارة على كتاب الله الدعوة إلى التأويل المقاصدي دون اعتبار لقواعد التفسير. وهذا الإفراط والغلو في الخوض في مقاصد النص القرآني دون شروط، واعتبار المقاصد ضابطاً تأويلياً منفكاً عن باقي ضوابط التفسير، يؤدي إلى الخلط بين مقاصد الشارع ومقاصد المتلقي، ويقود إلى تعطيل النص القرآني، ويوقع في التعارض بين القطعيات والظنيات، ويصبح الواقع حاكماً على النص القرآني بدل أن يحكم القرآن في واقع الناس.

والنظر في مآل هذه الشبهة معين في ردها، ومن طرق الوقوف على مآل هذه الشبهة

---

(١) السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ص١١٣.

استحضار ما حدث في ساحة الفكر الديني اليهودي والمسيحي جراء الإفراط في النظرة المقاصدية؛ فقد قامت حركة الإصلاح الديني اليهودية بصياغة جديدة للدين تناسب روح العصر، ولم تقتصر هذه الصياغة على المعاملات بل تعدتها إلى العبادات، وتغيرت لغة الصلاة من العبرية إلى الألمانية، وتغير يوم الصلاة من السبت إلى الأحد، وبتسارع شديد تتابعت الانتهاكات لتعاليمهم الدينية ، وانقطع الأحبار علناً عن التعاليم الحرفية التقليدية، ولم يعد هناك أحكام، وتحولت الأحكام التي مرتكزها الدين إلى قواعد تسنها المجتمعات البشرية تضبط فيها الأفراد وتردعهم عن انتهاك القانون العام للمجتمع، وأصبح الردع الديني ردعاً اجتماعياً " وبهذا انتشرت مبادئ الفلسفة الأخلاقية النسبية (Ethical Relativism) التي ترى أن صواب أي فعل أو حكم، إنما يكون بالنسبة للظروف أو المواقف التي جرى فيها الفعل"[1]، وأصبح المجتمع هو المشرع والحاكم، وعلى الأفراد مسايرة مجتمعاتهم.

وما سبق يدل كيف أن استحضار نظائر الشبهة في التاريخ أدى إلى بيان مآلها؛ فالغلو في مقاصد النص يؤدي إلى سقوط حجية التشريع، وسقوط حاكمية القرآن، والخلط بين مقاصد الشارع والمتلقي.

مثال على استحضار لازم الشبهة للوقوف على مآلها وأثرها:

من الشبهات التي أثارها الشيعة منذ القرون الأولى وثاقة النص القرآني، وقالوا بإمكان نقص القرآن أو ضياع شيء منه، أو القطع على ذلك أو الزيادة فيه. وقد رد الباقلاني عليهم ببيان مآل الشبهة؛ وذلك بالوقوف على لازمها يقول إنه لو جاز" أن يكون قد ذهب منه[2] شيء كثير لا نعرفه ولا نقف عليه، لجاز أن يكون قد ذهب أكثره وما يزيد على سبعة أعشاره، وأن يكون الذي في أيدينا أقل من العشر، ولو جاز ذلك

(١) العلواني، رقية طه جابر، أثر العرف في فهم النصوص (قضايا المرأة أنموذجاً)، ص٢٧٣.
(٢) يقصد القرآن.

لم نأمنه ولم نأمن أن يكون معظم الدين والفرائض والسنن قد ذهب في القدر الذي سقط منه وذهب على الناس ضبطه، ولعل فيه أيضاً نسخ جميع العبادات التي في أيدينا وتبديلها بغيرها، ولعل فيه توقيفاً على أنبياء يأتون بعد النبي -ﷺ- بنسخ شريعته.

ولعل في ذلك القرآن الضائع إباحة نكاح الأخوات والأمهات وسائر ذوات المحارم.

ولعل فيما سقط منه تفسير معنى الصلاة والزكاة والصيام، وأن المراد بذكر هذه العبادات تولي رجال سموا صلاة وحجاً وصياماً، وأن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال أمر الناس بلعنهم والبراءة منهم فقط، ولعل فيه أيضاً ذم جميع من يعتقد الشيعة فيهم أنهم أئمة منصوص عليهم وإيجاب التبرؤ منهم، وإيجاب تولي معاوية وزياد والحجّاج والشمّر وشيعته.

ولعل القرآن إن كان زائداً على قدر ما أنزل أن يكون أكثر ما فيه من فرض الصيام والصلاة والحج ساقطاً غير لازم، وإنما زيد فيه ما ليس منه، فإذا كان هذا يسدّ علينا طريق الأمان من جميع هذه الأمور، وفيها إبطال الشرع والانسلاخ من الإسلام، فلا شبهة على مسلم في فساد كل قول ومذهب أدى إلى ذلك"[1].

مما سبق نجد أن الباقلاني بيَّن أن لازم شبهة التشكيك في وثاقة النص القرآني، هو عدم الوثوق في جميع أمور الإسلام، ومآلها إبطال الشرع بالكلية.

ز-الوقوف على أسباب الطعن في كتاب الله ودوافع الطاعنين:

والوقوف على أسباب الطعن في كتاب الله ودوافع الطاعنين أهمية بالغة في توجيه عملية الانتصار للقرآن الكريم، وكشف حجب الشبهات، ولأهمية معرفة هذه

---

(١) الباقلاني، **الانتصار للقرآن**، ج١، ص١٠٥، ص١٠٦.

الأسباب فقد بينها لنا القرآن في مواضع عدة، ومن هذه الأسباب:

١ -الاستكبار والجحود:

يقول تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٣).

ويقول تعالى واصفاً استكبارهم عن الحق: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (المؤمنون: ٦٧).

وهذا الكبر يحمل الطاعنين على الجدال بالباطل، لأن من لوازم التسليم لله ولرسوله أن يكونوا تحت حكم الشرع، وكبرهم يمنعهم من أن يخفضوا رؤوسهم للأحكام الربانية يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ (غافر: ٥٦).

٢- الجهل بالله وقصور العقل والفكر:

كل من أنكر المصدر الإلهي للقرآن وجحد النبوة والرسالة جاهل، ما عرف الله حق معرفته، يقول تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام: ٩١).

وقد جعل الرازي الجهل مفضياً لأسباب الطعن الأخرى وهي الحسد والبخل، ولهذا قدم الله وصف اليهود بالجهل في سورة النساء على وصفهم بالبخل والحسد، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ (النساء: ٥١ - ٥٤).

وصف الله اليهود في الآيات السابقة بالجهل الشديد، وهو اعتقادهم أن عبادة الأوثان أفضل من عبادة الله تعالى، ثم جاء بعدها وصفهم بالبخل والحسد[1].

٣-الحسد :

يقول تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (البقرة: ١٠٩).

ويقول تعالى: ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ ﴾ (النساء: ٥٤).ونقل لنا القرآن حسدهم بقولهم: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ ﴾ (الأنعام: ٥٣)

وتعد آية الأنعام هي وصف لمنتهى الحسد عند الطاعنين، الذين أنكروا المصدر الإلهي للقرآن: يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

٤-اتباع الهوى :

يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا

---

(١) الرازي، التفسير الكبير، مج٤، ص١٠٢، وقد فصل الرازي في وجه تقديم الجهل على غيره من الأسباب.

يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (البقرة: ١٤٤ – ١٤٥).

يقول الرازي في معرض كلامه عن هذه الآية إن الذين وصفوا باتباع الهوى هم علماء أهل الكتاب لقوله تعالى: (...لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ) فمن "اعتقد في الباطل أنه حق فإنه لا يكون متبعاً لهوى النفس، بل يكون في ظنه متبعاً للهدى، فأما الذين يعلمون بقلوبهم، ثم ينكرون بألسنتهم، فهم المتبعون للهوى...(و) الله تعالى أخبر عنهم بأنهم مصرون على قوله، ومستمرون على باطلهم، وأنهم لا يرجعون عن هذا المذهب بسبب شيء من الدلائل والآيات، وهذا شأن المعاند اللجوج، لا شأن المعاند المتحير"(١)، ويقول السعدي في معرض تفسيره للآية: " ....حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين اتبع الهوى لا محالة، قال تعالى: أرأيت من اتخذ إلهه هواه..."(٢) .

٥-ترك النظر والتدبر والإخلاد إلى التقليد الأعمى :

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (البقرة: ١٧٠ – ١٧١)، وفي الآيتين إشارة إلى أن تركهم التدبر والنظر كان بسبب التقليد لآبائهم، فأصبحوا لا يفقهون الأدلة، ولا يستمعون الحجج، صم بكم عمي فهم لا يعقلون.

---

(١) الرازي، التفسير الكبير، مج٢، ص١٠٧.

(٢) السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٦٧.

٦-الجهل بلغة القرآن والاغتراب الفكري:

فالعجمة التي أصابت المسلمين في القرون الأولى، وإهمالهم لغة القرآن، وأساليبه العربية، إضافة إلى انفتاحهم على الفكر الأجنبي، أودى بهم إلى انحرافات تأويلية خطيرة، يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس. وأخرج الإمام البخاري في تاريخه الكبير: عن الحسن البصري رضي الله عنهما قال: إنما أهلكتهم العجمة.

ويرى الإمام السيوطي في كتابه (صون المنطق) أن هؤلاء المارقين أخذوا يؤولون القرآن والحديث النبوي، على مصطلح لسان يونان، ومنطق أرسطاطاليس.

وما نزل القرآن إلا بلغة العرب وبيان العرب، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ (إبراهيم، ٤).

فمن عدل عن لسان الشرع إلى لسان غيره، وخرج عن الوارد من نصوص الشرع جهل وضل.

ويؤيد (الأقوال السابقة) ما أخرجه البيهقي قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو ابن العلاء يناظره في وجوب عذاب الفاسق، فقال له يا أبا عمرو الله يخلف وعده؟

فقال: لن يخلف الله وعده.

فقال عمرو فقد قال وذكر آية وعيد.

فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت، الوعد غير الإيعاد، ثم أنشد:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز وعدي"[1].

(١) ابن حنبل، أحمد، الرد على الجهمية والزنادقة، مقدمة المحقق، ص٢٣، ص٢٤.

وهذه العجمة أصبح خطرها محدقاً أكثر في وقتنا الحاضر لازدياد الجهل بالعربية من أهلها أنفسهم، والذين يفترض فيهم أن يكون حراسها الأمناء عليها.

٧-السعي للقضاء على الإسلام، و المكر بأهله لتحقيق الغلبة عليهم:

أنعم الله على المسلمين بأسباب القوة، ومن أهم هذه الأسباب كتاب الله، فهو حبل الله المتين وهو محور وحدة الأمة وبقائها، وقد تكفل الله بحفظه يقول تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩).

وقد علم أعداء الدين أنه لا غلبة لهم على المسلمين إلا بالطعن في القرآن، يقول تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (فصلت: ٢٦).

أي إن اللغو في القرآن سبيل غلبتكم.

ولا يسعنا إلا الاعتراف بأنهم قطعوا أشواطاً في مهمتهم هذه، فقد انتزعوا حاكمية كتاب الله بالقوانين الوضعية، وانتزعوا قدسية أحكامه من نفوس أهله بالتأويلات المنحرفة، وأصبحت الكلمة العليا لهم، والمسلمون مستضعفون في شتى بقاع الأرض والغلبة للكفر وأهله، وهم يمكرون الليل والنهار: يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأنفال: ٣٠ – ٣١).

ويقول تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ﴾ (سبأ: ٣٣).

ويصف تعالى قوة مكر أعداء الدين بقوله: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ

مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ (إبراهيم: ٤٦).

ولعِظم مكر أعداء الدين، جعل الله رده بقوته وقدرته لا بمكر المؤمنين، حتى لا يصيبهم الإحباط من دقة تخطيط الأعداء، وعملهم الدؤوب، ومكرهم العظيم بالليل والنهار، فيتفرغون لبذل الوسع في الدفاع عن كتابهم، ويعلمون أنهم معنيون بالجهد، والله تكفل لهم بنتائج حفظ هذا القرآن من عبث العابثين، ومكائد الطاعنين، قال الله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾ (الرعد: ٤٢).

وإثارة الشبهات على كتاب الله يعد بديلاً مجدياً للكفار عن حرب المسلمين في ساحات الوغى، لأن كسب معركة ضد أقوام يشرون الموت ويحبونه أكثر من الحياة يعد من قبيل المستحيل؛ فلجأ أعداء هذا الدين إلى الطعن في كتاب الله لنزع القدسية عنه في نفوس المؤمنين به.

وإذا لم ينظر المسلمون إلى خطورة الطعن في كتاب الله نظرتهم لخطورة السجال العسكري مع العدو، فلن يفلحوا في دفع الشبهات عن كتابهم والانتصار له.

ح-التأصيل للمستجدات على ساحة العلوم القرآنية:

من القضايا المهمة في عملية الانتصار لكتاب الله التأصيل للمستجدات على ساحة العلوم القرآنية، واستثمار ما يصلح منها في الانتصار لكتاب الله، ومن هذه المستجدات البحث الموضوعي في القرآن الكريم، وعلم المصطلح القرآني، والإعجاز العلمي، والموافقات العددية، وعلم مقاصد القرآن، وعلم السياق، وغيرها من العلوم التي عادت لها الحياة مجدداً بسبب الحاجة لها، وبسبب النظريات الفلسفية الحديثة.

المبحث الرابع

معايير تحديد الشبه المقصودة بالرد

إن الحديث عن معايير لتحديد الشبه المقصودة بالرد لا يعني بحال أن هناك شبهاً غير مقصودة بالرد، وإنما القصد من المعايير هو النظر للشبهة من خلالها، ويعد دفع كل شبهة متعلقة بكتاب الله هي هدفاً من أهداف المنتصر، ومن هذه المعايير:

-**اشتهار الشبهة وشيوعها**؛ لأن الشبهة إذا لم تنتشر ففي الرد عليها إسهام في نشرها وزيادة عدد المتأثرين بها، وفي ترك الرد إماتة لها، وقضاء عليها في مهدها.

وهذا المعيار لا طائل منه في زمن العولمة، فالثورة المعرفية التي جعلت من العالم قرية صغيرة جعل الشبهة في منزل أحدهم تصل للطرف الآخر من المحيط في طرفة عين.

-**أن تكون الشبهة في أصل الدين**، يقول الجرجاني في الرسالة الشافية: " وإذا كانت الشبهة في أصل الدين كانت كالداء الذي يخشى منه على الروح، ويخاف منه على النفس، فلا يستقل قليله ولا يتهاون باليسير منه، ولا يتوهم مكان حركة له إلا استقصى النظر فيه وأعيد الكي على نواحيه، وكالحيوان ذي السم يعاد الحجر على رأسه، ما دام يرى به حس وإن قل"[1]، ومعلوم أن هذا المعيار لا قيمة له عند الانتصار للقرآن فكل شبهة تلقى على كتاب الله هي في أصل الدين؛ لأن القرآن هو هذا الأصل.

-**أن تكون الشبهة فيما ينبني عليه عمل قلب أو جوارح**، ويعني المتقدمون بهذا عدم الخوض في الغيبيات لقصور العقل عن الإدراك عند هذا الحد، وبلوغه منتهاه ووقوفه

---

(١) الجرجاني، عبد القاهر (ت٤٧١هـ)، الرسالة الشافية من كتاب ثلاث رسائل في الإعجاز، ص١٣٤،ص١٣٥.

عاجزاً لا باب له يلج منه إلا باب النقل الصحيح.

ونحن إذ نقر بهذا المعيار نظرياً، إلا أنه من الناحية العملية لا بد لنا من بيان قصور العقل والحد الذي حده النقل له عند الشبهات المتعلقة بالغيبيات وهذا البيان ليس تركاً للشبهة، بل دفعاً لها وهو من الانتصار.

والمتتبع لنصوص المتقدمين يجد أن مقصودهم من ترك الخوض بالغيبيات هو عدم التعرض لها بالمناهج المادية، وقد بحثت هذا الموضوع في قواعد الانتصار، وخلوصاً من التكرار فأنا أحيل القارئ إلى قاعدة: (مناسبة المنهج المستخدم في عملية الانتصار لموضوع الشبهة: الاقتصار على الأدلة النقلية فيما يتعلق بالغيبيات).

-**ألّا تكون الشبهة من الخلاف المعتبر عند سلف الأمة**، والخلاف المعتبر لايطلق عليه مصطلح شبهة أصلاً، ويكون واجب المنتصر تحديد هل ما يعرض له شبهة أم خلاف يعتد به.

وخلاف الصحابة والأمة من بعدهم رحمة مع الإقرار أن الحق واحد والمجتهد المصيب واحد،

" والشريعة كلها ترجع إلى قول واحد في فروعها وإن كثر الخلاف، كما أنها في أصولها كذلك، ولا يصلح فيها غير ذلك"[1].

إلا أن الخلاف المعتبر مكانه مباحث التعارض والترجيح، واختلاف المفسرين، والفقهاء وما إلى ذلك، وليس هذا الخلاف من مباحث الانتصار للقرآن.

-**ألّا تكون الشبهة دَرَست وانتهت**، وقد بحثنا هذه المسألة تحت قاعدة (مناسبة عملية الانتصار للعصر الحاضر موضوعاً ومنهجاً ولغة وأدلة).

---

(١) الشاطبي، الموافقات، مج٥، ص٥٩، فصل الشاطبي في التدليل على أن الاجتهاد في القطعيات واحد والمصيب واحد وللمخطئ أجر الاجتهاد.

وبناء على ما سبق ذكره فكل شبهة تلقى على كتاب الله هي مقصودة بالرد، مع مراعاة أصول وقواعد الانتصار.

الفصل الرابع

دراسة تطبيقية على مؤلفات خالفت أصول الانتصار وقواعده

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار المعتزلي.

المبحث الثاني: كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني.

المبحث الثالث: كتاب دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل، إبراهيم عوض.

المبحث الرابع: كتاب (القرآن الكريم والقراءة الحداثية: دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون)، الحسن العبّاقي.

الفصل الرابع

دراسة تطبيقية على مؤلفات خالفت أصول الانتصار وقواعده

قبل الحديث عن هذا الموضوع أجد علي لزاماً تقرير بعض الأمور، وهي:

- ذكر المؤاخذات في مؤلفات بعينها لا يعني بحال التقليل من شأن هذه المؤلفات وردود أصحابها على الشبهات.

- الهدف من تسجيل هذه المؤاخذات هو إلقاء الضوء على النقلة النوعية التي يمكن أن يحدثها التأصيل للانتصار في عملية ردود الشبهات، وهذا بدوره سيؤدي إلى تحقيق انسجام منهجي في عملية الانتصار للقرآن بين كل من يتصدى له.

-هذه المؤاخذات لا تهدف إلى تقويم كتب الانتصار فهي على سبيل ضرب المثل؛ ولهذا تم اختيار الكتب، واختيار الموضوعات التي عليها المؤاخذات بطريقة انتقائية لا منهجية.

المبحث الأول

دراسة تطبيقية على كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار المعتزلي (ت٤١٥هـ)

-وهو كتاب على مذهب المعتزلة في الانتصار للقرآن الكريم ودفع المطاعن عنه.

-الكتاب واحد من عدة كتب للقاضي عبد الجبار صنفها للانتصار للقرآن مثل دلائل النبوة، والمتشابه في القرآن.

-ذكر القاضي عبد الجبار في مقدمة كتابه الهدف من تصنيفه لهذا الكتاب؛ وهو الفصل بين المحكم والمتشابه من القرآن على ترتيب سور القرآن، وبيان معاني ما تشابه من آياته، وبيان وجه خطأ فريق من الناس في التأويل[1].

-قرر القاضي عبد الجبار حقيقة أن التمسك بالمتشابه عائق من الانتفاع بكتاب الله؛ فالانتفاع بالقرآن لا يكون إلا بعد الفصل بين محكم الكتاب ومتشابهه، وبعد الوقوف على معاني ما فيه.

-الكتاب عبارة عن إشكالات وأجوبتها جاء بها القاضي عبد الجبار، على ترتيب المصحف بدءاً بالفاتحة وانتهاءً بسورة الناس، دون استقصاء لجميع السورة.

- صدّر المحقق الدكتور خضر محمد نبها الكتاب بدراسة تحليلية جيدة، ألقى فيها الضوء على فكر القاضي عبد الجبار وآرائه الكلامية و العقدية وعرّف بالكتاب.

-وضع المحقق بحسب اجتهاده عناوين للمسائل التي وردت في كتاب القاضي عبد الجبار وسماها شبهات وأدرجها في الكتاب ما بين معكوفتين{}.

-وقع القاضي عبد الجبار في شراك مذهبه ولم يستطع التحرر منه، حتى بدا الكتاب

---

(١) ومن هؤلاء أهل السنة الذين كان لهم نصيب كبير من ردود الكتاب عليهم.

انتصاراً للاعتزال لا انتصاراً للقرآن.

- خالف القاضي قواعد مهمة في الانتصار لكتاب الله؛ خدمة لإسقاطاته العقدية والمذهبية نذكر منها:

١- مخالفته للموضوعية العلمية: لم يوفِّ القاضي عبد الجبار بشرط الموضوعية العلمية، ويظهر هذا جلياً في شرحه لمعاني الآيات التي تتحدث عن الهداية والضلال؛ فقد قام بلي أعناق النصوص إسقاطاً للأصل الاعتزالي(العدل)[١]؛ ففي معرض كلامه عن قوله تعالى:

﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٨)

يقول:" أليس ذلك يدل على أنه يخلق الهدى والضلال؟ وجوابنا: أن المراد ومن يهد الله إلى الجنة والثواب فهو المهتد في الدنيا، ومن يضلل عن الثواب إلى العقاب (فأولئك هم الخاسرون) في الدنيا، وسبيل ذلك أن يكون بعثاً من الله على الطاعة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾ (الأعراف،١٨٦) المراد من يضلله عن الثواب في الآخرة ولا هادي له إليه. ومعنى قوله: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٦) أنّا نخلي بينهم وبين ذلك وإن كنا أزحنا العلة وسهلنا السبيل إلى الطاعة"[٢].

إن التعسف في الإسقاط العقدي على كتاب الله جعل القاضي يهمل العلاقة الدقيقة الواضحة في سياق آيات سورة الأعراف بين كسب العبد ومشيئة الله.

---

(١) العدل هو أحد أصول المعتزلة الخمسة وهي التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد بنى المعتزلة على أصل العدل أن الله لم يشأ جميع الكائنات، ولا خلقها ولا هو قادر عليها كلها، بل عندهم أن أفعال العباد لم يخلقها الله تعالى، لا خيرها ولا شرها، ولم يرد إلا ما أمر به شرعاً، وما سوى ذلك فإنه يكون بغير مشيئته، ينظر:

-الذهبي، التفسير والمفسرين، ينظر ص٢٤١ وما بعدها.

(٢) المعتزلي، القاضي أحمد بن عبد الجبار،تنزيه القرآن عن المطاعن، ص١٨٨.

جعل القاضي عبد الجبار معنى (يهد) غير معنى (المهتدي) في الآية ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي ﴾ (الأعراف،١٧٨) مما يوجب ركاكة في النظم، والأصل أن تكون الهداية والاهتداء راجعين إلى شيء واحد، حتى يكون الكلام حسن النظم.

لزم من قول القاضي: (من يهد الله إلى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا) إضمار زائد؛ " ولو جاز فتح باب أمثال هذه الإضمارات لانقلب النفي إثباتاً والإثبات نفياً، ويخرج كلام الله عز وجل من أن يكون حجة، فإن لكل واحد أن يضمر في الآية ما يشاء، وحينئذ يخرج الكل عن الإفادة.........."[1].

ولا وجه معتبر لقول القاضي عبد الجبار في اللغة، يقول الرازي:".. قول القائل فلان هدى فلاناً لا يفيد في اللغة البتة أنه وصفه بكونه مهتدياً، وقياس هذا على قوله فلان ضلل فلاناً وكفره، قياس في اللغة وأنه في نهاية الفساد"[2]، وقد فصل الرازي في الرد على قول المعتزلة في هذا الموضع.

والخلاصة أن القاضي أهمل السياق، واللغة، ولم يأخذ بعين الاعتبار حسن النظم، ولا الدلائل العقلية والنقلية القاطعة التي تدل على أن الهداية والضلال لا يكونان إلا من الله في سبيل إسقاطه العقدي، فأي موضوعية علمية بقيت له في انتصاره لكتاب الله؟

وفي معرض كلامه عن قول الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (النحل: ٣٦) يقول عارضاً لما هو شبهة في زعمه:" أما يدل ذلك على أنه تعالى يهدي ويضل وأن ذلك من خلقه؟

(١) الرازي، التفسير الكبير، ج٥، ص٤٠٧.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، ج٥، ص٤٠٧.

وجوابنا: أن المراد فمنهم من هدى الله إلى الثواب لتمسكه بالعبادة، ومنهم من حقت عليه الضلالة عن الثواب إلى العقاب بمعصيته، وهذا كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ (القمر، ٤٧) فسمى نفس العقاب ضلالاً كما سمى نفس الثواب هدى في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ (محمد: ٤ – ٥)، والهدى بعد القتل لا يكون إلا بالإثابة ولذلك قال بعده ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ (النحل: ٣٧) فنبه بذلك على ما ذكرناه، ويحتمل أنه يريد بالهدى زيادة البصيرة فيفعله بمن قبل وأطاع عنده دون من علم أنه لا يقبل كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ (محمد: ١٧)"(١).

وما قيل في المثال السابق يصلح قوله هنا في الرد على القاضي عبد الجبار مع إضافة أنه استبعد في جواب المسألة القراءة الثانية المتواترة في الآية ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ (محمد: ٤ – ٥) وهذا يقوض دليله الذي أورده على القراءة الأولى (والذين قتلوا).

٢-مخالفته لقاعدة التوسط والاعتدال: وهذا واضح على طول الكتاب، فالتطرف في مواقف المعتزلة عموماً أوقعهم في محاذير عدة، وأدى إلى فساد نتائجهم بالرغم من سلامة مقدماتهم؛ فقد فروا من المجبرة إلى القدرية، ومن التجسيم إلى التعطيل، ومن تكفير مرتكب الكبيرة إلى المنزلة بين المنزلتين، ومن تعدد القديم إلى حدوث القرآن والقول بأنه مخلوق، يجيب القاضي في كلامه عن ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا﴾ (النور: ١) عن تساؤل كيف يصح إنزال السورة وذلك يستحيل فيها؟ يقول:" ...وجوابنا عن ذلك وعن سائر ما في القرآن نحو قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ (القدر: ١) وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ (الدخان: ٣) إلى غير ذلك، هو أن المراد به إنزال السورة بإنزال من يحملها، وعلى هذا الوجه نصف القرآن بأن الله أنزله وهذا كما يقال: أنزلنا الماء ويراد

(١)القاضي عبد الجبار، **تنزيه القرآن عن المطاعن**، ص٢٤٣.

بذلك الظرف، ونزحنا الماء من البئر إلى غير ذلك. وكما يقال: إن فلاناً أظهر علمه والمراد أودعه الكتب، فمن هذا الوجه يستدل على حدوث القرآن، لأن ما هو قديم لا يجوز فيه إنزاله بنفسه ولا بغيره، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ (النور: ١) والآيات هي دلالة أيضاً على حدوثه، وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ٢٧) دلالة على أن الله أراد من جميعهم التذكر."[١].

والرد على المعتزلة في قضية حدوث القرآن مشهور في كتب أهل السنة، وأدلتهم مبسوطة فيها.

٣-ترك الاعتصام بالكتاب والسنة: وترك الاعتصام هذا مرده عند المعتزلة إلى النظرة المختزلة الضيقة لكتاب الله وتقديم العقل على النقل، وهذا منهج مطرد عندهم، وقد جعل هذا المنهج مكانة حجية السنة عندهم مضطربة؛ ففي معرض رد القاضي عبد الجبار على شبهة (يا أخت هارون) وهي كيف يصح أن يقال لها ذلك وبينها وبين هارون أخي موسى الزمن الطويل؟

-قام القاضي باستبعاد الحديث الوارد عن الرسول عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم، الذي جاء فيه أن هارون أخو مريم، وأنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين منهم، وأودى به استبعاد الحديث وترك الاعتصام بالسنة إلى التكلف في ردود عقلية عدة لا حاجة لها[٢].

ويمكن القول إن القاضي عبد الجبار استبعد الدليل النقلي لأنه لا يفيد إلا للموافق في الملة، ومثيرو هذه الشبهة في الأعم الأغلب من المخالفين، لكننا قررنا سابقاً حقيقة أن الطاعن ليس مقصوداً وحده في رد الشبهة، إنما المقصود كذلك رد الشبهة بذاتها بقطع النظر عن مثيرها، حتى لا يفتن بها ضعاف النفوس من الموافقين في الملة، ولهذا

---

(١) القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن، ص٣٠١،٣٠٠.

(٢) القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن، ص٦٨.

ينبغي تعاضد الأدلة النقلية والعقلية في ردود الشبهات.

ولم يقتصر القاضي على استبعاد الدليل النقلي، بل تجاوزه إلى رده صراحة في سبيل إسقاطاته العقدية والمذهبية، فتحت عنوان (شبهة الزيادة والرؤية) رد القاضي حديث الرؤية الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ قال: " إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل "[١]. واستدل القاضي على صحة ما ذهب إليه من إنكار الرؤية بأدلة عقلية ولغوية ظنية[٢]، وقد فند أدلته الرازي في معرض تفسيره لآية سورة يونس ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦)[٣].

٤-**عدم عرض الشبهة عرضاً تفصيلياً منصفاً**: استبعد القاضي أدلة خصمه في الكتاب وهذا إقصاء لا يقبله الإنصاف العلمي، فمناقشة أدلة الخصم وتفنيدها جزء من عملية الانتصار، فقد تكون أدلة الخصم أقوى من أدلة المنتصر.

ولعل القاضي أغفل ذكر أدلة من يرد عليهم لاشتهارها في وقته، وقد ذكر في كتابه بأن الأمر إذا صار معروفاً جاز حذف ذكره لعلم القارئ به، وهذا تسويغ غير صحيح فما هو معلوم ومشتهر في جماعة معينة، ومكان محدد، وعصر من العصور مجهول في غيرهم، والأولى عرض أدلة الخصم كلها في موضع الرد والحجاج، وتفنيد الواحدة تلو الأخرى، فهذا أدعى للإقناع.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى،ص٣٩٣، حديث١٨١، (متن شرح النووي).

(٢) القاضي عبد الجبار، **تنزيه القرآن عن المطاعن**،ص٣٠٧، ٣٠٨.

(٣) الرازي، **التفسير الكبير**، مج٦، ينظر ص٢٤٠ وما بعدها.

المبحث الثاني

دراسة تطبيقية على كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٩٤٨م)

-يعدُّ كتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ عبد العظيم الزرقاني من أهم الدراسات المعاصرة في علوم القرآن.

- ضَمَّن الزرقاني كتابه ردوداً للشبهات وانتصاراً للقرآن؛ فهو-رحمه الله- يعتقد أن هذه الثروة من علوم القرآن التي خلّفها سلف الأمة تصلح لتحدي أمم الأرض، ولإفحام أهل الملل والنحل في كل عصر ومِصر[1].

- جعل الزرقاني الشبهات المثارة على القرآن عاملاً رئيساً مؤثراً في خط سير علوم القرآن؛ وما ذلك إلا لأن علوم القرآن هي السياج الحامي لكتاب الله، وعليها التعويل في الانتصار له، وأعرب عن هذا بقوله :" ..هذا العلم[2] يسير على سنة غيره من العلوم بين جزر ومد وزيادة ونقص على مقدار ما يستهدف له من مؤثرات خاصة. فلا بِدع أن تجد في منهج دراستك اليوم مباحث جديدة، ومواضيع مبتكرة، لم تنتظم قبل في سمط علوم القرآن؛ ذلك لأن الأفكار متحركة ومتجددة، ولأن الشبهات التي تحوم في رؤوس بعض الناس في هذا العصر والمطاعن التي يوجهها أعداء الإسلام في هذا الجيل، قد تكون هي الأخرى جديدة ومبتكرة.ومن الحكمة أن نقاتل الناس بمثل سلاحهم..."[3].

-الإقرار النظري السابق في الحاجة إلى التجديد والعصرنة في آليات الانتصار

---

(١) الزرقاني، مناهل العرفان، ص١٣.

(٢) يعني علوم القرآن.

(٣) الزرقاني، مصدر سابق، ص٣٤.

للقرآن الكريم لم يستثمره الزرقاني عملياً في دفع الشبهات فيما يتعلق بمباحث النسخ.
ويظهر هذا جلياً في أمور:

١-نقل الزرقاني موقف المتقدمين من الرافضة؛ وهو إثبات النسخ واستلزامه للبداء.

والبداء هو ظهور بعد خفاء، أو نشوء رأي جديد لله لم يكن موجوداً، والمعنيان متقاربان ومستحيلان على الله لاستلزامهما الجهل والحدوث.

لم يذكر الزرقاني موقف المتأخرين من الروافض في قضية البداء.

ومعلوم أن الشيعة المعاصرين يدفعون عن أنفسهم هذه الفرية ويحاولون التملص منها، ويؤكدون مفارقتهم لليهود في معنى البداء الذي لايليق بعلم الله، ويقرون أن البداء عندهم هو عين النسخ عندنا، والفرق بينهما أن النسخ في الأقضية الشرعية والبداء في الأقضية الكونية، ويزعمون أنهم يستخدمون مصطلح البداء استعمالاً مجازياً، و يصرون على أن الخلاف بينهم وبين أهل السنة في عقيدة البداء خلاف لفظي[(١)].

هذا الموقف العائم من الشيعة المتأخرين كان يلزم تحريره، ولا يُقتصر على ما جاء عند سلف الأمة عن موقف الشيعة من النسخ و البداء.

ولعل عدم الوضوح عند الرافضة في قضية النسخ واستلزامه للبداء هو ما جعل ابن تيمية يخرج من التعميم بقوله :" ...فكثير من شيوخ الرافضة من يصف الله تعالى بالنقائص كما تقدم حكاية بعض ذلك؛ فزرارة بن أعين وأمثاله يقولون: يجوز البداء عليه وأنه يحكم بالشيء ثم يتبين له ما لم يكن علمه فينتقض حكمه لما ظهر من خطئه"[(٢)]؛

---

(١) ينظر كلام الشيعة عن البداء:
السبحاني، آية الله جعفر، البداء في الكتاب والسنة.
-العاملي، مصطفى قصير، البداء والنسخ حقيقتهما وموقف الشيعة منها.
(٢) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، ج٢، ص٣٩٤، ص٣٩٥.

فقوله(كثير من شيوخ الرافضة) وذكره (زرارة بن أعين) أخرجه من التعميم.

٢-لم يخرج الزرقاني في ردوده على منكري النسخ عن كلام المتقدمين من القرون الأولى وأدلتهم[١]، والعجب العجاب أن الزرقاني لم يستنسخ الردود فقط بل استنسخ الفِرق من الزمن الغابر، ولنا أن نتساءل أين الفِرق التي رد عليها الزرقاني شبهاتها اليوم؛ فالعيسوية فرقة يهودية من أتباع أبي عيسى الأصفهاني، ظلت قائمة حتى عام ٩٣٠م ثم اندثرت، والشمعونية لم أجد لها ذكراً في الوقت الحالي، ولعل لها مسمى آخر لم أقف عليه، أما العنانية التي ولدت على يد

عنان بن داود في القرن الثامن الميلادي فقد تغير اسمها بعد القرن التاسع وأصبح اسمها القرّائين (**Karaites**) وقد عرّف الدكتور المسيري في موسوعته بهذه الفرقة وذكر مدى تأثرهم بالمسلمين في علم الكلام وأصول الفقه.

فصّل الدكتور المسيري في التعريف بالقرائين وذكر أن لهم تجمعات عدة، ولا يتجاوز عددهم الآلاف في العالم، وأغلب الذين في إسرائيل وكاليفورنيا من هذه الفِرقة هم من أصول مصرية.

والسؤال المشروع: ما موقف العنانية المعاصرة من النسخ؟ وهل يجزئ ما ذكره الزرقاني في الرد عليهم من كتب المتقدمين من أصوليين ومتكلمين في القرون الأولى؟

مخالفة الزرقاني لشرط العصرنة في عملية الانتصار لم تقتصر على الرد على الفِرق التي ذكرتها آنفاً، بل تعداها إلى الرد على النصارى والرد على أبي مسلم الأصفهاني المعتزلي.

وقام الزرقاني بالرد على كل من شذّ عن الجمهور في تفاصيل قضايا النسخ

---

(١) ينظر هذه الشبهات وردها عند الأصوليين المتقدمين في كتاب:

-العمري، نادية شريف، النسخ في دراسات الأصوليين: دراسة مقارنة، ينظر ص٥٩ وما بعدها.

باستنساخ شبهات المتقدمين وردودها دون إعادة إنتاج ولا إخراج.

-سوغ الزرقاني-أثابه الله- لنفسه الإخلال بشرط العصرنة، لأنه برأيه الشبهات الحديثة لا تخرج عن الشبهات القديمة؛ يقول الزرقاني:" تشيع لأبي مسلم بعض الباحثين من قدامى ومحدثين، وحطبوا في حبله قليلاً أو كثيراً. وذاعت شبهات حديثة فاسدة حول تشريع الإسلام للنسخ، ولكنها لا تخرج عند الإمعان عن نطاق الشبهات الآنفة التي دحضناها. لهذا نكتفي بما ذكرناه عمّا لم نذكره فراراً من التكرار،وتجنباً لإثارة الخصام، وحباً إلى الوصول إلى الحقيقة بسلام"(١).

والحق أن الشبهات الحديثة المتعلقة بالنسخ في عصر الزرقاني تخرج عن نطاق ما ذكره.

- أدت مخالفة الزرقاني لقاعدة (مناسبة عملية الانتصار للعصر الحاضر منهجاً ولغة وأدلة) إلى عدة أمور أذكر منها:

١- تجاوزه عن شبهات المستشرقين المتعلقة بالنسخ ومآلاتها والرد عليها؛ مثل شبهة نولدكه الذي عدّ النسخ وسيلة جاء بها المفسرون ليخرجوا من مأزق تعارض النص القرآني، مع المحافظة على قدسيته .

وهذا التناقض أو التعارض في القرآن عند نولدكه هو نتيجة طبيعية لجمع عثمان للنسخ المتعددة المختلفة فخرج النص الرسمي فيه شيء من التعارض، إضافة إلى تعارضه مع مصاحف الصحابة، فتم حل القضية بالقول بالنسخ في العرضة الأخيرة(٢).

ومما لا شك فيه أن شبهات المستشرقين المتعلقة بالنسخ لها متعلق بجمع القرآن

---

(١) الزرقاني، مناهل العرفان، ص٤٨٣.

(٢) نولدكه، تيودور، تاريخ القرآن، مؤسسة كونراد، أدناور، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، تعديل فريدريش شفالي، ص٥٤٧.

ونسخه ووثاقة نصه وتاريخه، ولا علاقة لها بجواز النسخ عقلاً وسمعاً.

٢-تجاوز الزرقاني في أثناء عرضه للشبهات الجدل الدائر في أروقة الأزهر حول النسخ، وهذا الجدل هو الذي أخرج فيما بعد منكري النسخ في الأزهر مثل عبد المتعال الجبري، وقد كان من الملائم أن نتعرف على طبيعة هذا الجدل والقائلين به.

٣- تجاوز الزرقاني شبهات الفِرق المعاصرة في قضية النسخ.

وفي الكتاب مخالفات أخرى لقواعد الانتصار، وما ذكرته هو على سبيل المثل لا على سبيل الاستقصاء والحصر.

المبحث الثالث

دراسة تطبيقية على كتاب دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية، أضاليل وأباطيل، إبراهيم عوض

-ذكر الكاتب في مقدمة كتابه أن هدفه هو الرد على المغالطات العلمية التي وردت في كتاب:(Shorter Encyclopedia Of Islam)، وهو عبارة عن مجلد واحد انتُخبت مواده من مواد (دائرة المعارف الإسلامية) التي أصدرها المستشرقون قبل سنوات، والتي جاءت في أربعة مجلدات بالإنجليزية والفرنسية والألمانية.

ويقول الدكتور إبراهيم عوض إن الكتاب المنتخب من هذه الموسوعة فيه خلاصة الفكر الاستشراقي فيما يخص ديننا ورجاله؛ ولهذا عكف على دراسته وانبرى للرد على انحرافاته وتناقضاته.

-استخدم الكاتب في انتصاره لكتاب الله علوماً ووسائل عدة؛ فقد استعان بالدراسة الأسلوبية، وعلم مقارنة الأديان، والأدلة العقلية، لكن الذي ظهر جلياً على طول الكتاب استخدامه للمصطلح القرآني في ردود الشبهات، ففي معرض رده على شبهة أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان وثنياً قبل البعثة بدليل قوله تعالى: (ووجدك ضالاً فهدى)، رد الدكتور إبراهيم عوض هذه الفرية بالإشارة إلى الاستعمال القرآني للفظ (الضلال)، وأنه لا يعني بالضرورة (الوثنية)، واستدل بمقولة أبناء يعقوب لأبيهم التي ذكرها الله تعالى في الآية: ﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ (يوسف،٩٥) ، وقول موسىٰ عليه السلام في القرآن: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾(الشعراء: ٢٠)[١].

وتحت عنوان المسائل اللغوية يقوم الدكتور إبراهيم عوض برد شبهات المستشرقين

---

(١) عوض، إبراهيم، دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل، ص٢٤ وما بعدها.

بإنكار عربية بعض كلمات القرآن، ورد أصولها إلى لغات سامية أخرى مستخدماً أدلة عدة، من ضمنها تتبع الاستعمال القرآني للمفردة؛ على سبيل المثال يقول المستشرق رودي باريت إن كلمة أمة بمعنى (شعب) ليست عربية الأصل ولا علاقة لها بمعنى (فترة من الزمن) التي وردت في القرآن، فهي مستعارة إما من العبرية أو الآرامية، وقد رد الدكتور ابراهيم عوض هذه الفرية بأدلة عدة، وكان من هذه الأدلة تتبع مصطلح الأمة في القرآن والوقوف على الاستعمال القرآني له، وقد استخدم الكاتب علم الأشباه والنظائر في عدة مواضع من كتابه لرد الشبهات(١).

-من المؤاخذات على المؤلف رده على المستشرق (بوهل) الذي زعم أن القرآن لم يكتب في مرحلة مبكرة من نزوله، لتهاون الصحابة؛ مما تسبب في ضياع وفقدان أجزاء منه؛ فقد عمد الدكتور إبراهيم عوض في معرض رده لهذه الفرية على الاستدلال بعدة أدلة؛ منها: أن مصطلح (الكتاب) قد ورد في السور المكية وهذا فيه دليل على أنه كتب في هذه الفترة، وقد تحرز الدكتور من قطعية هذه النتيجة بقوله :" ولعل هذا هو السبب في تكرر تسمية الوحي المحمدي في القرآن الكريم (بالكتاب) منذ بواكير العصر المكي"(٢)، وقوله (لعل) رفع عنه الحرج، وجعل دليله افتراضياً مسانداً لباقي الأدلة، وهذا لاشيء فيه، وإن كنت لا أرى استعمال الأدلة الافتراضية في الانتصار، إذاً أين المشكلة؟ المشكلة تكمن في أن الدكتور إبراهيم عوض تجاوز الظنية ونسي قوله(لعل) وأكمل الدليل بقوله :" ولو كان كلام بوهل صحيحاً لتغير الميزان لصالح الوحي المدني، ولتكرر فيه وصف القرآن (بالكتاب) أكثر من تكرره في الوحي المكي، إذ هو الذي سُجِّلَ أكثره على زعمه حين ضاع جزء غير قليل من القرآن المكي"(٣)،

---

(١)عوض، ابراهيم، دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل، ينظر ص١٨٧ وما بعدها.
(٢) عوض، ابراهيم، المصدر السابق، ص١٤.
(٣) عوض، ابراهيم، دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل، ص١٥.

ولنا هنا أن نتساءل كيف بدا للدكتور عوض أن يرتب حقائق على عدد المرات التي ورد فيها المصطلح؟ أليس هذا قول بالرأي في كتاب الله؟ ألا يحق لنا أن نستدل عليه بدليل من جنس دليله فنقول إن عدد ورود مصطلح (القرآن) في السور المكية يفوق عدد مرات وروده في السور المدنية بأكثر من خمس مرات؟ فهل هذا يعني من قريب أو بعيد أن عناية الصحابة بقراءة القرآن أو جمعه في العهد المكي هي أكثر من العهد المدني؟ لعل هذه الأسئلة تقودنا مجدداً لقاعدة ضرورة التأصيل لما جدَّ على ساحة الدراسات القرآنية من علوم، ومنها علم المصطلح القرآني، والتأصيل يوضح مدى صحة نتائج الدراسات الموضوعية والمصطلحية، وإلى أي حد يمكن الاستدلال بهذه النتائج في موضع دفع الشبهات على القرآن الكريم؟ وما هي المحاذير والعوائق في استخدام هذه المستجدات في الانتصار لكتاب الله؟ ويبقى التأصيل عصمة.

المبحث الرابع

دراسة تطبيقية على كتاب (القرآن الكريم والقراءة الحداثية، دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون)، الحسن العبّاقي

-الأصل في هذا الكتاب أن يكون رداً على قراءة أركون الحداثية للقرآن ودفعاً لمطاعنه.

-ظهرت مؤاخذات مخالفة قواعد الانتصار جليّة في مباحث علوم القرآن عند الكاتب، ويُفترض في هذه المباحث أن تكون رداً على دعوى تاريخية النص عند أركون.

-حذر الكاتب في بداية كلامه من القلق والحرج الذي يسببه الخوض في قضايا علوم القرآن؛ لأن النتيجة قد تخالف "المألوف الذي يصعب على النفس مفارقته، وإن ثبت ضعفه وتهافته." (١) وسيظهر لاحقاً قصد الكاتب من هذه المقولة.

-قرر الكاتب أنه سيعالج موضوع تاريخية النص القرآني من خلال مبحثين؛ الأول: الناسخ والمنسوخ ودعوى تاريخية النص، والمبحث الثاني: شبهة التاريخية في علمي القراءات وأسباب النزول.

-بدل أن يرد الكتاب الشبهات رد قضايا في علوم القرآن، وهذه نصوصه:

جاء في معرض رد الكاتب لوقوع النسخ:

"..لم يعد خافياً اليوم على أحد أنه لا وجود البتة لأي نص في كتاب الله يصرح بنسخ آية ما بأخرى، ولا حديث مقطوع بصحته يؤكد فيه النبي -ﷺ- أن آية كذا نسخت بآية غيرها، وكما قال الغزالي: فقصة النسخ، أو الحكم بتحنيط بعض الآيات؛ فهي موجودة ولكن لا تعمل، هذا باطل، وليس في القرآن أبداً آية يمكن أن يقال إنها

---

(١) العبّاقي، الحسن، القرآن الكريم والقراءة الحداثية:دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون، ص١٧٦.

عطلت عن العمل وحكم عليها بالموت، كل آية يمكن أن تعمل، لكن الحكيم هو الذي يعرف الأحوال التي يمكن أن تعمل فيها الآية، وبذلك توزع آيات القرآن على أحوال البشر بالحكمة والموعظة الحسنة"[1].

وقال في معرض حديثه عن أسباب النزول:

إن في حماس العلماء " ..في الكشف عن أسباب نزول الآيات، إيحاء بالارتباط التام بين الوحي النازل من السماء وواقع الناس، وهو جوهر القول بالتاريخية"[2].

ورد الكاتب على العلماء قولهم اشتراط العلم بأسباب النزول للوقوف على معنى الآية بقوله:" ولا بد من التنبيه على أن اشتراط العلم بسبب النزول لمعرفة تفسير الآية فيه قلب لوظيفة النص الذي جاء حاكماً على الواقع، ليصبح محكوماً به، فالأصل أن يحتكم إلى كتاب الله في كل النوازل، لا أن نبحث فيها عما ينير فهمنا له، إذ هي المفتقرة إليه وليس العكس"[3]. وهذا الفهم فيه قلب للحقائق تأثراً بالشبهة؛ فقد جعل مؤلف الكتاب الاعتداد بسبب النزول اعترافاً بأولوية الواقع على النص، والحقيقة هي العكس تماماً؛ فسبب النزول هو بيان لمدى افتقار الواقع للنص، حتى إذا اشتدت الحاجة بالناس نزلت الآيات فيها الكلمة الفصل.

-المتتبع للكاتب يجد أنه بدل أن يرد شبهة أركون آمن بها؛ وعدّ القول بالنسخ، واعتماد أسباب النزول في التفسير اعترافاً بتاريخية النص القرآني.

-الذي أوقع المؤلف في شراك شبهته مخالفته لقواعد وأصول كان ينبغي مراعاتها قبل التصدي لعملية الانتصار نذكر منها:

---

(١) العباقي، المصدر السابق، ص٢١٩.

(٢) العبّاقي، الحسن، **القرآن الكريم والقراءة الحداثية**، ص٢٣٥.

(٣) العباقي، مصدر سابق، ص٢٣٨.

- عدم الوفاء بحق الفهم المصطلحي؛ فمصطلح النسخ في الكتاب لم يُحرر عند أركون، ولا عند المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة، وكان هناك إشارة سريعة إلى الاختلاف بين المتقدمين والمتأخرين ولم يتم التوقف عندها كثيراً في الكتاب، مع أن الاختلاف في المصطلح يعد مفصلاً رئيساً في دراسة النسخ.

ولم يحرر الكاتب مصطلح أسباب النزول عند أركون وعلماء الأمة، ومعلوم أن أركون يخلط بين أسباب النزول والسياقات التاريخية المقامية لنزول القرآن، ولهذا يجعل أركون كل آيات القرآن مرتبطة بأسباب معينة.

وأدى عدم تحرير المصطلحات بالعباقي إلى الوقوع في مطبات خطيرة أولها:

اعتقاده بأن وجود آيات منسوخة يعني إقراراً بتاريخية القرآن، يقول: إن النسخ " من أهم دعامات دعوى تاريخية (النص القرآني)؛ لأن القول بوجود آيات منسوخة إقرار بتاريخيتها، وإن حاول بعضهم أو الكثيرون تغليفه بكلام منمق بعيد عن الدقة العلمية"(1). والكاتب معذور في كلامه فهو تجاوز قاعدة الفهم المصطلحي، ولو أنه أفاد من تحرير مصطلح تاريخية النص الذي قام به في مقدمة كتابه، أو أنه حرر مصطلح النسخ لما وقع في هذا الإشكال الخطير.

فالتاريخية هي الحتمية التاريخية، وهي فعل الأحداث والممارسات في تشكيل النص القرآني ، والاعتراف بالتاريخية هو اعتراف بأثر النسق الحضاري والثقافي السائد في تشكيل القرآن(2).

وقد ذكر العباقي هذا في معرض دراسته لمصطلح التاريخية بقوله:" القول بتاريخية نص ما يعني ربطه بحدود الزمان والمكان اللذين ظهر فيهما، وعدّه نتاجاً للأحوال

---

(1) العباقي، مصدر سابق، ص177.
(2) الطعان، أحمد إدريس، العلمانيون والقرآن الكريم، 291 وما بعدها، فقد فصل الكاتب في معنى التاريخية والتاريخانية.

الاجتماعية للأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية...

والقول بتاريخية القرآن هو إنكار لربانية مصدره، فأية علاقة تكمن بين النسخ والقول بالتاريخية؟ والنسخ رفع حكم شرعي بدليل شرعي، واشتراط الدليل الشرعي يؤكد علاقة النسخ بالمصدر الإلهي للقرآن.

وقد كان حرياً بالكاتب أن يفسد مقدمات أركون بإثبات مصدر القرآن الإلهي، وإثبات المصدر الرباني للنسخ، وبهذا يكون رد دعوى تاريخية النص، وفكك العلاقة بين التاريخية والقول بالنسخ.

ما سبق ذكره يقود إلى سؤال مشروع؛ هل وقف الكاتب حقاً على الرؤية الفلسفية القابعة وراء القول بتاريخية النص؟

على ما يبدو أن المؤلف أفسد نتائجه مراعاة لمقدمات أركون الفاسدة، وقام بإنكار النسخ واتهم علماء الأمة بأن الذي قادهم للقول بالنسخ هو ولوعهم بهذا العلم، ولعل ولوعه في إنكار النسخ جعله يتناسى إجماع الأمة على وقوع النسخ وأنه لم ينكره أحد قبل أبي مسلم الأصفهاني في القرن الرابع الهجري، وقد أورد جماعة أن خلاف أبي مسلم مع الأمة في موضوع النسخ خلاف لفظي، ولا يعد إنكاراً لمفهوم النسخ، وقول أبي مسلم في بعض القضايا له علاقة بمذهبه الاعتزالي وقوله بخلق القرآن[٣].

---

(١) العباقي، القرآن الكريم والقراءة الحداثية، ص٤٨.

(٢) هذا تعريف الزرقاني في مناهل العرفان، وهو تعريف للنسخ على اصطلاح المتأخرين؛ فيخرج منه الاستثناء والبيان والتخصيص والاستثناء والمنسأ وتقييد المطلق، ودخول كل ما سبق في النسخ هو على اصطلاح المتقدمين فقد كان مصطلح النسخ عندهم أوسع.

(٣) ينظر كلام أبي مسلم عن نسخ آية البقرة ٢٤٠ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ والآية الناسخة لها من سورة البقرة ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢٣٤) وقد سمى أبو مسلم هذا تخصيصاً، والناظر في كلام أبي مسلم يجد أنه تمحل في القضية لعلاقتها بقضية خلق القرآن عند المعتزلة. ينظر كلامه في كتاب: -الرازي، التفسير الكبير، مج١، ص٦٣٩.

وقد وقع العباقي فيما وقع فيه عبد المتعال الجبري الذي قال في كتابه أنه يريد هدم الهيكل الأصولي فلا ناسخ ولا منسوخ في كتاب الله بالمعنى الأصولي(١)، ولا يخرج موقف العباقي عن موقف الجبري فكل منهما أنكر النسخ دفعاً للشبهات المثارة حوله.

ولسنا هنا بصدد تفنيد أدلة العباقي على إنكار النسخ، و لا نعترض عليه في إنكاره فهذا أمر يجاب عليه بالدليل، بل نعترض على منهج الإنكار وسببه.

أودى عدم الفهم المصطلحي عند الكاتب إلى محاسبة المتقدمين على ما اصطلح عليه المتأخرون من مصطلح النسخ، بل عدّ من تجاوزات المتقدمين أن جعلوا الاستثناء نسخاً، وهذا لعمري خلل منهجي خطير.

أوقعه عدم تحرير مصطلح النسخ في التناقض؛ فتارة يقول إن سبب الاختلاف بين المتقدمين والمتأخرين في عدد الآيات المنسوخة هو الاختلاف في المصطلح، والمتأخرون هم المقلون. وتارة يثبت أن المتأخرين هم المكثرون.

وتارة يخلص إلى أن القول بالنسخ مر بحالة مد إلى القرن الخامس ثم بدأ بمرحلة جزر، والعجب العجاب أن جعل الكاتب تفسير الطبري سبباً في حالة المد التي انتابت القول بالنسخ، فهو أعطى الحق لكل الروايات بالحياة دون تدقيق في صحتها.

وهذا التناقض ليس مرده فقط عدم تحرير المصطلح بل الجهل بالقضية القرآنية التي عليها مدار الشبهة، وبدل أن يعزو الخلاف في عدد الآيات إلى خلاف مصطلحي عزاه إلى تفشي الروايات دون تمحيص، وإلى ولع المتقدمين بهذا العلم مما أدى إلى تساهلهم فيه.

وقع العباقي في دراسته للنسخ فيما عابه على خصمه أركون؛ فتحت عنوان (منهجيات في غير محلها)، اعترض العباقي على تعميم أركون لنتائج دراسته لابن

---

(١) الجبري، عبد المتعال، النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه، ص٥.

مسكويه على عصر بأكمله وقال:" وما قام به أركون لا يعدو أن يكون برهنة على إنسية مفكر لا إنسية عصر"[1]، والذي فعله العباقي في قضية النسخ لا يتجاوز ما فعله أركون فقد عد كتاب السدوسي ممثلاً لآراء العلماء عن النسخ في القرن الثاني، وكتاب النحاس صورة عن القرن الثالث والرابع، وكتاب المقري صورة عن القرن الرابع والخامس، وابن حزم مثالاً لما بعد القرن الخامس[2]، وخلص إلى نتيجة أن عدد السور المحتوية على آيات منسوخة هي في تصاعد كمّي حتى القرن الخامس، ثم أخذت الاتجاه العكسي بعد القرن الخامس مع استثناءات عبر القرون، وقد شرق وغرب المؤلف في محاولة الوقوف على الأسباب، ولو قام بتحرير مصطلح النسخ لعلم أن المكثرين من الآيات المنسوخة هم على مصطلح الأقدمين الأوسع، والذي يشمل البيان والتخصيص والاستثناء والمنسأ وتقييد المطلق وغيرها، والمقلين هم على رأي المتأخرين الذين ضيقوا المصطلح.

٥- أغفل العباقي أدلة وقوع النسخ في السنة مثل أحاديث البخاري في آية ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾ (البقرة: ٢٤٠) والتي صرح فيها الصحابة بنسخها بآية المواريث، ومن هذه الأحاديث: "قال ابن الزبير قلت لعثمان بن عفان ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾ (البقرة: ٢٤٠) قال: قد نسختها الآية الأخر. فلم تكتبها أو تدعها. قال: يا ابن أخي ، لا أغير شيئاً منه من مكانه"[3].

وقد روى البخاري عن ابن عباس قوله:" لما نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ (الأنفال: ٦٥) شقّ ذلك على المؤمنين حين فرض عليهم أن لا يفر واحد

---

(١) العباقي، مصدر سابق، ص٨٨.

(٢) وقد سجل الكاتب مؤاخذاته على ابن حزم دون أن يقوم بتحرير مصطلح النسخ عند ابن حزم.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب(والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً....) يعفون: يهبن، (٨/ ٢٤٤)، حديث رقم ٤٥٣٠، وينظر أيضاً حديث ٤٥٣١، ٤٥٣٢، ينظر: متن فتح الباري شرح صحيح البخاري .

من عشرة، فجاء التخفيف فقال: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ ﴾ (الأنفال: ٦٦) قال فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم"[١]. أليس من مقاصد النسخ التخفيف؟ وخفف الله عنهم أي رفع الحكم، وهذا عين مفهوم النسخ.

وروي عن عبادة بن الصامت أنه قال: قال رسول الله -ﷺ- : خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مئة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مئة والرجم"[٢].

والأحاديث التي جاءت في الصحيحين عن قنوت الرسول -ﷺ- فيها تصريح بنسخ القرآن، مثل حديث أنس عن النبي عليه الصلاة والسلام الذي جاء فيه"......فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ (إنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا)..."[٣] وعلق ابن حجر على قوله:(ثم كان من المنسوخ) قال:" أي المنسوخ تلاوته فلم يبق له حرمة قراءة القرآن كتحريمه على الجنب وغير ذلك"[٤].

وما سبق ذكره يدل دلالة أكيدة على ورود النسخ في الأحاديث الصحيحة مصطلحاً ومفهوماً ولا مجال لإنكار وقوعه، والتفاوت العددي في الآيات المنسوخة بين العلماء لا علاقة له بأصل وقوع النسخ فهذا موضوع آخر، وهذا يقود للقول إنه لا علاقة لمقدمات العباقي بنتائجه، والاعتصام بالكتاب والسنة سلامة في عملية الانتصار.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب(الآن خفف الله عنكم...)، (٨/ ٣٩٨)، حديث ٤٦٥٣، (متن فتح الباري).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب حد الزنا، ج١١، ص٣٣٧، حديث١٢/ ١٦٩٠،(متن شرح النووي)

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب٢٩،(٧/ ٤٩١)، حديث ٤٠٩١، (متن فتح الباري).

(٤)ابن حجر، فتح الباري، مج٧، ص٤٩٤.

ونجدنا مضطرين مرة أخرى للقول إن الكاتب وقع فيما عابه على خصمه من ضعف الأدلة وهو القائل: " على قدر قوة الأدلة تقوى الدعاوى، وعلى قدر هشاشتها تنتقل من إطار الدليل إلى إطار الشبهة في محاولة لإقناع المخاطبين بفحواها، وتمرير الشبهة عليهم.........فاعترى ادعاءاته[1] من الضعف ما يوازي مستوى الشبهة لديه.. "[2].

-خالف الكاتب قواعد التفسير؛ بقوله إنه لا يجوز اشتراط العلم بأسباب النزول لفهم القرآن، وفرّق بين القراءات المتواترة، وأغفل الحكم والألطاف الربانية في النسخ وغيره، وبهذا وقع في نظرة مختزلة ضيقة.

-من المآخذ أيضاً أنه لم يتم عرض شبهة أركون عرضاً تفصيلياً منصفاً، فالقول بدلالة النسخ على تاريخية النص كلام له حيثياته عند أركون.

---

(١) يقصد أركون.

(٢) العباقي، القرآن الكريم والقراءة الحداثية، ص٩٣.

الخلاصة

وقع الكاتب في شراك الشبهة التي قام ليردها، وأنكر إنكاراً حقيقياً وقوع النسخ، وخرق إجماع الأمة في علم وضعت لبناته في زمن الرسالة، ونزل الوحي بإثباته، وتضافرت الأدلة العقلية والنقلية على جوازه، ووجوده، كما أن الكاتب أنكر أهمية العلم بسبب النزول في فهم كتاب الله، وهذا بسبب:

-قصور في الفهم المصطلحي، والفهم المنهجي للطاعنين.

-عدم الإلمام بآحاد الجزئيات.

-قصور في الاعتصام بالسنة وأدلتها.

-عدم عرض الشبهة عرضاً تفصيلياً ولعل السبب تسليمه بها جزئياً.

-عدم العلم بالقضية القرآنية التي عليها مدار الشبهة.

-قصور في الأدلة العقلية والنقلية، سواء منها الاستقرائية أو الشرعية القائمة على النقل.

ومما لا شك فيه أن استحضار أهداف مثيري الشبهات على العلوم الأصولية مُعين للمنتصر على التمسك بقاعدة التوسط فلا إفراط ولا تفريط، ومعلوم أن من أهداف الطاعنين الحصول على ردود أفعال تهدم العلم الأصولي، وتسجيل اضطرابات في الرأي عنه.

فالغلو والتطرف في قضية النسخ، وادعاء تاريخية القرآن من خلاله، لا ينبغي بحال أن يقود إلى هدم علم النسخ بأكمله.

واستخدام الطاعنين علم المقاصد الشرعية للخروج عن حاكمية النص لا يعني هدم علم المقاصد والتمسك بظاهر النص.

وقول الطاعنين إن القرآن مستغلق على الفهم بسبب ترتيبه، لا يعني أن نبادر إلى ترتيبه حسب تاريخ النزول.

على أية حال كل ما قيل لا ينفي محاسن الكتاب، ولا يقلل من شأنه مطلقاً، وكل يؤخذ من قوله ويرد، ونسأل الله أن يثيب كاتبه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً -ﷺ- عبده ورسوله.

لقد كان هذا الكتاب نتاج رحلة فكرية استغرقت من عمري الفاني عامين؛ أولهما قضيته في دراسة الفكر الغربي بما فيه من مادية وإلحاد، والثاني قضيته في الفكر الإسلامي عبر رحلته التاريخية بما فيه من إنجازات وإحباطات.

وقد مررت بهذه الرحلة بصروف فكرية، ومصاعب بحثية، ومشقات عدة، وكان لزاماً علي الحذر أثناء السير في عالم ظلامي، فيه من الفتن قطع كقطع الليل المظلم، لكني بفضل الله ومنّته خرجت وأنا أكثر إيماناً وتسليماً ويقيناً وشكراً، وما أصبرني على دخول هذا المعترك إلا استحضاري لعظيم أجره وفضله.

وقد خلصت من رحلتي بنتائج أهمها:

-التأصيل النظري للانتصار للقرآن الكريم، حاجة ملحة يفرضها الواقع الذي يشهد هجمة شرسة على كتاب الله.

-من لوازم التأصيل النظري تعريف الانتصار، وقد اعتمدت في هذا الكتاب تعريفاً للانتصار يفي بالمقصود من المصطلح.

-يقوم الانتصار للقرآن على ثنائية البناء والهدم.

-الانتصار للقرآن الكريم تزامن مع نزول القرآن، وقد خط لنا القرآن والسنة منهجاً واضحاً في الانتصار، وهذا المنهج متفرد وصالح للاستثمار في الدفاع عن كتاب الله في كل زمان ومكان.

-احتل الانتصار للقرآن الكريم مكانة مركزية عند سلف الأمة، ودارت عليه الكثير من العلوم والدراسات القرآنية، وكانت عملية الانتصار منسجمة مع الواقع الذي يفرضه الطعن في كتاب الله، وتميز سلف الأمة بانسجام منقطع النظير بين التنظير والتطبيق.

-لم يرقَ الانتصار للقرآن في الوقت الحاضر إلى مستوى منهجية وتنظيم الطعن، ولم يصل إلى حد الكفاية نتيجة لتشعب جهات الطعن ووفرة إنتاجها ومؤسسيتها العالية.

-تعددت مناهج الانتصار وآلياته الإجرائية ومظاهره عند سلف الأمة وعند المتأخرين في الوقت الحاضر بما ينسجم مع الواقع المعاش للطعن في القرآن.

-تم استنباط أصول و قواعد للانتصار للقرآن الكريم يمكن أن تسهم في الارتقاء بعملية الانتصار وذلك عن طريقين:

الأول: إحداث نقلة نوعية في عملية الانتصار للقرآن في حال تم تطبيق القواعد وتفعيلها عملياً، **والثاني**: الإسهام في تقويم الجهود المبذولة في هذا الحقل، فوجود معايير ثابتة للقياس مهم جداً في أي عملية تقويمية. ومعلوم أهمية تقويم الجهود المبذولة في أي حقل معرفي في الارتقاء به.

-هذه القواعد ليست بدعاً من القول، إنما هي مبثوثة في كتب الأقدمين وعلومهم، وما كان مني إلا أن استخرجتها وأعدت نحتها بما يناسب لغة العصر ومنهجه.

-تنبع أهمية الانتصار للقرآن الكريم من أهميته في حفظ الدين.

التوصيات

على المستوى النظري:

-القيام بدراسة تنظيرية تبحث في كيفية مأسسة الانتصار للقرآن الكريم، لما للجهد المؤسسي من أهمية في مواجهة الطعن المؤسسي.

على أن تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أهمية الجهد المؤسسي في الانتصار، وتاريخه، ومظاهره وأصوله وقواعده، والعقبات التي تواجهه وكيفية تجاوزها وما إلى ذلك.

على المستوى التطبيقي:

-تبني الجامعات الإسلامية للانتصار للقرآن الكريم، لأن الجامعات في العالم هي المحضن الرئيس للعلوم.

- تشكيل فرق عمل شبابية وتدريبها لتقوم بتوعية المجتمع بالطاعنين، وطرق الطعن في كتاب الله ومصادره، وأبرز المطاعن، إضافة إلى التوعية بمآلات حرية الكفر أو حرية الفكر كما يسمونها.

وتكمن أهمية هذه الفرق الشبابية في الحد من الجهود الجبارة التي يبذلها مثيرو الشبهات للحصول على قاعدة مجتمعية لإدراكهم أن الأفكار لا يُكتب لها الحياة بدون حامليها، وقد نجحوا إلى حد كبير في التأثير على الشباب في الجامعات.

-عقد دورات تدريبية عملية في الانتصار للقرآن الكريم ودفع المطاعن عنه.

والحمد لله رب العالمين

عمان ٢٠/ ٣/ ١٤٣٤هـ، الموافق ١/ ٢/ ٢٠١٣م

قائمة المراجع

-ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرون)، كتاب الشعب.

-أحمد، صلاح الدين مقبول، زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً، مجمع البحوث العلمية الإسلامية، الهند، نيودلهي، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

-أركون، محمد:

-الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم الصالح، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٩م.

-الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ط٢، دار الساقي، لندن، ١٩٩٢م.

- تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

- الفكر الإسلامي قراءة علمية، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٧م.

- قضايا في نقد العقل الديني، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

- الأسد أبادي، ميرزا لطف الله خان، حقيقة جمال الدين الأفغاني، تعريب عبد النعيم حسين، دار الوفاء، المنصورة،ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

-الأشعري، أبو الحسن، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود، دار الكتاب، القاهرة، بدون تاريخ.

-الأشقر، فارس، (١٩٩٥م)، فهم جمال الدين الأفغاني للدين ودلالته على مذهبه وجنسيته، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان.

-الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه محمد خليل عناني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

-أمحزون، محمد، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، ج٢، دار طيبة ومكتبة الكوثر،ن الرياض، ط٣، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

-الأنصاري، فريد، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، دار الحامد، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م.

-الباجي، أبو الوليد(ت٤٧٤هـ)، المنهاج في ترتيب الحجاج، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

-بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٥م.

-الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ،١٩٩٦م.
-الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.
-الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، الانتصار للقرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
-البخاري، عبد الله، جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة، دار ابن عفان، مصر القاهرة، ط١، ١٤٢٠، ١٩٩٩م.
-بدايات علم الكلام في الإسلام، رسالتان في الرد على القدرية من القرن الأول الهجري،للحسن بن محمد بن الحنفية والخليفة عمر بن عبد العزيزمع ملحق في أخبار غيلان الدمشقي،حققها وترجمها وعلق عليها يوسف فان إيس،دار النشر شتاينر بفيسبادن، بيروت، ١٩٧٧م.
-بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين: المعتزلة والأشاعرة والإسماعيلية والقرامطة والنصيرية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٩٦م.
-بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
-بروكر، بيتر، الحداثة وما بعد الحداثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، ط١، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
-البغدادي، عبد القاهر(ت٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- بناني، سميرة عبد الله بكر، جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
-البوطي، محمد سعيد، نقض أوهام المادية الجدلية(الديالكتيكية)، ط١٩، دارالفكر، دمشق، ١٤٣٠هـ.
-البوطي، محمد سعيد، هذه مشكلاتهم، دار الفكر، دمشق، ط٨، ٢٠٠٧م.
-البلخي، مقاتل بن سليمان، الوجوه والنظائر في القرآن، تحقيق عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م.
-بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م.
-بياجيه، جان، البنيوية، ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت،١٩٧١م.
-البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
-تامر، عارف، ثلاث رسائل اسماعيلية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

-الترجمان، عبد الله، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تحقيق الدكتور طاهر المعموري، دار بو سلامة للنشر، تونس، (بدون تاريخ).
-الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي (ت٣٢٠هـ)، تحصيل نظائر القرآن، عناية وجيه أحمد عبد الله، دار الوفاء الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٠م.
- ابن تيمية:
-درء تعارض العقل والنقل، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ط٢، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
-مقدمة في أصول التفسير، شرح ابن عثيمين، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
-الرد على المنطقيين، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
-منهاج السنة النبوية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
-الثامر، قدور أحمد، (رسالة ماجستير ١٩٩٥م)، أثر الغزالي في علم الكلام، جامعة بغداد، كلية الآداب،قسم الفلسفة،
-الجاحظ، ثلاث رسائل للجاحظ، المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٨٢هـ.
-الجبري، النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه، مطبعة دار الجهاد، ط١، ١٣٨٠هـ ١٩٦١م.
-جدعان، فهمي، في الخلاص النهائي مقال في وعود الإسلاميين والعلمانيين والليبراليين، دار الشروق، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.
-الجرجاني، السيد الشريف(ت٨١٦هـ)، التعريفات، مؤسسة الحسنى، المغرب، الدار البيضاء،ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
-الجرجاني(ت٤٧١هـ)، عبد القاهر، الرسالة الشافية، من كتاب: ثلاث رسائل في الإعجاز: الرماني، الخطابي، الجرجاني، دار المعارف، ط٥، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف الدمشقي:
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ط١٤٢٠،١هـ ١٩٩٩م.
-النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- الجعبري،محمد نجيب كمال(١٤٠٠هـ)، دور رابطة العالم الإسلامي في الدعوة إلى الإسلام، رسالة ماجستير مقدمة للمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض.
-جمال الدين الأفغاني عطاؤه الفكري والمنهجي، حلقة دراسية عقدت في عمان، الأردن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

-ابن الجوزي، جمال الدين، تلبيس إبليس، تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر،دار الفجر للتراث، القاهرة، ط١،١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.

- ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط١، ٢٠٠٠م.

-الجوزية، ابن قيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، عناية عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان.

-الجويني،أبو المعالي(ت٤٧٨هـ)، الكافية في الجدل، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

-الجيوسي، عبد الله محمد، الجهود المبذولة في دراسة الإعجاز قديماً وحديثاً: دراسة إحصائية تقويمية، بحث مقدم لمؤتمر الإعجاز القرآني ، جامعة الزرقاء الأهلية، ٢٠٠٥م.

-حبنكة، عبد الرحمن حسن، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

-ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، مناقب الصحابة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.

-ابن حبان، محمد بن حبان البُسْتي :

- الثقات، ط١، ٩مج، دار الفكر، ١٩٧٣م.

- مشاهير علماء الأمصار،١م، (تحقيق م. فلايشهمر)، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٥٩م.

-ابن حجر، العسقلاني:

-فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ١٩٨٩م.

- الإصابة في تمييز الصحابة ،ط١ ،ج٨،كتاب النساء،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان،١٩٩٥م.

-تقريب التهذيب، (بعناية عادل مرشد)، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٦م.

- لسان الميزان، (تحقيق عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- الإصابة في تمييز الصحابة، (تحقيق علي محمد البجاوي)، دار الجيل، بيروت،ط١، ١٩٩٢هـ.

- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، (تحقيق عبد الغفار البنداري ومحمد عبد العزيز)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤هـ.

- الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

-الحداد، محمد، محمد عبده قراءة جديدة في خطاب الإصلاح الديني، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣م.
-حداد، الطاهر، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، الدارالتونسية للنشر، تونس، ط٤، ١٩٨٠م.
-حسن، عبد الكريم، المنهج الموضوعي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م.
-حسيبة،مصطفى،المعجم الفلسفي، دار أسامة، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.
-حللي، عبد الرحمن، المدخل إلى دراسة المفهومات القرآنية، دار الريادة: دمشق، دار الملتقى: حلب، ط١، ٢٠١١م.
- حللي، عبد الرحمن، النبوة والرسالة، دار الريادة: دمشق، دار الملتقى: حلب، ط١، ٢٠١١م.
-حمدان، عمر، مشروع المصاحف الثاني في العصر الأموي، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الرابع، السنة الثانية.
-الخطابي، ثلاث رسائل في الإعجاز، دار المعارف، ط٥، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- حسان، رفعت ،الإسلام وحقوق النساء، ط١،(ترجمة جهان الجندي)، دارالحصاد، دمشق، سوريا، ١٩٩٨م.
-حماية، محمود علي، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد:
- الرد على الجهمية والزنادقة، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة، دار اللواء، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
-المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.
-حنفي، حسن، التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت، ط١، ١٩٨١م.
-ابن الحنبلي، ناصح الدين أبو الفرج عبد الرحمن الأنصاري، استخراج الجدل من القرآن الكريم، دار الإعلام، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- حويش، عمر الملا، فكرة إعجاز القرآن نشأتها وتطورها، بحوث المؤتمرالأول للإعجاز القرآني، المعقود بمدينة بغداد، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- الخالدي، صلاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، عمان، ط٢، ١٤٢٨هـ.
-الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت.
-ابن خلدون، المقدمة، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط٢، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

-ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت.
-أبو خليل، شوقي، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،طرابلس، ليبيا، ط٢، ١٤٢٨هـ ١٩٩٩م.
-خليل، بكري، الفكر القومي وقضايا التجدد الحضاري، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤م.
-ابن الخياط، أبو الحسين، الانتصار والرد على ابن الروندي، تحقيق الدكتور نيبرج، دار الندوة الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.
-الدامغاني، الحسين بن محمد(ت٤٧٨هـ)، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.
-دراز، محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم:عرض تاريخي وتحليل مقارن، ،ترجمة محمد عبد العظيم علي،دار القلم، الكويت، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨١م.
-خريسان، ما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.
-ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (بدون تاريخ).
-دريدا، جاك، انفعالات، ط١، دار الحوار، سوريا، اللاذقية، ٢٠٠٥م.
-الدغامين، زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ط١، دار عمار، عمان،١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م.
-الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان :
- سير أعلام النبلاء، ط١، ٢٥م، (تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.
- تذكرة الحفاظ، ٣م، دار الفكر العربي.
- ميزان الإعتدال في نقد الرجال، ٤م، (تحقيق علي محمد البجاوي)، دار المعرفة، بيروت.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، (مراجعة وضبط لجنة من العلماء)، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٨٣م.
- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث وفيات (٣٥١هـ-٣٨٠هـ)، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط٢٠٠٣،١م.

-الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.
-الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
-رشواني، سامر، منهج التفسير الموضوعي في القرآن، دار الملتقى، حلب، ط١، ٢٠٠٩م.
-الرافعي، محمود محمد، مداخل إعجاز القرآن، مطبعة المدني، مصر-دار المدني،جدة، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
-الرافعي، مصطفى صادق، تحت راية القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
-رضا، رشيد، تفسير المنار، دار المعرفة للنشر، بيروت، ط٢، بدون تاريخ.
-الرضوي، السليني نائلة، تاريخية التفسير القرآني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٢م.
-الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢هـ
-الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، بحث مقدم إلى مؤتمر القرآن الكريم والجهود المبذولة في خدمته بعنوان: تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في التفسير في القرن الرابع عشر.
-ريكور، بول، صراع التأويلات، ترجمة منذر عياش، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٥م.
-زامل، مريم عبد الرحمن عبد الله، موقف ابن تيمية من النصرانية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
-الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥م.
-الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، صححه أمين سليمان الكردي، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
-الزركشي-البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١٤٢٩،١هـ ٢٠٠٨م.
-الزركشي، بدر الدين، المنثور في القواعد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.
-الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
-أبو زهرة، محمد، تاريخ الجدل، مطبعة العلوم، ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م.
-الزيادي، محمد فتح الله،الاستشراق أهدافه ووسائله(دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)، دار قتيبة،سورية، دمشق، ط١٣٧٠،٢هـ٢٠٠٢م.
-أبو زيد، أحمد، المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، مكتبة المعارف، الرباط، ط١، ١٩٨٦م.

- زيد، مصطفى، النسخ في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة،ط١، ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.
-سالم، محمد رشاد، مقارنة بين الغزالي وابن تيمية، الدار السلفية ، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م،
-السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي،بيروت، دمشق، ط٤، ١٩٨٥م.
- السبت، خالد بن عثمان، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، دار ابن عفان: القاهرة، دار ابن القيم:الرياض، ط٣، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.
-السبحاني، آية الله جعفر، البداء في الكتاب والسنة، مؤسسة الإمام الصادق، قم، ط١، ١٣٠٨هـ.
-السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
-ستروك، جون، البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ترجمة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٦م.
- سجاقلي زاده، الرسالة الولدية في آداب البحث والمناظرة، مطبعة الجمالية، مصر، ط١، ١٣٢٩هـ.
-السجستاني، أبو بكر محمد بن عبد العزيز، غريب القرآن، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران دار قتيبة، ط١، ١٩٩٥م.
-سخنيني، عصام، المستشرقون ومصطلحات التاريخ الإسلامي(تحليل ونقد)، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٨م، ٢٠٠٧م.
-ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ.
-سعد الله، أنسنة النص، عالم الكتب الحديثة، الأردن،ط١، ٢٠٠٧م.
-السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول: بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، مختار من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة الإمام، مصر، (بدون تاريخ).
-السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مجلة البيان، الرياض، ١٤١٩هـ.
-سعيد، إدوارد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٦، ٢٠٠٣م.
- سعيد، نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ط١، دار نشر للثقافة، الإسكندرية،١٣٨٣هـ-١٩٦٤م .
-ابن سلام، يحيى، التصاريف، تحقيق هند شلبي، مؤسسة آل البيت، عمان، ٢٠٠٨م.
- السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن ،الاتقان في علوم القرآن، دار ابن كثير،دمشق،بيروت،ط١٩٨٧،١م.

-الشاطبي، الموافقات، دار ابن القيم، الرياض،دار ابن عفان، القاهرة، ط٣، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٣م.
-الشاطبي(ت٧٩٠هـ)، الاعتصام، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة التوحيد، المنامة، البحرين، ط١، ١٤٢١هـ.
-شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدون والعهد الأموي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط٨، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- شاكر، محمود، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
-شحاته، عبد الله محمود، منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٤٨م.
-شرابي، هشام، النقد الحضاري للمجتمع العربي المعاصر، ط٣، دار نلسن، السويد، ٢٠٠٠م.
- شريح، محمد عادل، ثقافة في الأسر(نحو تفكيك المقولات النهضوية العربية)، دار الفكر، دمشق،٢٠٠٨م.
-الشريف، عبد الرحيم(٢٠٠٦م)، القرآن الكريم في مواقع الانترنت العربية، رسالة دكتوراه، (نسخة الكترونية).
-شلش، علي، سلسلة الأعمال المجهولة لمحمد عبده، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٨٦م.
- أبو شهبة، محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء، الرياض،ط٣، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
-الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان،١٤٠٤هـ١٩٨٤م.
-الشوابكة، أحمد فهد بركات، محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية، ط١، دار عمار، عمان، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
-ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
-الصغير،محمد حسين علي، المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
-طالب، محمد سعيد، الحداثة العربية: مواقف وأفكار، ط١، الأهالي للنشر، دمشق، ٢٠٠٣م.
-الطبري، ابن جرير، تاريخ الطبري(تاريخ الأمم والملوك)، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
- الطبري، ابن جرير(ت٣١٠هـ)، تمام المنة في تقريب صحيح السنة، تحقيق وضبط وعناية الشيخ أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الدار الأثرية،دار ابن عفان، عمان،ط١، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.

-الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ط٣، م٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- الطعان، أحمد إدريس، العلمانيون والقرآن الكريم، دار ابن حزم، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
-الطناحي، مذكرات الإمام محمد عبده، دار الهلال، بدون تاريخ.
-الطهطاوي، محمد عزت، التبشير والاستشراق، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
-ظهير، إحسان إلهي، الشيعة والقرآن، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
-ظهير، إحسان إلهي، البابية : عرض ونقد، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط٣، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
-ظهير، إحسان إلهي، التصوف المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
-العاملي، مصطفى قصير، البداء والنسخ حقيقتها وموقف الشيعة منها، دار الهادي للطباعة والنشر-والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
-عباس، فضل حسن:
-إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، عمان، الأردن، ط٢، ١٤٣٠هـ ٢٠١٠م.
-البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، دار النور، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.
-التفسير أساسياته واتجاهاته، مكتبة دنديس، عمان، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
-العبّاقي، الحسن، القرآن الكريم والقراءة الحداثية:دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون، صفحات للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٩م
-عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.
-عبد الرحمن، طه، روح الحداثة:المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م.
-عبد الرحمن، عائشة(بنت الشاطئ)، قراءة في وثائق البهائية، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
-عبد الرحمن، عائشة، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط٨، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٤م.
-ابن عساكر، تاريخ دمشق الكبير، عناية العلامة أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

-ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق مكتبة الشهابي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دار الفكر، دمشق.

-العسكري،أبو هلال، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق أحمد السيد، دار الكتب العلمية بيروت.

-العلائي، أبو سعيد بن خليل، جامع التحصيل في أحكام المراسيل، (تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي)، عالم الكتب، بيروت،ط١، ١٩٨٦م.

-أبو علبة، عبد الرحيم فارس أحمد، رموز الإصلاح الحديث مأساة الماضي ومشكلة الحاضر، ط١، الراشدون للدراسات والنشر، عمان، ٢٠٠٥م.

-العلواني، رقية طه جابر، أثر العرف في فهم النصوص(قضايا المرأة أنموذجاً)، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

-علي، عبد الله يوسف، The Holy Quran، Islamic Foundation، United Kingdom، 2003م.

-عمارة، محمد:

-جمال الدين الأفغاني المفترى عليه، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

-الأعمال الكاملة جمال الدين الأفغاني، المؤسسة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.

-الاستقلال الحضاري، الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.

-عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتاب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م.

-العمري، نادية شريف، النسخ في دراسات الأصوليين: دراسة مقارنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

-عواجي، غالب بن علي، فرق معاصرة تنتسب للإسلام، دار لينة للنشر والتوزيع، دمنهورت، ط٣، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

-عوض، ابراهيم، مصدر القرآن: دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،١٤١٧هـ١٩٩٧م.

-عوض، ابراهيم، دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل، منشورات البلد الأمين، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

-غارودي، روجيه، البنيوية وفلسفة موت الإنسان، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت،١٩٨١م.

-غرايبة، عبد الكريم محمود، تاريخ العرب الحديث، ط٢، الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

-غراب، أحمد عبد الحميد، الإستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن، ط٢،(بدون تاريخ).

-الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام، تصحيح وتعليق وتقديم محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.

-الغزالي، أبو حامد، المنقذ من الضلال، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
-الغزالي، أبو حامد، تهافت الفلاسفة، دار الإسراء، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٥م.
-ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، دمشق، (بدون تاريخ).
-ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامه، عناية أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
-فتوحي والدركزلي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن الكريم: تاريخ بني إسرائيل المبكر، دار الحكمة، لندن، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: مرتباً على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
-الفراهي، عبد الحميد، (مفردات القرآن نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية)، تحقيق وشرح محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- فرغل، يحيى هاشم حسن، نشأة الآراء والمذاهب الكلامية، الكتاب الأول، مجمع البحوث الإسلامية،١٣٩١هـ ١٩٧٢م.
-ابن فورك، أبو بكر بن الحسن الأصبهاني، الحدود في الأصول(الحدود والمواضعات)، عناية محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٩م.
-فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م.
-الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
-القاديانية، رابطة العالم الإسلامي، دار العربية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت.
-القاضي عبد الجبار المعتزلي، تنزيه القرآن عن المطاعن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
-ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن،بشرح وتحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه،(بدون تاريخ).
-قنبر، سهاد(٢٠١١م)، قضايا قرآنية عند النساء الحداثيات، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، قسم التفسير.
- قنبر، سهاد، علم الانتصار للقرآن الكريم: دراسة تأصيلية، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد٤١، الملحق٢، ٢٠١٤م.

-القنوجي، محمد صديق خان، أبجد العلوم، تحقيق عبد الجبار الزكار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق، دار الكتب العلمية، دمشق، ١٩٧٨م، الجزء الثاني المسمى: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم،(نسخة الكترونية من الشاملة غير موافقة للمطبوع).
-ابن كثير، إسماعيل بن عمر، التَّكْميل في الجَرْح والتَّعْدِيل ومَعْرِفة الثِّقَات والضُّعفاء والمجَاهِيل، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن،ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
-كرنان، ألفين، موت الأدب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
-كساب، رشيد سعيد، ترجمة معاني القرآن، مطابع الإيمان، ١٩٩٤م.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات: (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، اعتنى بمقابلة الكتاب على نسخته الخطية وفهرسته وإعداده للطباعة عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦م.
-الكيرواني، رحمت الله، المناظرة الكبرى، تحقيق وتعليق محمد أحمد ملكاوي، ط٢، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
-الكيرواني، رحمت الله، إظهار الحق، دار الحديث، القاهرة، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
-أبو ليلة،محمد، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي(دراسة نقدية تحليلية)، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.
-ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العلمية.
-المجالي، محمد خازر، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، عمان، ط٣، ٢٠٠٦م.
-المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
-ابن المرتضى، أحمد بن يحيى، طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفيلد-فلزر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٣٨٠هـ ١٩٦١م.
-المرنيسي، فاطمة، الحريم السياسي(النبي والنساء)، ترجمة عبد الهادي عباس، ط٢، دار الحصاد، دمشق ١٩٩٧م.
-المزي، يوسف بن الحجاج، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (تحقيق د. بشار عواد معروف)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م
-مسلم ،مصطفى،مباحث في التفسير الموضوعي،دار القلم ،دمشق،ط٧،١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.
-مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

-المسيري، عبد الوهاب، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م.
-مطبقاني، مازن، الاستشراق المعاصر من منظور الإسلام، دار اشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
-المطيري، عبد المحسن، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
-المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر_النبلاء للكتاب، مراكش،المغرب،ط١.
- مفتاح، الجيلاني، الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم، ط١، دار النهضة، دمشق، ٢٠٠٦م.
-مكدونيل، ديان، مقدمة في نظريات الخطاب، ط١، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٢٠٠١م.
-الملطي، أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي العسقلاني، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، مخطوط موجود في دار الكتب الظاهرية.
-مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
-ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ).
-المهدي، محمد بن حسن، بهجة المجالسة حول آداب البحث والمناظرة، المطبعة العربية الحديثة، مصر ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
-المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، ترجمة محمد كاظم سباق،(بدون دار نشر)، دمشق، ط١، ١٩٥٥م.
-النجار، زغلول، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.
-النجار، عبد المجيد، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.
-ندا، محمد، محمود، النسخ في القرآن بين المؤيدين والمعارضين، ط١، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
-النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م.
-النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ١٩٧٧م.

النشار، علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار السلام، مصر، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
النمر، عبد المنعم، النحلة اللقيطة البابية والبهائية: تاريخ ووثائق، مكتبة التراث الإسلامي، مصر، (بـ.د.ن تاريخ).
النملة، علي بن إبراهيم،الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
-نولدكه، تيودور، تاريخ القرآن، تعديل فريديريش شفالي، مؤسسة كونراد، أدناور، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
-النووي، محي الدين، شرح صحيح مسلم، دار الخير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
-الهلالي، محمد تقي الدين، وخان، محمد محسن، تفسير معاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية، دار السلام، الرياض.
- الهمذاني، القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ)، المنية والأمل، جمعه ابن المرتضى، تحقيق وتعليق عصام الدين محمد علي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٥م.
-وبياس هيلمستروف، وياسمين سينر، وإيميت توهي، فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية، مركز نيكسون لدراسة السياسة العامة، واشنطن، (ترجمة: مازن مطبقاني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض)، مارس ٢٠٠٤.
-اليافعي ،عفيف الدين عبد الله بن أسعد (ت٧٦٨هـ)،مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة، تحقيق أحمد فريد المزيدي ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

مواقع الشبكة العنكبوتية:

The Institute Of Ismaili Studies-
http://www.iis.ac.uk/view_article.asp?ContentID=104455
- الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب(واتا) World Assosiation Of Arab Translators & Linguists تاريخ الدخول ٢٦/ ٦/ ٢٠١٢م، ترجمة رشاد خليفة للقرآن الكريم: جهلٌ ونرجسيةٌ وتطاول على الله ورسوله بقلم الدكتور ابراهيم عوض.
D9%88%D8%AA%D8%B7%D8%A7%D9%88%D9%84٪
-مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ترجمات قاديانية
http://www.qurancomplex.org/Display.asp?section=8&l=arb&f=wrong_trn3008&trans=3

-ملتقى أهل التفسير،تاريخ الدخول ٧/ ٧/ ٢٠١٢م، الشبه المثارة حول كلام الله العزيز والطعون فيه: استعراض تاريخي مجمل، الدكتور وليد بن بلهيش العمري

http://www.tafsir.net/vb/tafsir10723 /

-موقع أهل القرآن، البند الثالث من أهداف الموقع الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية، تاريخ الدخول ٥/ ٨/ ٢٠١٢م

http://www.ahl-alquran.com/arabic/aboutus.php

-موقع أهل القرآن، باب القاموس القرآني، الثياب

http://www.ahl-alquran.com/arabic/document.php?mai _id=1595

-موقع الصوفية، الطرق الصوفية، تاريخ الدخول ٢٦/ ٨/ ٢٠١٢

http://www.alsoufia.com/main/articles.aspx?article_no=832

- موقع صوفية حضرموت، التصوف الخليجي ... الخصائص والسمات وخريطة الانتشار مصطفى شفيق علام. تاريخ الدخول ٢٦/ ٨/ ٢٠١٢.

http://www.soufia-h.net/showthread.php?t=12647

-الخراشي، سليمان بن صالح، حقيقة الصوفي أحمد كفتارو، موقع صيد الفوائد، تاريخ الدخول:٢٦/ ٨/ ٢٠١٢، كلام كجك منقول عن مجلة البيان، العدد١٦٤

http://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/m/47.htm

-موقع مجمع الشيخ أحمد كفتارو، الرؤية والأهداف، تاريخ الدخول ٢٦/ ٨/ ٢٠٠٨م

http://www.abunour.net /

-موقع (طريق المسيح)على الشبكة العنكبوتية

/http://www.tojesusway.com

-الموقع الرسمي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

http://elazhar.com/qadaiaux/def1.aspl,ru

-الرابطة المحمدية للعلماء، مركز الدراسات القرآنية، المملكة المغربية.

http://www.alquran.ma/article.aspx?C=583

-القحطاني، مبارك، مجلة الأزهر، تاريخ إضافة المقال ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٦م، موقع الألوكة الثقافية، تاريخ الدخول٢٦/ ٧/ ٢٠١٢م

/http://www.alukah.net/Culture/0/60

-موقع مجلة الوعي الإسلامية

http://www.alwaei.com/site/index.php/about_us

-موقع تلفزيون الحقيقة، تاريخ الدخول ٢٩/ ٨/ ٢٠١٢م:

http://arabic.truthway.tv/monqith/index.html

-موقع المسلم، قسم التربوي.تاريخ الدخول ٢٦/ ٧/ ٢٠١٢م مقال:

عسكر، هبة، هل تستطيع الفضائيات الإسلامية مواجهة الهجمات الشرسة علي الإسلام؟، تاريخ المقال١٦/ ٤/ ١٤٢٩هـ

http://almoslim.net/node/92282

-موقع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر ـ العربية، تاريخ الدخول ٢٩/ ٨/ ٢٠١٢م.

http://www.islamiccouncil.com/Qadaia/Default.asp?Lang=a&Doc=Doc&١n٣=

-منتدى التوحيد، تاريخ الدخول ٢٩/ ٨/ ٢٠١٢،

http://www.eltwhed.com/vb/forum.php

-موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، تاريخ الدخول ٢٩/ ٨/ ٢٠١٢م.

http://quran-m.com/index.php

-شبكة ابن مريم الإسلامية، تاريخ الدخول ٢٩/ ٨/ ٢٠١٢م:

http://www.ebnmaryam.com/web /

الفهرس

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس